ضيـــاء الجنـــابي

على هامشِ

"لاميّةِ العرب"

لأمة العرب

الإهــداء

إِلَى كُلِّ مَنْ يُحِبُ الأَدَبَ العَرَبِيَّ.. بِلَا حُدُود

لأمة العرب

الشكر

الشكر والحمد والثناء كلّه ابتداءًا لله سبحانه وتعالى ذي الطَوْلِ والفَضْل.

ومن ثم أزجي شكري للذي يمدني بالزخم المعنوي على الدوام أخي الأكبر الدكتور صفاء الجنابي حفظه الله.

ومن بعده لابنتيَّ وقرة عيني دانية وديمة اللتين ماانفكتا يسألانني عن الكتاب منذ الشروع بكتابته إلى أن أبلغتهما بإنجازه، فانتشت عيناهما فرحاً وعانقاني زهواً.

لأمة العرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لم تحظ قصيدة من قصائد الشعر العربي عبر عصور تاريخه المختلفة باهتمام لافت للنظر، مثلما هو الحال مع قصيدة "لاميّة العرب"، فقد توالت عليها الدراسات والبحوث والتحقيقات عبر قرون عديدة لاستقصاء مكامنها الثمينة ودررها النفيسة على كافة الأصعدة الفنية والإبداعية والتاريخية والفكرية. فكان لهذه القصيدة الكأس المعلّى من الاعتناء، والكفة الراجحة من التمحيص بكل شاردة وواردة فيها وبنحو نادر الحصول، إضافة إلى ذلك فقد نالت قسطاً وافياً من تسليط حزم الضوء على الجانب النفسي (السيكولوجي) لنفسية الشاعر وخلجاته من جهة، وعلى الجانب الاجتماعي (السوسيولوجي) العام لمحيط القصيدة الموضوعي وبيئتها من جهة أخرى، وهذا ما يؤكد علوَّ قيمتها فنياً وتاريخياً وسموَّ المكانة التي احتلتها بين أخواتها من القصائد الكبرى.

لم يكن ذلك الاهتمام أمراً اعتباطيّاً، وإنما حصل لكونها تميزت على أقرانها من القصائد العربية الكبرى في اشتمالها على جوانب متفرّدة واستثنائية، منها مراعاتها لآليّات علم التاريخ ودقتها في نقل الحقائق وتسجيل الوقائع، ناهيك عن تصويرها فائق الروعة لمجريات الأحداث زمكانياً، أي أنها قامت بإيصال ما كان يدور من أخبار في الفترة الزمنية المحددة بتجربة الشاعر، من حيث البعد الزمني من جهة، وكذلك من حيث القوانين التي كانت تحكم الواقع القائم آنذاك وتحرك الأحداث من حيث البعد المكاني من جهة أخرى.

* * *

لأمة العرب

ملخص الكتاب

لم يقتصر الهدف من تأليف هذا الكتاب على تناول البنى اللغوية المحكمة والظواهر الفنية المتميزة لقصيدة "لاميّة العرب" للشنفرى كنص فحسب، أو على بيان العلاقات التركيبية والصياغيّة بين مستوياتها المختلفة، أو تبيان القيم الجمالية الكبرى التي تكتنزها والبارزة بشكل ملحوظ على الصعيد الدلالي والصوتي من جهة أو النحوي والصرفي من جهة أخرى، وليس ضمن الهدف الأساسي لتأليف هذا الكتاب الإتيان بشرح جديد للقصيدة، لأن ذلك كله قد تم أداؤه باتساع وعمق من قبل علماء اللغة من نحويين وصرفيين وعروضيين وشرّاح ونقّاد وعلماء الأدب بكل فنونه وفروعه وتخصصاته ومراحله التاريخية، وكذلك من خلال ما أدلى به أساطين الفكر والإشراق والفلسفة من العرب وغيرهم من أبناء الحضارة العربية الاسلاميّة عبر قرون عديدة، وما زاد على ذلك ما حظيت به هذه القصيدة من اهتمام منقطع النظير من قبل المستشرقين والباحثين الغربيين ووقوفهم عند كلِّ شاردة وواردة فيها.

يتكون الكتاب من سبعة فصول إضافة إلى الخاتمة والفهارس. الفصل الأوّل يتحدث عن أهم الكتب والمخطوطات التي تناولت قصيدة "لاميّة العرب" بالشرح والإعراب، و وعن مكانتها المرموقة في التراث العربي أو العالمي، وتناول الفصل الثاني ظاهرة الصعاليك بالدراسة والتحليل والتقويم مع توصيف لحركتهم الإجتماعية والإبداعية وعوامل نشوئها وتكوينها وزعامتها وتقسيمها الفئوي وكل ما يتعلق بها، في حين تناول الفصل الثالث تسمية هذه القصيدة واستعرض القصائد اللاميّة أو ما يعرف باللاميّات الشائعة والمشهورة في الشعر العربي عبر جميع مراحل تاريخ الأدب العربي، إضافة إلى اللاميات المسماة بأسماء الأمم الأخرى أو ما يصطلح عليها بـ "لاميّات الأمم"، وقدم الفصل الرابع

لمحة عن شخصية الشنفرى شاعر لاميّة العرب وموقفه من المرأة وتوثيقه الأماكن ضمن دائرة حركته الحياتية، مع تسليط الضوء على بعض الإلتباسات الحاصلة في سرد سيرته الحياتية والغبن التاريخي بحقه والخلط الحاصل بينه وبين تأبط شراً، فيما تعرض الفصل الخامس بشيء من التفصيل إلى بعض سمات شعر الصعاليك وبنيته بالمقارنة مع بنية القصيدة الجاهلية وتلازمه مع حركة الصعاليك الإجتماعية والبعد الشخصاني لديهم، وقد سلّطَ الفصل السادس الأضواء على قصيدة "لاميَّة العرب" ذاتها مع دراسة إستقرائية لها وتبيان خصوصية معيارها الوظيفي مع التعريج على أبرز الآراء التي تناولتها، أما الفصل السابع والأخير فكان إضاءات على شرح اللاميّة مع تناول متن القصيدة المحقق مع تشكيله بالحركات النحوية الدقيقة والمنقحة، وتقديم شرح مكثف شافٍ غير مخل في هامش كل بيت بغية الاستفادة من قاموس هذه القصيدة المنيفة اللغوي والتمتع بطابعها الجمالي وما برعت به من تراكيب لغوية ثقيلة العيار ضمن سياقها الإخباري التوثيقي لحركة التاريخ في عصر ما قبل الإسلام وحساسيته الخاصة في التاريخ العربي.

* * *

أهمية الكتاب

تستند أهمية هذا الكتاب على أهمية قصيدة "لاميّة العرب" للشنفرى التي هي مدار البحث فيه، والتي تعد من أهم القصائد الجاهلية، ليس جزافاً بل لكونها زاحمت المعلقات بفخامتها والمكانة البارزة التي حظيت بها، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن المعلقات قد تظافر على علّو كعبها تعاهد ضمني غير معلن من قبل الباحثين على مختلف مشاربهم وانحداراتهم الفنية والفكرية والعرقية، لدرجة باتت فيها تلك القصائد من التابوهات التي لا يمكن لأحد المساس بها، ورغم ذلك استطاعت "لاميّة العرب" أن تشب عن هذا الطوق وتتجاوز تابوه المعلقات بمفردها لتؤكد خصوصيتها وتميزها، ويكفيها تفرّداً أنها حملت اسماً وتراً متفرّداً موقّعاً باسم العرب بكل ما يستبطنه هذا الاسم من تحديات بلاغية تتعلق بطبيعة لغة العرب وفصاحتها ومنجزها البلاغي والإبداعي من جهة ورصيدها القيمي من جهة أخرى، في حين أن لاميّات كبرى عديدة منذ ذلك العصر وقبله إلى يومنا هذا لم تحرز اسماً يفردها عن قريناتها سوى أنها سميت بأسماء شعرائها.

لم يكن ذلك التفرد الذي حققته "لاميّة العرب" إلّا لكونها أنموذجاً راقياً ساعد في كشف الظواهر اللغوية في شعر الصعاليك بلاغةً وبياناً وساهم في توضيح الأبعاد الفنية والنفسية والإجتماعية له، وكذلك سلطت هذه القصيدة أضواءاً كاشفةً على طبيعة الحياة العربية ومعطياتها الإيجابية من قيم إنسانية نبيلة ومكارم أخلاق استثنائية، دون أن تغفل في تلميحاتها تأشير الإفرازات السلبية في هذا المقطع الزمني المهم والحساس من التاريخ العربي، وقد ساعد طول القصيدة على لعب هذا الدور، إضافة إلى أنها جمعت جلَّ ما يحويه شعر الصعاليك من مظاهر شعرية وهو ما ساعد في إغناء وإثراء

الدراسات التي تدور في حومانتها، ناهيك عن كونها قد وصلت إلينا كنص كامل، على غير عادة ما وصلنا من شعر الشنفرى ذاته أو مجايليه من بقية الصعاليك الذي قد تم نقله على شكل أبيات قليلة متناثرة في كتب التراث أو على شكل مقطوعات متفرقة ومبعثرة هنا وهناك.

لقد اشتملت "لاميّة العرب" على خصائص لغوية مهمة عديدة منها الوظيفة الحيوية للشعر وجوهر أزليته وروحه المستديمة وتأثيره الجمالي على روحية المتلقي والدارس، ويمكننا إبراز أهم الأهداف الأساسية لتأليف هذا الكتاب بما يلي:

1. **تقديم هذه القصيدة العملاقة المهمة إلى الجيل العربي المعاصر والأجيال القادمة من الذين لم يتنعموا بمثل هذه النفائس الإبداعية المهمة ذات الذائقة الرفيعة في أدبنا العربي.**
2. **الاستفادة من الدرر اللغوية والبلاغية الثمينة التي تكتنزها هذه القصيدة.**
3. **التعرف على المعيار الوظيفي والجمالي للأدب العربي.**
4. **تبيان الأهمية القصوى التي تستبطنها هذه القصيدة للجيل العربي المعاصر من حيث قوة اللغة ومتانتها وسمو المستوى الفني فيها.**
5. **تسليط الضوء على المفاهيم الأخلاقية الإنسانية السامية المنبثّة في هذه القصيدة كونها تشكل منظومة قيميّة مسبكة البناء تقف على دكة عالية من النبل الإنساني الذي يسهم في ترسيخ القيم الأخلاقية الرفيعة.**
6. **دراسة ظاهرة الصعاليك الاجتماعية والشعرية بروح معاصرة.**
7. **دراسة البعد الشخصاني في شخصية الصعاليك.**

ومن الجدير بالذكر أن قصيدة "لاميّة العرب" تمتاز بذائقة فنية رفيعة المستوى وجودة شعرية رفيعة الطراز وتحتوي على خامات لغوية وأسفار شعرية وأسرار بلاغية مهمة، ما جعلها مثابةً أمام الباحثين والأكاديميين والمتخصصين بعلوم اللغة وفنون الكتابة على اختلاف جنسياتهم، فالشاعر استطاع من خلال الكم الهائل من الصور الفنية المرسومة بدقة وبراعة ومن خلال الزخم الإبداعي الطافح والضاج على طول القصيدة أن يعبّر عن الفكرة التي أراد إيصالها وقد أجاد في ذلك، كما استطاع أن يوضح رؤيته الإجمالية للحياة، وهذا من بين الأمور التي تبرز أهمية تأليف الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أن تأليفي هذا الكتاب المتواضع، لم يقتصر على القيمة اللغوية والأبعاد الفنية الرفيعة المستوى لقصيدة "لاميّة العرب" بل هناك منطلقات أساسية تقف في مقدمتها منظومة القيم ذات الأهمية البالغة التي تتعلق بالأبعاد النفسية والاجتماعية لظاهرة الصعاليك، إذ أن هذه القصيدة قد تمكنت من الكشف عن الفتوحات الفكرية والآيدولوجية إذا جاز التعبير لظاهرة الصعاليك وهذا بحد ذاته يحتاج إلى بحوث علمية منهجية ورؤية عميقة بغية تحليل المفاهيم الفكرية والإجتماعية التي تنطوي عليها، وربما يكون هذا الكتاب مهمازاً لها.

* * *

أسباب اختيار موضوع الكتاب

من المعلوم أن الأفكار لا تولد دفعة واحدة ولا تأتي جزافاً، بل هي تراكمات معرفية وصراعات ذهنية تختلج في دخيلة الإنسان وتعتلج بين جوانحه، فيسعى للتعبير عنها بما أتيح له من وسائل التعبير، ويمكنني إجمال أسباب اختياري لقصيدة لامية العرب وجعلها مدار بحث الكتاب وهي:

1. محاولة التمعن بالأدب العربي ورموزه من خلال النصوص، لأنّ النصوص أصدق الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن الحقائق.
2. قصيدة "لاميّة العرب" مترعة بمفردات عربية فصحى عميقة المعنى يمكن اعتبارها ذخيرة لغوية مهمة لدارسي الأدب العربي تعمق وتصقل طاقاتهم الإبداعية.
3. معرفة سر الاهتمام المنقطع النظير بهذه القصيدة وشاعرها من قبل الباحثين والكتّاب العرب والمستشرقين على مر العصور.
4. القصيدة تعود إلى عصور الاحتجاج التي تعد مصدراً أساسياً في تقويم اللسان العربي والبت في قواعد النحو والصرف وعلوم اللغة كافة.
5. ثقتي بأن فهم تراثنا العربي القديم وتسليط الضوء على أصالته وأسرار خلوده منطلق مهم للتجديد والابتكار والإبداع الرصين.
6. ملاحظتي قلة تزوّد الشباب العربي بثقافتنا الأصيلة مع شغفه وتطلعه لما ينتجه الغرب من ثقافات قد تتعارض مع مفاهيمنا ومنظومتنا القيمية، وإعراض الكثيرين منهم عن الالتفات إلى كنوز التراث العربي.

7. وجدت أن طلاب المدارس الثانوية فضلاً عن طلبة الجامعات المتخصصة بالدراسات الأدبية يعانون من ضعف الرغبة في تقبل الأدب العربي القديم لأسباب لا تتعلق بهم، بل بطبيعة طرح هذه المادة وكيفية دراستها، لاسيما أن بعض المناهج تتسم بالسطحية، ناهيك عن عدم تحمس المتصدين لتدريس هذه المادة واقتصارهم على شرح الألفاظ الغريبة والكلمات الوحشية، وإهمالهم المقصود في الجوانب الجميلة والمضيئة في تراثنا الثر بالجودة والجمال.
8. الكتاب محاولة لإستعادة الموروث الشعري العربي العريق والتحليق في فضاءاته وذكر بعض ما يتعلق به بغية إعادة تقديم ذلك بصورة تتوائم مع ذوق القارئ المعاصر.
9. أتطلع في أن تساهم هذه المحاولة في تنشيط الاهتمام بهذه القصيدة البارعة والظروف المحيطة بها وإعادة النظر في مكنوناتها المهمة.

* * *

منهجيّة البحث

اعتمتدت في دراستي لقصيدة "لاميّة العرب"، على المنهج النقدي التشعّبي الذي يعالج الجوانب التي تدور خارج النص، كتسليط الضوء على حياة المؤلف والوضع الإجتماعي القائم في زمانه وكل ما يتعلق بالفترة التاريخية التي تم تأليف النص في غضونها وما تلتها من فترات من جهة، وعلاقة النص بالحركة الأدبية المزامنة له من جهة أخرى، إضافة إلى الأخذ بنظر الاعتبار كافة الاتجاهات والمواضيع التي تعمق دراسة الأثر الأدبي من ناحية العالم الخارجي له، ومثل هكذا نصوص تكون عواملها الخارجية لا تقل أهمية عن قيمتها الفنية التي تتمثل في عناصر صياغتها وخصوصيات أسلوبها وبنيتها اللغوية وقيمها الجمالية والشكلانية ناهيك عن ما تكتنزه "لاميّة العرب" من فكر وخيال وشعور وما تمثله من انعكاس للواقع والحياة، وقد تناولت كل هذا بتوسع نسبي بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي العلمي.

* * *

الفَصْلُ الأَوّل

أَهَمُّ الكتبِ والمَخطُوطاتِ التي تناولتْ "لاميّة العرب" بالشرحِ والإِعراب

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: مكانة "لامية العرب" في التراث العربي والعالمي**
- **المبحث الثاني: أهم الكتب التي تناولت اللاميّة شرحاً وإعراباً**
- **المبحث الثالث: أهم المخطوطات التي تناولت لاميّة العرب**

لأمة العرب

❖ المبحث الأول

مكانة "لامية العرب" في التراث العربي والعالمي:

إن الاهتمام المستمر والدائب بهذه القصيدة لم يقتصر على الباحثين والعلماء القدماء فحسب، بل كان للمحدثين نصيب وافر منه، وهذا دليل قاطع على فخامتها وعظمة مكانتها في السجل الإبداعي الحافل لتاريخ الأدب العربي، لأن القصيدة التي تبقى خالدة ونابضة بالحياة على مدى قرون تجاوز عددها الخمسة عشر، ولازالت موضع عناية واهتمام المتخصصين دون فتور، لهي قصيدة فذّة بحق واستثنائية في تاريخ الآداب العالمية، وبتعبير آخر لايوجد نص أدبي بعمر هذه القصيدة لازال حياً ماعدا الملاحم الكبرى والتي عادة ما تتداخل أسباب أخرى خارجة عن بينة النص تساعد في ديمومة وجودها، ولكن الملفت للنظر حقاً هو بقاء قصيدة كل هذه المدة من الزمن حية بذات مفرداتها ونفس تراكيبها التي نسجها الشاعر في تلك الحقبة الزمنية، بل لازالت تحتفظ بدفئ أحاسيسها وبحيويتها الطافحة المتجددة، ولم تفقد أهميتها على الرغم من تقادم العصور، وحقاً لا يمكن اعتبار ذلك إلّا استثناءًا متفرداً في السجل الإبداعي العالمي.

لاشك أن لامية العرب تعد من أبرز غرر القصائد العربية على الإطلاق، فقد تم تأليف العديد من الكتب والمعاجم اللغوية والدلالية الخاصة بها، على سبيل المثال لا الحصر كتاب "لامية العرب للشنفرى، معجم ودراسة دلالية" للدكتورة ندى عبد الرحمن الشايع[1]، وكتاب (الشعراء الصعاليك في العصر

[1] – الكتاب عبارة عن معجم متخصص بألفاظ القصيدة مع تحليل دلالي لأبياتها، عالجت الكاتبة فيه الألفاظ الخاصة بالإنسان وحياته الاجتماعية، بحيث تناولت الألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان، وألفاظ القرابة والملبس والطعام والشراب كما عالجت أيضاً الألفاظ الخاصة بالكون والماوراء والبيئة الطبيعية الصحراوية وملامحها الجغرافية وما تحتوية من نباتات وحيوانات.

الجاهلي) تأليف يوسف خليف، وكتاب (الشعراء الصعاليك في الاسلام) للدكتور يوسف خليف أيضاً، وكتاب (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) للدكتور عبد الحليم حنفي، وكتاب (موسوعة الشعراء الصعاليك) للدكتور حسين جعفر نور الدين، وكتاب (شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظر شراحها، دراسة نقدية)[2]، إضافة إلى الكثير من الدراسات والبحوث المفصلة والمقالات المتخصصة التي كتبت عنها، وإذا أردنا أن نستقصي جميع ما تم كتابته عن "لاميّة العرب" فإن الأمر يستدعي بحثاً طويلاً وفهرسة معقدة تستعصي على الألمام الشامل بالكم الهائل من النتاج البحثي الاستقصائي لمضامين هذه القصيدة الجبارة على الصعد التاريخيّة واللغويّة والقيميّة، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن لاميّة العرب قد نالت إعجاب الأمم الأخرى وحظيت باهتمام كتّابهم ومؤرخيهم، وقد تمت ترجمتها إلى لغات عالمية عديدة[3]، والترجمة بدورها ساعدت على تنشيط حركة الدراسات والبحوث التي كتبت عنها بتلك اللغات أيضاً[4].

---

[2] – رسالة لنيل شهادة الدكتواراه للباحثة أحلام عبد العالي غالي الصاعدي.

[3] – ترجمت لامية العرب إلى أكثر اللغات الحية في العالم وأبرزها ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية واللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة الايطالية واليونانيّة والفارسية وغيرها من اللغات العالمية.

[4] – نالت لاميّة العرب القسط الأوفر من اهتمام المستشرقين على مدى قرون عديدة.

بعد ترجمة "لاميّة العرب" إلى اللغات العالمية الحيّة انطلقت حركة دراستها وتحليلها والاعتناء بكل ما ورد فيها من قبل مستشرقين كبار أمثال "جميس ردهوس"[5]والمستشرق الايطالي "فرنشسكو غابريلّي"[6] والمستشرق الفرنسي "أنطوان دي ساسي"[7] والمستشرق الألماني "فريتس كرنكو"[8] ومواطنه المستشرق

---

[5] – هو الباحث والمستشرق الإنكليزي البارز جميس ردهوس **Sir James William Redhouse** إهتم بالأدب العربي وترجم لامية العرب بعناية فائقة في رسالة باللغة الإنكليزية وعلق عليها شرحا وجيزا وسماها **The L – Poem of the Aisds** توفى عام **1892** ميلادية.

[6] – فرنشسكو غابريلّي **Francesco Gabrieli** ويلفظ أحياناً فرانسيسكو غابرييلي، ولد في روما إيطاليا في **27** أبريل **1904** م وتوفي فيها في **13** ديسمبر **1996** م، ويعد أحد كبار المستعربين والمستشرقين في إيطاليا في القرن العشرين .شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية في جامعة روما وأصدر العديد من الكتب المتعلقة بالحضارة العربية والإسلامية باللغة الإيطالية من بينها: (خلافة هشام) عام **1935** م، (التاريخ والحضارة الإسلامية) عام **1947** م، (تاريخ الأدب العربي) عام **1952** م. كما ألف كتابا بالفرنسية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم موسوم بعنوان (محمد) عام **1965**.

[7] – هو المستشرق الفرنسي أنطوان إيزاك سِلفستر دي ساسي ويلفظ أحياناً دو ساسي، ولد سنة **1758** م وتوفي سنة **1838** م وكان الدكتور عبد الرحمن بدوي صاحب موسوعة المستشرقين قد لقَّبَه بـ (شيخ المستشرقين الفرنسيين). عمل دي ساسي في معهد اللغات والحضارات الشرقية بباريس ويُعتبر أستاذاً كبيراً جهبذاً تخرج من تحت يديه كبار الأساتذة في اللغات الشرقية ولا سيما اللغة العربية. وكان دي ساسي قد درس اللغات اليونانية واللاتينية ثم العربية والعبرية. كما أتقن عدة لغات أوروبية.

[8] – فريتس كُرِنْكُو هو المستشرق الألماني الأصل ويسمى أيضاً فرتس كرنكوڤ ولد سنة **1872**م وتوفي سنة **1953**م هاجر إلى إنكلترا وأقام سنتين في الهند عمل خلالها أستاذاً للعربية في جامعة عليكره. وقد إعتنق الإسلام، وسمى نفسه محمد سالم الكرنكوي .

"ثيودور نولدكه"[9] والمستشرق الألماني أيضاً "جورج ياكوب"[10] الذي أطلق عليها لقباً جديداً (نشيد الصحراء) لفرط إعجابه بها والذي لم ينسخ اسمها الأصلي "لاميّة العرب"، ومما تجدر الإشارة له أنَّ هذا المستشرق قد أكد أنه لاتوجد أنشودة تمثل حياة الصحراء من شعر العرب كله كما تمثله هذه اللاميّة، وكان قد دافع عنها وعن أصالتها في انتمائها للشعر الجاهلي ضمن دراسة مفصلة، وقد حقق نسبتها لشاعرها الشنفرى بشكل قاطع، واقفاً بذلك ضد كل من ادعى نسبتها إلى الراوية خلف الأحمر[11].

وفي التراث الأدبي العربي كانت لهذه القصيدة العصماء حصة الأسد من المؤلفات والبحوث التي دارت في فضائها، وقد تواصلت حركة شروح هذه اللّاميّة الفريدة الخالدة التي تعد من أبرز الروائع الأدبيّة والنفائس الإبداعية انطلاقاً من القرن الثالث الهجري، وكذلك تفردت كتب عديدة في إعراب جميع

---

[9] – هو شيخ المستشرقين الألمان. ولد سنة 1836 في هامبورغ وتوفي عام 1930 م. وكان نولدكه قد أتقن العديد من اللغات الشرقية كالعربية، العبرية، والسريانية، ودرس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن، وقد حصل على شهادة الدكتوراه عن تاريخ القرآن في عام 1856م وهو لم يزل في سن العشرين، وقد عين مدرساً للتاريخ الإسلامي في جامعة غوتينغن عام 1861 م، ومن ثم وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام 1864 م.

[10] – هو المستشرق الألماني جورج ياكُبْ أو جورج جاكوب ولد سنة 1862 م وتوفى سنة 1937 م، أستاذ علم اللغات السامية في العديد من الجامعات الغربية، عرف باهتمامه بالآداب الشرقية وترجم الشعر عن العربية والفارسية والتركية، وألّف باللغة الألمانية كتباً عديدة منها "حياة البدو في العصر الجاهلي" و"جغرافيي العرب"، وله كتاب مهم آخر موسوم بـ (تأثير الشرق على الغرب).

[11] – خلف بن حيان الأحمر البصري الملقب (أبو محرز)، من علماء البصرة البارزين في اللغة والنحو، وعنه أخذ جميع أهل البصرة، فهو معلم الأصمعي وأستاذ أبو نواس ومعلم الكسائي. لقي خلف بشاراً وابن مناذر ومروان بن أبي حفصة والمبرد. مرض قبل وفاته ثم توفي حوالي عام مائة وثمانين هجرية.

أبياتها وكان ذلك الاهتمام علي يد كبار علماء اللغة أمثال الزمخشري[12]والمفضَّل الضَّبّي[13]والمبرد[14]وثعلب[15]وابن دريد[16]والعكبري والخطيب التبريزي وابن الشجري وغيرهم، وأكاد

---

[12] – هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري. ولد في زَمَخْشَر الواقعة في أوزبكستان اليوم وكانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب عام 467 هـ الموافق لعام 1074 م، وتذكر الروايات أنه توفي ليلة عرفة عام 538 هـ الموافق لعام 1143 م في جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة المكرمة. يقول السمعاني عنه في ترجمته: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة".

[13] – هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم، بن الرمال من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة، وكان يكنى أبو عبد الرحمن، وأبو العباس وكان من أكابر الكوفيين وثقاتها، لُغَوِيًّا، وأحد رواة الشعر الأعلام، علّامة راوية للأخبار والآداب وأيام العرب، وعالم كبير من علماء القرن الهجري الثاني قدم إلى بغداد أيام هارون الرشيد، وانتقل إلى البصرة أيضا، توفي سنة 178 هـــ. صاحب كتاب المفضليات، وهو أقدم مجموعة في اختيار الشعر العربي.

[14] – هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أبرز أئمة النحو والبلاغة والنقد والأخبار، ولد في البصرة سنة 210 هجرية الموافق لسنة 826 ميلادية وتوفي في بغداد سنة 286 هجرية الموافق لسنة 899 ميلادية وهو من العلماء المبرزين في عصر الدولة العباسية عاش في القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي)، من أشهر مؤلفاته (الكامل) و(الفاضل) و(المقتضب) إضافة إلى (شرح لامية العرب).

[15] – هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، الشيباني البغدادي النحوي، ولد في بغداد عام 200 هجرية الموافق لعام 816 وتوفي فيها أيضاً عام 291 هجرية الموافق عام 904 ميلادية. كان في بداية حياته مولى مَعْن بن زائدة، غلب عليه لقب ثعلب لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبهوه بثعلب إذا أغار، وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث، وكان محدّثاً مشهوراً بالحفظ والنقل الدقيق مع صدق اللهجة وله معرفة عميقة بالغريب ودراية في رواية الشعر القديم، من مؤلفاته (الفصيح) و (إعراب القرآن) و (الأوسط في النحو) و (قواعد الشعر)، و (شرح ديوان زهير) و (شرح ديوان الأعشى) و (المجالس) المعروف بـ (مجالس ثعلب) وهو مجلدان و (معاني القرآن) و (ما تلحن فيه العامة) و (معاني الشعر) و (الشواذ) و (إعراب القرآن) وغير ذلك وكان مقدماً عند الشيوخ منذ حداثة سنه. يشار إلى أن شرح ثعلب للامية العرب قد جمع مع شرح الزمخشري للقصيدة

أجزم أنه لم يمر قرن من القرون إلّا وقد اتشح صدره بكتاب أو أكثر تناول جانباً من جوانب هذه القصيدة أو قد تولّى شرحها، ولم تفتر أو تتراخى هذه الحركة حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري على يد المتأخرين أمثال سليمان بن عبد الله الشاوي[17]وابن التلاميد[18]. وعلى مدى هذه القرون توالت المؤلفات تترى حتى زاد عددها على الخمسين شرحاً أو أكثر ما عدا الكتب والدراسات والشروح الحديثة التي عنيت بهذه القصيدة العصماء التي طار صيتها في الآفاق والآماد.

نفسها في كتاب طبع عام 1300 هجرية في اسطنبول من الصفحات من 10 إلى 70 كما جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي) لفؤاد سزكين المجلد الثاني الجزء الثاني الصفحة 52.

[16] – هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري الدوسي ولد في البصرة في عام 223 هجرية الموافق لعام 837 ميلادية وتوفي عام 321 هجرية الموافق لعام 933 ميلادية وهو من نسل ملك العرب مالك بن فهم الدوسي الأزدي، وكان أبوه من وجهاء البصرة وكان ابن دريد عالِماً باللغة وشاعراً وأديباً يعد من أعظم شعراء العرب، وكان يقال عنه :ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء.

[17] – هو الحاج سليمان بك بن عبد الله الشاوي العبيدي الحميري البغدادي توفى عام 1209 هجرية الموافق لعام 1794 ميلادية، أمير جليل ومن أبرز زعماء العشائر في العراق في عصره. كان شاعراً مفوهاً وأديباً بارعاً وسياسياً شجاعاً، ومن آثاره كتاب (سكب الأدب على لامية العرب)، وله مبرّات جليلة منها إنشاء خان كبير بين قرية المحاويل وكربلاء يأوي إليه زوار العتبات المقدسة. ووقف عليه أوقافا كثيرة، كما أنشأ مدرسة وجامعا في عانة ووقف عليهما أوقافا. ثار ضد العثمانيين وأجار الثوار، وقد اغتاله أحد أقاربه في أنحاء الخابور سنة 1209 هـ. ورد اسمه وسيرته في كثير من الكتب إضافة إلى أن هناك كتب تخصصت في سيرته مثل كتاب (سليمان الشاوي ودوره السياسي في تاريخ العراق الحديث) لعطية مساهر.

[18] – هو محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي المعروف باسم ولد التلاميد أو ابن التلاميد أموي النسب، ولد في عام 1245 هجرية الموافق لعام 1829 ميلادية وتوفي عام 1322 هجرية الموافق لعام 1904 ميلادية. لغوي وأديب وعلّامة موريتاني ذاع صيته في عصره. انتدبته حكومة الأستانة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني للسفر إلى إسبانيا والاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، فقام بذلك على أتم وجه.

وإذا حاولنا الاكتفاء بذكر أهم الكتب وأبرزها التي تناولت قصيدة "لامية العرب" بالشرح والإعراب على سبيل المثال لا الحصر، فسوف تقف أمامنا كتب مهمة عديدة.

❖ المبحث الثاني

أهم الكتب التي تناولت اللاميّة شرحاً وإعراباً:

- **كتاب (شرح المبرد على لامية العرب) لمؤلفه محمد بن يزيد المعروف بالمبرد.[19]**
- **كتاب (أعجب العجب في شرح لامية العرب) للزمخشري.[20]**
- **كتاب (نهاية الأرب في شرح لامية العرب) لعطاء الله بن أحمد الأزهري.[21]**
- **كتاب (تفريج الكُرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لاميّة العرب)[22]لابن زاكور الفاسي.[23]**

---

[19] – مرت ترجمته

[20] – مرت ترجمته

[21] – هو عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله المصري الأزهري المكي أحد أبرز علماء القرن الثاني عشر الهجري القرن الثامن عشر الميلادي ولم يتم التحقق من تاريخ ولادته ووفاته بالضبط وهو أحد الأعلام الأدبية والمعرفية في العصر العثماني.

[22] – توجد نسخة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية رقمها **3889**.

[23] – هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة **1120** هجرية الموافق لسنة **1708** ميلادية.

- **كتاب (المنتخب في شرح لامية العرب) ليحيى بن أبي طي الحلبي[24]وتوجد النسخة الخطيّة الأصلية من هذا الكتاب في متحف الأسكوريال[25] في إسبانيا رقمها 314.**
- **كتاب (إعراب لامية الشنفرى) تأليف أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي.[26]**
- **كتاب (شرح لامية العرب) للخطيب التبريزي.[27]**

---

[24] – يحيى بن محمد ابن أبي طي يحيى بن حميدة بن ظافر بن علي بن عبد الله الغساني الحلبي، الشهير بابن أبي طي النجار، ولد سنة 575 وتوفى سنة 630 هجرية..

[25] – يتكون متحف الإسكوريال من مجموعة مبان أثرية شيدت في القرن السادس عشر الميلادي في قشتالة الجديدة قرب قرية سان لورنزو إسكوريال في الناحية الشمالية الغربية من مدريد وهي من أروع وأفخم الصروح الملكية في أوروبا وذلك لعظمة بنائها ومحتوياتها الفنية ومكتبتها الشهيرة. وأهم ما تشتهر به مكتبة الأسكوريال هو احتوائها على كتب ومخطوطات قديمة وأعمال علمية وأدبية لعلماء عرب عاشوا في القرون الوسطى (حسب المصطلح الأوروبي) تزيد على ستين ألف مجلد إضافة إلى ذخيرة نفيسة مما استنقذه الزمن من مخطوطات التراث العربي الإسلامي الأندلسي تبلغ نحو ألفي مخطوطة.

[26] – عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، محب الدين الملقب بأبي البقاء العكبري، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. أصله من عُكبرا (بلدة تقع على نهر دجلة شمال بغداد) ولد في بغداد عام 538 هجرية الموافق لعام 1143 ميلادية ومات فيها أيضاً في ربيع الأول عام 616 هجرية الموافق لعام 1219 ميلادية. أصيب في صباه بمرض الجدري، ففقد بصره. وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنف من الكتب في الموضوع. فيقرأها عليه بعض تلاميذه، ثم يملي عليهم من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه.

[27] – هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي وشهرته الخطيب التَّبريزي. لغوي عربي ولد في تبريز سنة 421 هحرية الموافق لعام 1030 ميلادية، تتلمذ على يد أبي العلاء المعري. نشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، ودخل مصر. ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة 502 هجرية الموافق لكانون الثاني عام 1109 ميلادية.

- **كتاب (عنوان الأدب بشرح لامية العرب) لأبي الإخلاص.[28]**
- **كتاب (رشف الضرب في شرح لاميّة العرب)[29] لأبي البركات.[30]**
- **كتاب (سكب الأدب على لاميّة العرب)[31] لسليمان بن عبد الله الشاوي.[32]**

---

[28] – هو أبو الاخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي أديب مصري صاحب كتاب (الدر النضير في آداب الوزير) الذي أنجزه في شهر شوال أو شهر جمادى الآخرة سنة 1101 وهو فوائد تتعلق بمنصب الوزارة، ألّفه لأحد وزراء الدولة العثمانية بمصر. لم تذكر كتب الأعلام تاريخ ولادته ووفاته غير إشارة أنه كان حياً في عام 1101 هجرية الموافق لعام 1690 ميلادية وكتابه (عنوان الادب بشرح لامية العرب) مخطوط في دار الكتب المصرية القاهرة رقم: أدب 195، إضافة إلى كتاب (التحفة المرضية) في شرح لامية ابن الوردي وهو مخطوط أيضاً.

[29] – توجد نسخة منه في مكتبة المتحف البريطاني في لندن (رقمها اضافات 584/23).

[30] – هو أبو البركات جمال الدين عبد الله بن الحسين بن مرعي البغدادي الشافعي المعروف بالسويدي وهو رأس هذه الأسرة البغدادية العريقة وأول من لقب بهذا اللقب وهو شاعر ونحوي ومحدث وفقيه من آثاره إضافة إلى كتاب (رشف الضرب في شرح لامية العرب) كتاب (شرح الجامع الصحيح للبخاري) و (النفحة المسكية في الرحلة المكية) و (الجمان في الاستعارة) وهو ديوان شعر ولد في بغداد عام 1104 هجرية الموافق لعام 1692 توفي فيها بتاريخ 11 شوال عام 1174 هجرية، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي.

[31] – مجلد مخطوط في الخزانة الخالدية في الأوقاف في بغداد الرقم: أدب 405، وتوجد نسخة أخرى منه في مكتبة الدولة في برلين. وتذكر المصادر أن سليمان بن عبد الله بك الشاوي قد ألّف الكتاب سنة 1178 هجرية، وتوجد عليه تقاريظ لعلماء عصره. جاء ذلك في كتاب (الحدائق الوردية في سير وتراجم علماء النحو والصرف والعربية) لكامل عويضة الصفحة 97.

[32] – مرّت ترجمته.

- **كتاب (هاميّة الطرب في شرح لاميّة العرب) لأبي حامد محمد المكيّ.[33]**
- **كتاب (إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لاميّة العرب) لسعيد بن مسعود الماغوسي.[34]**
- **كتاب (شرح لاميّة العرب "الشنفرية") لأحماد بن أبا الأبهمي.[35]**
- **كتاب (شعر الشنفرى الأزدي) لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي.[36]**

---

[33] – هو أبو حامد محمد المكي بن محمد بن علي ابن عبد الرحمن الشرشالي البطاوري. ولد وتوفي في الرباط في المغرب عام 1355 هجرية الموافق لعام 1936 ميلادية. أديب وقاضي ولي القضاء في الرباط أحد عشر عاماً وكان يهتم بالحديث والتفسير. ذكره الزركلي في أعلامه الجزء السابع الصفحة 110.

[34] – هو أبو جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المراكشي، ويعرف بأبي جمعة أو ابن أبي جمعة الصنهاجي ولد عام 950 هجرية الموتفق لعام 1543 ميلادية وتوفي عام 1016 هجرية الموافق لعام 1607 ميلادية، من علماء مراكش البارزين له تصانيف عديدة منها كتاب (إتحاف ذوى الأرب بمقاصد لامية العرب) ونسخته الأصلية تتكون من 186 ورقة موجودة في الأحمدية في تونس برقم (4767) وتوجد نسخة مكتوبة بخط مغربي جميل ومشكول في خزانة الرباط (117 جلاوي). ألف الماغوسي الكتاب سنة 990 هجرية وهي السنة التي ألف فيها شرح لامية العجم وكان شرحه أنموذجاً في التأليف منهجاً ومضموناً وهو إنجاز جيد في بابه ودرة يتيمة في عصره، تجدر الإشارة أن الماغوسي لم يكن راضياً عن الشروح التي تناولت لامية العرب قبله كشرح العكبري والزمخشري وغيرهما ويقول أنه يتوخى إيضاح أبيات اللامية لغة وبلاغة ونحواً من أجل أن يكشف عن معانيها، كما جاء في المقدمة التي كتبها ويفصح في مقدمة شرحه في معرض تعريفه للكتاب: (أسعف طالبيها بقواعد تصريفية في فصول لغوية أمهدها، وأتحف قاصديها بفوائد نحوية في عوائد معنوية أسردها، لتكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً عند التأمل يحتذونه) كما جاء على لسان محقق الكتاب الدكتور محمد أمين المؤدب الفصل الثالث الصفحة 38.

[35] – هو الشيخ الموريتاني أحماد بن محمدو بن أبا الديماني ثم الأبهمي.

[36] – هو مؤرِّج بن عمرو بنُ الحارث بن ثور ابن حرملة بن علقمة بن عمرو بن السَّدوس، يكنى أبو الفيد، يعد من العلماء المشهود لهم بالثقة والدّراية في علوم العربية، نشأ في البصرة وتتلمذ على يد كبار علمائها كالخليل بن أحمد وأبي عمرو، ولقي مكانةً مرموقة عند الخلفاء العباسيين منهم المأمون. توفي عام 195 هجرية الموافق لعام 810 ميلادية.

- **(شرح لاميّة العرب)[37] لعبد القادر بن عمر البغدادي.[38]**
- **(شرح لاميّة العرب) لابن الشجري النحوي.[39]**
- **(شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى) للدكتور عبد الحليم حنفي.**

---

[37] – قام عبد القادر بن عمر البغدادي (توفي سنة 1093 هجرية) بشرح لاميّة العرب، إلّا أنه لم يفرد لهذا الشرح كتاباً مستقلاً وإنما نثره في كتابه القيم الموسوم بـ (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) الذي يعتبر من أمهات كتب تراث الأدب العربي وقد قام بتحقيقة عبد السلام محمد هارون وقام بعد ذلك محمود بن محمد العامودي بجمع هذه الشروح المنجمة في الكتاب المذكور وجمعها وقام بتحقيقها ونشرها بعنوان: (شرح لامية العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي).

[38] – جاءت ترجمته في التحقيق الذي قدمه محمود بن محمد العامودي ونشر في مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2011، المجلد 13. العدد 1 (A) الصفحة 35 –85 الموسوم بعنوان: (شرح لاميّة العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي) كالآتي: هو عبد القادر بنعمر البغدادي، علامة بالأدب والتاريخ والأخبار، ولد وتأدب ببغداد، وأولع بالأسفار، فرحل إلى دمشق ومصر وأدرنة، وجمع مكتبة نفيسة، كان يتقن آداب التركية والفارسية. توفي سنة 1093 هجرية في القاهرة.

[39] – ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولد عام 450 هجرية الموافق لعام 1058 ميلادية وتوفي عام 542 هجرية الموافق لعام 1147 ميلادية. أديب ونحوي بغدادي، يعتبر من أشهر نحاة القرن الخامس والسادس الهجري، ولد في بغداد لأسرة نقيب للطالبيين بالكرخ، وتوفي فيها. عاصر ابن الشجري العديد من الخلفاء العباسيين. ووتتلمذ على يد أبي البركات الأنباري، غير أنَّه أخذ العلم عن غيره أيضاً مثل ابن طباطبا العلوي، ويحيى بن محمد، والخطيب التبريزي، ويحيى بن علي، وعمر ابن إبراهيم العلوي الزيدي. تولى نقابة الطالبيين بالكرخ خلفاً لوالده.

❖ المبحث الثالث

أهم المخطوطات التي تناولت لاميّة العرب:

- **مخطوطة (إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولاميّة العرب)[40] لمحمد محمود الشنقيطي بن التلاميد.[41]**
- **مخطوطة لأحمد بن محمد بن إسماعيل المعافى الضحوي التهامي.[42]**
- **مخطوطة لابن ايلجك التركي (محمد بن الحسن) وفيها شرح لامية العرب ألفه عام 698 هجرية الموافق لعام 1298 ميلادية، توجد نسخة من هذه المخطوطة بخط المؤلف في مكتبة آيا صوفيا في إسطنبول رقمها 3145.**

---

[40] – مخطوطة (إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدثه عاكش اليمن في لغتهم ولاميّة العرب) وهي حاشية على شرح لـ "لامية العرب" تتكون من 35 ورقة. رد بها على الشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بعاكش اليمني الذي ولد عام 1221 هجرية الموافق لعام 1807 ميلادية وتوفي عام 1289 هجرية الموافق لعام 1872 ميلادية وكان عاكش قد شرح لامية الشنفرى شرحاً أخطأ في مواضع كثيرة منه. وقد طبعت هذه المخطرطة في دار ابن حزم في بيروت وقد قام بدر لعمراني بتحقيقها وكذلك طبعت في دار غراس الكويت 1426عام هجرية ومعه (قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميد)، وقام بتحقيق الكتاب كلٌّ من رائد بن سعد الشلاحي، ومحمد حسّان الطيّان، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

[41] – مرّت ترجمته

[42] – هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المعافى، الضحوي التهامي أديب، يمني، ولد نحو عام 1233 هجرية الموافق لعام 1818 ميلادية وتوفي عام 1280 هجرية الموافق لعام 1863 ميلادية. له (تراجم رجال صحيح البخاري) ولكن لم يكمله، و (عقود اللآلي المنتسقات في شرح السبع المعلقات والثلاث الملحقات) في دار الكتب، و (شرح لامية العرب) وله شعر أيضاً. ذكره الزركلي في أعلامه الجزء الأول الصفحة 246.

- **مخطوطة للنجحواني (المؤيد بن عبد اللطيف) وفيها شرح لقصيدة "لاميّة العرب" ألفه النجحواني عام 983 هجرية الموافق لعام 1574 ميلادية وتوجد نسخة منها في مكتبة ليدن بهولندا رقمها 3/2758.**
- **مخطوطة بخط يد محمد بابا الصحراوي الشنقيطي المتوفي عام 1342 هجرية.**

وكما مر فإن الإحاطة تتعسر بكل ما كتب عن "لاميّة العرب" لكثرة الكتب والمخطوطات والدراسات والبحوث التي دارت بفلكها، وذلك لتواصل اهتمام علماء الأمة بها منذ القرن الثالث الهجري إلى يومنا هذا دون انقطاع فلا يخلو قرن من القرون من تحرير كتاب أو أكثر يتعرض لقصيدة "لامية العرب" شرحاً أو إعراباً أو توثيقاً.

* * *

لأمة العرب

الفصلُ الثّاني

ظَاهرةُ الصَّعاليك

أَضواءٌ على نشأتهم وحركتِهم الاجتماعيّة والسياسيّة

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة "صعاليك".**
- **المبحث الثاني: نشوء حركة الصعاليك.**
- **المبحث الثالث: التقسيم الفئوي للصعاليك.**
- **المبحث الرابع: عوامل تكوين حركة الصعاليك.**
- **المبحث الخامس: أضواء كاشفة على حركة الصعاليك الاجتماعية والسياسية.**
- **المبحث السادس: زعامة الحركة التغييرية والتنظير لها.**
- **المبحث السابع: حركة الصعاليك تجاوزت تسميتها.**

لأمة العرب

قبل الولوج في بسط موضوعة الصعاليك كظاهرة سياسية اجتماعية إبداعية ألقت ظلالها بقوة على تاريخ الأدب العربي، أجد من الضروري الوقوف على تعريف واضح لمعنى كلمة الصعاليك من الناحتين اللغوية والاصطلاحية، ومن ثم التعريج على نشأتهم كإضاءة أوليّة تفيدنا في الاشتمال على بقية الجوانب المهمة من هذا الموضوع، بعدها يتم تناول أبعاد الحركة الصعلوكية من الناحيتين السياسية والإبداعية.

❖ المبحث الأول

المعنى اللغوي والإصطلاحي لمفردة "صعاليك":

أولاً: المعنى اللغوي: الصعاليك لغةً جمع صعلوك، ومعنى صعلوك في اللغة لا يخرج عن دائرة الفقر وآثاره. قال ابن منظور[43]في قاموسه الجامع الشهير "لسان العرب": "الصُّعلوك: الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد". وقيل تَصَعْلَكَتِ الإِبِلُ أي طَرَحَتْ أوبارَها، وقد زِيدَ على هذا المعنى، فقيل وانْجَرَدت، وهو أثر من آثار الفقر وضيق الحال أيضاً، لأن الفقر إذا اعترى إنساناً فإنه يجرده بطبيعة الحال من كل خصائص الخير والرفاه. ومن هنا فإن الكثير من كتب التاريخ والأدب عند تعرضها لمفردة الصعلكة تكتفي بالتفسير اللغوي لها ولا تحيد عنه، والذي لا يتعدى الفقر والتجرد. والصعلوك بالمعنى الشائع هو الفقير الذي لا مال له كي يستعين به على أعباء الحياة وصروفها، ولا اعتماد له على شيء ولا حتى عزوة تشدّ أزره أو أحد يتكئ عليه.

---

[43] – أبو الفضل، محمد بن مكرم بن عليّ، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي المعروف بـ (ابن منظور)، ولد في تونس وقيل طرابلس وقيل مصر عام 630 هجرية الموافق لعام 1232 ميلادية، وتوفي فيها بعد أن أصيب بالعمى عام 711 هجرية الموافق لعام 1311 ميلادية وهو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلّفاته معجم لسان العرب ويتميز ابن منظور بكونه الإمام اللغوي الذي يُحتج بلغته.

وقد جاء في تاج العروس[44]في باب (صعلك) صعلك: صَعْلَكَهُ صَعْلَكَةً أَفْقَرَهُ والصُّعْلُوكُ في اللفظ كعُصْفورٍ ومعناه الفقيرُ كما في الصِّحاحِ. زَادَ ابنُ سِيْدَه: الذي لا مَالَ له، زَادَ الأَزْهَرِيُّ[45]: ولا اعْتِمَاد، وقالَ في هذا المعنى أبو النَّشْنَاش[46]:

وسائلةٍ بالغيبِ عَنِّي وسَائلٍ

ومَن يسألُ الصُّعْلُوكَ أَينَ مَذاهِبُه

وجَمْعُ الصعلوك الصَّعالِيك – والكلام لا زال في "تاج العروس" – وأَنْشَد اللَّيْثُ[47]:

---

[44] – كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس) يقع في أربعين جزءاً من تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي.

[45] – الازهري اللغوي: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب معجم تهذيب اللغة وكتاب "الزاهر" توفي عام 370 هجرية.

[46] – يلقب "أبو النشناش" وقيل إن اسمه أبو النشناش النهشلى التميمى. وقالت الأعراب إن ثلاثتهم كنية ولقب له. وهو لص من لصوص بنى تميم. وكان يعترض القوافل في منطقة "شذاذ" التي تقع بين طريق الحجاز والشام. كان يجمع رفقائه من صغار الصعاليك ومطاريد الجبل ويعترض القافلة فيجتاحها ويظفر بما تحتويه. وقد روى عنه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني الجزء الحادي عشر الصفحة: 42 – 43 أنه: (كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها، فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك، ثم مر بحي من بني لهب فقال لهم: رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئًا ونظر عن يساره فرأى غرابًا على شجرة بان ينتف ريشه وينعب؟ فقال اللهبي: إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر! قال: لا، بل بفيك. وأنشأ يقول الشعر.) وقد جرى في شعره على نهج صعاليك العرب في فخرهم بالحصول على المغانم وأن العيش يطلب من صاحبه الجرأة وألا يبالي بالموت في سبيل الظفر بما يبغيه من مال.

[47] – أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة الفهمي المعروف بـ (الليث) ولد عام 94 هجرية الموافق لعام 713 ميلادية وتوفى عام 175 هجرية الموافق لعام 791 ميلادية، فقيه ومحدث وإمام أهل مصر في زمانه.

إن اتباعَك مولى السوءَ يتبَعه

لكَ الصعاليك ما لم يَتخذ نشبا

وتَصَعْلَكَ الرجُلُ افْتَقَرَ وأَنْشَدَ الجَوْهَرِيُّ[48] في كتاب (الصِّحاحِ تاج اللغة وصحاح العربية) أبياتاً لحاتم الطائي[49]قال فيها:

عَنِينَا زَماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنَى

فكُلّاً سَقانَاهُ بكَأْسَيْهِما الدَّهرُ

فَمَا زَادَنا بَغْيًا عَلى ذِي قَرابةٍ

---

[48] – هو إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَري، عالم ولغوي، يكنى بأبي نصر، أول من حاول الطيران ومات في سبيله عام 393 هجرية الموافق لعام 1003ميلادية. أصله من "فاراب في كازاخستان حاليا"، دخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. عندما دخل العراق قرأ العربية على أبي علي الفارسي، والسيرافي، ثم طاف بلاد ربيعة ومضر، فأخذ العربية مشافهة من العرب، قال عنه ياقوت:كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلماً. وقد صنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا.

[49] – هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطّائيّ ويُلقب بأبي عَدي وأبي سفّانة شاعر عربي جاهلي كبير وأمير قبيلة طيء العربية المعروفة توفي عام 46 قبل الهجرة الموافق لعام 605 ميلادية وقد اشتهر بكرمه وفروسيته وأشعاره وجوده حتى نسب الكرم إليه. ومما يذكر عنه أن جده، عيّنه راعياً ومسؤولاً عن الإبل، ويُقال أن رجالاً أتوا عند حاتم فأكرمهم ووزع عليهم إبل جدّه بعد معرفته بأنّهم شعراء، فغضب جدّه عندما علم بالخبر وتخلّى عنه، وظلّ حاتم الطّائيّ على هذه الحال التي كان عليها من كرمٍ وسماحة في النّفس، وعدم تخلّفٍ عن العطاء والبذل حتّى وفاته.

غِنانا، ولا أَزْرَى بأَحْسابِنا الفَقْرُ

وقد ذُكرت هذه الأبيات في كتاب (شرح ديوان الحماسة)[50]للمرزوقي[51]أيضاً. ومعنى (عَنِينَا زَمانًا) أي عِشنا زمانًا. وفي التصعلك قال الأَصْمَعِيُّ في وصف أَبي دواد لخيل:

قد تَصَعْلَكْن في الربيع وقد قـ رَّعَ جَلْدَ الفرائِضِ الأَقدامُ

تَصَعْلَكْن دَقَقْن، وطار عِفَاؤُها عنها، والفريضَةُ موضعُ قدم الفارِس. وصعليك اسمُ رجُلٍ كذا في النسخِ وفي التكْمِلَةِ وصَعْلَكِيكٌ اسمٌ. ومِمَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيه: المُصَعْلَكُ من الأَسْنِمَةِ التي كأَنَّما حَدْرَجْتَ أَعْلاه، وكأَنَّما صَعْلَكْتَ أَسْفَله بيدِك ثم مَطَلْتَه صُعُدًا أي رَفَعْته على تلك الدَّمْلَكَةِ وتلك الاستِدارَةِ. وقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة معنى الصعلكة من: تصعلكَ يتصعلك، تصعلُكًا، فهو مُتصعلِك. وتصعلك الشَّخصُ: افتقر، عاش عيشة الصُّعلوك، أي: الفقير الذي لا يملك شيئاً أو مسنداً. وقد

[50] – كتاب (شرح ديوان الحماسة) تأليف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني توفى عام 421 هجرية.

[51] – هو أحمد بن محمد بن الحسن، يكنى أبو علي المرزوقي، توفى عام 421 هجرية: عالم بالأدب، من أهل أصبهان. كان معلم أبناء بني بويه فيها. من كتبه (الأزمنة والأمكنة) وهو مجلدان، و (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) أربعة مجلدات، منه مخطوطة متقنة كتبت سنة 523 هـ، في خزانة مغنيسا (الرقم 2751) و (شرح المفضليات) و (الأمالي) و (القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما) رسالة نقلا عن

تطرق الدكتور شوقي ضيف[52]في كتابه الموسوم (تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي)[53]إلى معنى الصعلوك لغة وحدده بأنه الفقير الذي لايملك المال الذي يساعده على العيش وتحمل أعباء الحياة، مؤكداً أن هذه اللفظة قد تجاوزت دلالاتها اللغوية وأخذت معاني أخرى كقطاع الطرق الذين يقومون بعمليات السلب والنهب.

ومن مجمل هذه المعاني اللغوية استخرج الدكتور يوسف خليف[54]معنى مكثف للصعاليك اعتمد فيه مبدأ التسديد والمقاربة وتتبع القواسم المشتركة التي وردت في الكتب التي سبقت كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، يلخصه بكلمتي "الضمور والانجراد" لأن الصعلكة في المفهوم اللغوي عنده تعني "الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله، ويظهره ظامراً هزيلاً بين أولئك الأغنياء المترفين، الذين

---

[52] – أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف أديب وعالم لغوي مصري ترأس مجمع اللغة العربية المصري ولد شوقي ضيف في يوم 13 يناير 1910 في قرية أولاد حمام في محافظة دمياط شماليّ مصر وتوفي في 10 مارس 2005 ميلادية. يعد علامة من علامات الثقافة العربية. ألف عدداً من الكتب في مجالات الأدب العربي، وناقش قضاياها بشكل موضوعي.

[53] – كتاب تأريخ الأدب العربي سلسلة كتب تقع في عشرة أجزاء، نهج شوقي ضيف في توثيقه لتاريخ الأدب، منهج التقسيم إلى عصور أدبية تبعًا للتقسيمات السياسية للعصور، فقسم العصور الأدبية إلى خمسة أقسام، يبدأ أولها في العصر الجاهلي، في حين ينتهي القسم الأخير في العصر الحديث.

[54] – البروفيسور يوسف خليف أديب مصري متخصص في تاريخ العرب في صدر الإسلام وقبل الإسلام وله نتاج علمي متميّز يوضح مدى اهتمامه بالتراث العربي. ومن أبرز أعماله التي تجاوزت 22 كتاباً كتاب: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. ولد يوسف خليف في مدينة الإسكندرية بمصر عام 1341 هجرية الموافق لعام 1922 ميلادية، وتُوفِّي عام 1415 الموافق لعام 1995 ميلادية.

أتخمهم المال وسمنهم"[55]. واستناداً إلى ما تقدم وإلى الأصل اللغوي للمفردة أصبح الصعلوك هو الفقير الذي تجرد من المال.

ثانياً: المعنى الإصطلاحي: معنى الصعاليك إصطلاحاً انحسر في المعنى الوارد في مصطلح (صَعَالِيك العَرَبِ) أي: ذُؤبانُها. وهم جماعة من العرب عاشوا في عصر ما قبل الإسلام[56]، كانوا لا يعترفون بسلطة القبيلة وتقاليدها، وقد تمرّدوا عليها، وهم ينتمون لقبائل مختلفة، فطُردوا من قبائلهم واستطاعوا أن يؤسسوا كياناً خاصاً بهم. ومعظم أفراد هذه الجماعة كانوا من الشعراء المجيدين وقصائدهم تعدّ من عيون الشعر العربي. وقد تم الاشتقاق من نفس المفردة مصطلح (عُرْوَةُ الصَّعالِيكِ) وهو لقب عروة ابنُ الوَرْدِ وقد لُقِّبَ به لأَنَّه كان يَجْمَعُ الفُقَراءَ في حَظِيرَةٍ فَيَرْزُقُهمْ مِمَّا يَغْنَمُه كما في الصِّحاحِ[57].

❖ المبحث الثاني

نشوء حركة الصعاليك:

إن التلمسات الأولية والإرهاصات الأولى لحركة الصعاليك انطلقت من الطبيعة النفسية والمزاجية الفطرية المتمردة والنافرة لشخوص الصعاليك أنفسهم، وهذه الطبيعة تشيّئت من حالة الصراع النفسي المحتدم في دخيلتهم، حيث كان الصعلوك لا يرى بُدّاً من مفارقة قومه، ولا يتوانى عن معارضة عشيرته،

---

[55] – كتاب (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) تأليف الدكتور يوسف خليف ص22– 23

[56] – توجد بعض الامتدادات للصعاليك في العصر الراشدي والأموي وبدايات العصر العباسي إلّا أنهم لم يحتفظوا بذات السياقات والمنطلقات المعهودة عند الصعاليك في العصر الجاهلي.

[57] – كتاب (الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية) تأليف أبي نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ود. محمد نبيل طريفي، الجزء الرابع الصفحة 375.

لأنَّ معظم أفرادها حسب نظره يقيمون على الضيم ويرضخون له نتيجة سطوة الظلم القائم في النظام القبلي، وهو بطبيعته – أي الصعلوك – يأبى الضيم ولا يقيم على ظلم، بل يثور عليه، ومن خلال القراءة السايكولوجية الأولية لنفسية الصعلوك يتضح أنه كان نافراً من بعض التشوهات القيمية الحاصلة في مجتمعه آنذاك مثل: إذاعة السر وعدم احترام الخصوصية، بينما هو يتمتع بشخصانية عالية تجعله معتدّاً بذاته، حريصاً على احترام خصوصيته، مجسداً ما يتمتع به من شيمة الأنفة وحفظ السر بالقول وأفضل قول الصعاليك الشعر، وأفضل فعالهم النخوة والنجدة، وكان الصعلوك يجد أن النظام القبلي يتراصف دائماً مع القوي ضد الضعيف، وإذا قام أحد الأفراد العاديين بفعلة معينة لا ترضي المتسلطين، فإن القبيلة تخذله ولا تتراصف معه، في حين أن نواقيس رفض هذا الخذلان تقرع في داخله، وروحه تأبى الركون إلى الضيم والظلم، ومن هنا تصيّر في ذات الصعلوك نزوع يدفعه إلى الإلتجاء إلى ما هو ناءٍ وبعيد من الأمكنة حيث تسقط فيها القوانين الجائرة للقبيلة، ويكون في منأى عن التعسف والأذى، فيتلمس مضطرباً نائياً في الأرض ينعزل به بعيداً عن الرزوح تحت طائلة الاستغلال والضيم، يتنفس في ذلك الـ (مَنْأى) هواء الحرية النقي وأوكسجين الكرامة والكبرياء، ويتقي فيه أسباب البغض والتنافر والقِلى كما وصفت ذلك قصائدهم وبالذات "لاميّة العرب" إذ يقول الشنفرى فيها:

وفي الأرضِ مَنْأىً، للكريم، عَنِ الأَذَى

وفِيهَا، لمَنْ خَافَ القِلى، مُتَعزَّلُ

فلا غرو إذا استبدل الصعلوك – الشنفرى إنموذجاً – أهله بغيرهم، وحلَّ أهلون لا يمتّون بصلة إلى قومه محلهم، أو بتعبير أدق إذا استطاع أن يعوض انصرافه عن عشيرته بمجتمع جديد أفراده الضواري والكواسر والوحوش، وقد يبدو ذلك للوهلة الأولى تصرف غريب، ولكن لا يحق لنا أن نستغرب مثل

هذه التصرفات، قبل التمعن بطبيعة الظرف القسري الذي يعيشه الصعلوك والذي ألجأه وفق قاعدة الضرورة إلى اتخاذ مثل هذا القرار المصيري، فشكل عنده هذا الخيار وفق رؤيته مفهوم البديل الأمثل، لا سيما أنه قد وجد ضالته في هذه البيئة الجديدة وتأقلم في هذه العوالم المغايرة لحياته السابقة داخل القبيلة، فنراه قد انسجم وتآلف مع تلك الكائنات التي من مواصفاتها عدم إذاعة السر أو خذلان الصاحب مهما كانت جريرته.

وَلِي، دُونَكم، أَهلُونَ: سِيْدٌ عَمَلَّسٌ

وأَرقطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأهلُ، لا مُستودَعُ السرِّ ذائِعٌ

لَدَيهِم، ولَا الجَانِي بِمَا جَرَّ، يُخْذَلُ

إذا اعتبرنا أن فقر الحال وشظف العيش هو أهم الدوافع للتصعلك، تقف أمامنا حقيقة الصعاليك المغايرة، كونهم ليسوا كالفقراء العاديين الذين رضوا لأنفسهم عيش الذل والهوان، وارتضوا أن تكون يدهم هي اليد السفلى، ونراهم قد كسروا بإرادتهم القوية هذه القاعدة، لأنهم لم يقبلوا ذلك، بل لم يتقبلوه أصلاً، ولم يرتضوا لأنفسهم مواربة الظلم ومشايعة الباطل أبداً، فهم ليسوا ممن يذلهم الفقر، إذا كان الفقر هو العلامة السائدة، لذلك قد شطّ الصعاليك عن المعهود، واتخذوا لأنفسهم مساراً خاصاً وسلوكاً متميزاً عن سواهم، لأنهم أبوا إلّا أن يعيشوا أحراراً متعففين لا يرتضون لأنفسم أن

يكونوا عالة على غيرهم، وقد رفضوا باعتدادهم بأنفسهم وشموخهم أن يكون أحد من الناس متفضلاً عليهم، ونستشف ذلك من قول بكر بن النطاح[58]:

ومَن يَفتقرْ مِنّا يَعشْ بحسامِهِ

ومَن يَفتقرْ مِن سَائرِ الناسِ يَسأَلِ

والصعاليك كانوا ذوو رغبة جامحة بالانعزال والانفراد، وكانوا يجنحون نحو التمرد والثورة على القيم التي أسهمت في نبذهم وصعلكتهم، لذلك اهتموا في البحث عن قيم المساواة وإحقاق الحق، سواء تم ذلك باستخدام القوة أم بالمسالمة، فنذروا أنفسهم في سبيل الكرامة وأرخصوا دماءهم من أجل رفع الظلم والتعسف عن كاهلهم وكاهل الناس الفقراء، وقد امتازوا بأنفتهم وحميتهم وشددوا بالفعل قبل القول على أن الحمية التي تغلي كالمرجل في نفوسهم إنما هي حمية النجدة والكرامة والشجاعة، وليس العصبية القبلية، وإن هذه الحمية متى ما اجتمعت عند فارس مع حسن استخدامه للسيف ومقدرته على الصول بجنان والقول ببيان، فسيتمكن من دفع الظلم ومقارعته، وتحقيق العدالة الإجتماعية وإحقاق الحق والوصول إلى عنان المجد والسمو في فضاء الحرية الرحب، ونجد في أشعارهم الكثير مما يؤكد هذا، كقول عمرو بن براقة[59]وهو يخاطب امرأة حذرته من الإغارة:

---

[58] – بكر بن النطاح الحنفي البصري، وقيل أنه عجلي يكنى أبو وائل: وهو شاعر غزل ولد في اليمامة، من فرسان بني حنفية، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقاً سلطانياً عاش به إلى أن توفى. وكان كثيراً ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام، وهو القائل: هنيئاً لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بحلوان قراع الكتائب

[59] – عمرو بن برّاق بن عمرو بن منبه النهميّ، من قبيلة همدان، المعروف بـ (عمرو بن برّاق)، ورد إسمه في بعض المصادر بأنه ابن برّاقة، وبرّاقة أمه. كان شاعر همدان قبيل الاسلام وله أخبار في الجاهلية، وقد عرف بمهابته و سيطرته على الصعاليك، عاش حتى

تَقُولُ سُلَيمَى لَا تعَرَّضْ لتَلفةٍ

ولَيلُكَ عَن لَيلِ الصَّعَاليكِ نَائِمُ

وَكَيفَ يَنامُ اللَّيلَ مَنْ جُلّ مَالِهِ

حُسامٌ كَلَونِ المِلْحِ أَبيَضُ صَارِمُ

أَلَمْ تَعلَمِي أَنَّ الصَّعالِيكَ نَومُهُمْ

قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الدَّثُور المُسَالِمُ

إلى أن يقول في ميميته المشهورة:

مَتى تَملكِ القلبَ الذَّكِيَّ وصَارِمَاً

وَأَنفَاً حَمِيَّاً، تَجتَنِبْكَ المَظَالِمُ

وكُنتُ إِذَا قَومٌ غَزَوْنِي غَزَوتُهُم

فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهَمدَانَ ظَالِمُ

ومَن يَطلبِ المالَ المُمَنَّع بالقَنَا

يَعِشْ ذا غِنىً أو تَخْتَرِمْه المَخارِمُ

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقدم المدينة مع وفد إلى الخليفة وكان طاعناً بالسن ويعرج. وقد تفرد عمرو بن براق عن سواه من الصعاليك أنه الوحيد الذي نال اعتراف القبيلة به وسمّته شاعرها.

كَذِبتُم وبَيتِ اللهِ لَا تَأْخُذُونَها

مُراغَمةً ما دَامَ لِلسيفِ قَائِمُ

وَلَا صُلْحَ حَتَّى تَعْثُرُ الخَيلُ بالقَنا

وتُضْرَبَ بالبِيضِ الرِّقَاقِ الجَماجِمُ

إذا أخذنا بنظر الاعتبار الطبيعة والبيئة القاسية التي تتسم بها معظم بقاع شبه الجزيرة العربية فسنتلمس انعكاس ذلك على التكوين الشخصي للصعاليك ونتفهم القسوة التي كانوا عليها والعنف الذي طبع سلوكهم، وكأنما هناك تناغم بين الذات والموضوع، وإلى هذا تشير المصادر إلى أنّ نشأتهم كانت في أماكن قريبة من الخصب والكلأ بادئ الأمر، غير أنهم أبَوْ إلّا أن يكونوا في كنف الطبيعة الوعرة والتضاريس الجغرافية الصعبة العصيّة، فراحوا يألفون الجبال الشاهقة، والأراضي المتكسرة، والقفار الموحشة، مستسهلين حزن الأرض، ومستأنسين الأماكن غير المأهولة والبقاع المنيعة ،التي تثار حولها المخاوف ويخشى عامة الناس ارتيادها[60]

وقد تجلّت هذه الخاصيّة في أشعارهم فراحوا يبدعون في تصوير تلك الطبيعة الجغرافية الخشنة والبيئة الصحراوية القاسية التي يعيشون فيها، والتي وجدوا بين جنباتها حضناً لمروقهم، فنجد هنا أن البعد الموضوعي المتمثل بصعوبة الطبيعة وقساوة الجغرافيا قد عزز البعد الذاتي السيكولوجي الذي أشرنا له عند الصعاليك، حيث أن الأراضي الوعرة في شبه الجزيرة العربية على صعوبتها كانت ملعباً لمغامراتهم ومنطلقاً لغزواتهم، فنراهم تارة يصفون الحر الشديد والرمضاء والهجيرة وعدم مبالاتهم بها، وتارة أخرى

[60] – كتاب (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) تأليف يوسف خليف / دار المعارف ص 60 بتصرف

يصفون البرد القارس والقرّ الشديد وعدم اكتراثهم به، كما كانوا يتباهون بارتيادهم الأماكن التي يخافها الآخرون، كما تحدث الشاعر تأبّط شراً[61]في أبيات له عن موضع "رحى بطان" العائد لقبيلة هذيل الذي كان العرب يخشون سبره ويعتقدون أنه مسكون بالغيلان والأفاعي والوحوش الضارية والسعالى، فيفتخر بأنه لايهاب ما تهابه الناس ولا يخشى ما تخشاه، فهو يألف هذا المكان، بل أنه قتل غولاً فيه إذ يقول:

ألا من مُبلّغ فتيان فَهْمٍ[62]

بما لاقيتُ عند "رحى بَطانِ"

بأني قد لقيتُ الغول تهوي

بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ[63]

فأضربها بلا دهش فخرّت

---

[61] – هو ثابت بن جابر، من قبيلة فهم توفي نحو 607 ميلادية، وهو أحد شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي وعدائيهم من أهل تهامة الحجاز، وتأبط شراً لقبٌ لقب به لأنه كان كلما خرج للغزو وضع سيفه تحت أبطه فقالت أمه مرة : تأبط شراً، فلقب بهذا اللقب. وفي رواية أخرى أنه آتى لأمه بجراب مليء بالأفاعي بعد أن لامته أنه لا يأتيها بشيء مثلما تأتي به فتية الحي أمهاتهم، ثم ألقى الأفاعي أمامها وهي تسعى. فلما روت تلك الواقعة لنساء الحي سألنها: كيف حملها–أي الأفاعي في الجراب– قالت: تأبطها، فقلن: لقد تأبط شرا، فصار يدعى بذلك.

[62] – قبيلة قيسية مضرية من القبائل العربية القديمة تقطن غرب الجزيرة العربية، وهي قبيلة الشاعر

[63] – الأرض المستوية الواسعة

صريعًا لليدينِ والجرانِ[64]

ومن الجدير بالذكر إن أهم الأسباب الباعثة لنشوء حركة الصعاليك هو شيوع الظلم في المجتمع الجاهلي وارتكازه على نظام التمايز الطبقي الذي كان يرفع مكانة النفر من الناس وفق مرتكزات تتعلق بالحسب والنسب وامتلاكِ المال، إضافة لعوامل ذاتية وموضوعية أخرى شكلت في مجموعها ذلك محرضاً كافياً لتمردهم، فانتفضوا لمّا أزرى بهم الفقر والعوز وهم أهلٌ للفتوة والبأس والإباء، وأطلقوا غاراتهم لمقاومة الإستبداد وانتزاع ما يرومونه انتزاعاً، وكان ديدنهم إرغام الأغنياء البخلاء الذين كانوا يشحون بمالهم على الفقراء، فقاموا بالتعرض لهم وغصبهم لينالوا منهم ما يريدون من مال ومؤونة غصباً، كي يوزعونها على الفقراء والمحتاجين سواء من الصعاليك أنفسهم أو المتعففين من بقية الناس، وهكذا استطاعوا أن يؤسسوا لأنفسهم مجتمعاً موازياً للمجتمع الذي انسلخوا منه، مجتمعاً تحكمه قوانين خاصة هم سنّوها وقنّنوها، وأعراف هم ارتضوها وتعاملوا بها، وتقاليد هم الذين سعوا إلى ترسيخها بالشعر تارةً وبالفتوّة والمضاء تارة أخرى، وقد ساعدهم على ديمومة حركتهم إضافة إلى إصرارهم وثبات موقفهم، المساحة الجغرافية الشاسعة للجزيرة العربية، وصعوبة مسالكها، ووعورة بعض مناطقها التي حولوها إلى ملجأ آمن لهم ومسكنٍ تحط به رحالهم.

---

[64] – مقدم العنق من البعير والفرس من المذبح إلى المنحر.

❖ المبحث الثالث

التقسيم الفئوي للصعاليك:

لم تشكل ظاهرة الصعاليك قطيعة بين الصعاليك وقبائلهم التي ينحدرون منها فحسب، بل كانت تمثل تقاطعاً حاداً وصارخاً مع النظام القبلي السائد المبني على التمايز الطبقي، وهذا ما دفع الصعاليك أن يشكلوا مجتمعاً مصغراً يختلف في أبجدياته الأساسية مع المجتمع القائم، ومن أهم ميزات المجتمع الجديد هو عدم إحساس أفراده بالعصبية القبلية التي كانت مستشرية في المجتمع الجاهلي، كما أن البنية الاجتماعية لمجتمع الصعاليك قد شكلت طبقة واحدة، متجاوزين بذلك البناء الطبقي متعدد المستويات، على الرغم من أن هذه الطبقة الجديدة لم تنحدر من طبقة أو شريحة اجتماعية واحدة، فقد تكونت من ثلاث فئات مختلفة من حيث النشأة والتكوين ضمن سياقات المجتمع القبلي، وقد اتفق المؤرخون والباحثون على التقسيم الفئوي للصعاليك حسب انحداراتهم على الفئات الثلاث التي هي:

الفئة الأولى: فئة الخلعاء والشذاذ[65] وهم الذين لم تكن أعمالهم تتسق مع ما تعارف الناس عليه، وكان كل ما يصدر عنهم من أفعال وسلوكيات لا يتناسب مع ما هو سائد من تقاليد ألفتها الحياة العربية القبلية في عصر ما قبل الإسلام، وهذا ما استدعى طردهم من بنية قبائلهم وخلعهم من كيانها، وكانت أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها هي العامل الأساسي وراء عدم فتح المجتمع ذراعيه لهم، ومن هنا لحقتهم هذه التسمية، (الخلعاء) أي المخلوعون من كيان القبيلة، ومن الملفت

[65] – جاء في معنى كلمة الشذاذ في لسان العرب مايلي: (شُذَّاذاً أَي قِلالاً وقوم شُذَّاذ إِذا لم يكونوا في منازلهم ولا حيهم وشُذَّانُ الناس ما تفرّق منهم وشُذَّاذُ الناس الذين يكونون في القوم ليسوا في قبائلهم ولا منازلهم وشُذَّاذُ الناس متفرقوهم.)

للنظر أن الصعاليك الخلعاء لم يظهروا ضعفاً أمام قرار طرد القبيلة لهم، لأنهم كانوا يتمتعون بقدرات خارقة في البطش والفتك وبطاقات جسمانية استثنائية خصوصاً ما عرف عنهم من سرعة الجري والعدو، بحيث لا يمكن إدراكهم حتى بالخيل إذا هم ركضوا كما تذكر المصادر، ومن أبرز أولئك الصعاليك الخلعاء حاجز الأزدي[66] وقيس بن الحدادية[67] والبرّاض بن قيس الكناني[68] وأبي الطمحان القيني.[69]

---

[66] – حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج الأزدي: المعروف بـ (حاجز الأزدي) شاعر جاهلي ينتمي للصعاليك مقل في شعره وكان من المغيرين العدائين الذين يدركون الخيل عدواً، والده "عوف بن الحارث الأزدي".

[67] – هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن لحي الخزاعي المعروف بـ (قيس بن الحدادية) شاعر جاهلي من الصعاليك، كان شجاعاً فاتكاً كثير الغارات، تبرأت منه خزاعة في سوق عكاظ وأخبرت أنها لا تحمل جريرة له ولا تطالب بجريرة عليه. والحدادية أمه وهي من بني حداد من كنانة.

[68] – البرّاض بن قيس الضَّمْري الكناني أحد الصعاليك في العصر الجاهلي من أهل الحجاز وكان فاتكاً خليعاً، يضرب بفتكه المثل. وكان يَجْني الجنايات على أهله، إلى أن خلعه قومُه، وتبرَّأُو من صَنائعه، ففارقهم، وقَدِمَ إلى مكة، فحالف فيها حرب بن أُمَيَّة، ثم غادرها وفارق أرض الحجاز إلى أرض العراق، وقدِم على ملك الحيرة النُّعمان بن المُنذِر، وبسببه هاجت حرب الفجار بين خندف وقيس. وإليه يشير (أبو تمام) بقوله:

كلُّ يومٍ له بصرفِ الليالي

فتكة، مثل فتكة البرّاض

[69] – أبو الطمحان حنظلة بن الشرقي، أحد بني القين الذي يرجع إلى قضاعة، وكان شاعراً فارساً من الصعاليك. وهو من المخضرمين الذين أدركوا الإسلام، وكان تراباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ونديماً له.

الفئة الثانية: هم المهجنون المنبوذون من أبناء الحبشيات السوداوات، وكان السبب الأهم في نبذهم هو النزعة العرقية المتعالية السائدة لدى العرب آنذاك، وذاك لكون آباءهم لم يعترفوا بهم، ولم يلحقوهم بأنسابهم، ما شكل عندهم عقداً نفسية عميقة، وقد صاحب ذلك رد فعل ذاتي من قبلهم، اتسم بالتمرد على الواقع الاجتماعي القائم الذي جرح كرامتهم الإنسانية، فقاموا بالانتفاضة عليه والثأر لكرامتهم الممتهنة، وكان من بين هذه الفئة من الصعاليك الشنفرى صاحب "لاميّة العرب"، وتأبط شراً[70]، والسليك بن السلكة[71]، وعامر بن الأخنس[72]، وعمرو بن براقة.

الفئة الثالثة: الصعاليك المحترفون، وهم مجموعة من الثائرين الذين آلوا إلّا أن يكونوا صعاليكاً، أو بتعبير أدق إنهم احترفوا الصعلكة لأنّهم ليسوا من الذين خلعتهم قبائلهم لشذوذ تصرفاتهم، أو عدم توافق سلوكهم مع ما كان سائداً من تقاليد في المجتمع القبلي آنذاك، كما أنهم عربٌ أقحاح لايشك في انتمائهم العرقي للعروبة وليسوا بالقطع من أبناء الحبشيات الإماء لكي يتم التعسف على حقوقهم

---

[70] – ثابت بن جابر، من قبيلة فهم أحد الشعراء والعدائين الصعاليك البارزين في العصر الجاهلي من أهل تهامة الحجاز، توفي نحو 607 ميلادية.

[71] – هو الشاعر الصعلوك السُلَيْك بن عمير بن يثربي بن سنان بن عمير بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي أحد شعراء العصر الجاهلي، وقد اختلف في نسبه وتاريخ وفاته والأشهر توفي عام 17 ق.هـ الموافق لعام 605 م، وعرف بـ (السُلَيْك بن السُلَكَة) نسبة إلى أمه "السُلَكَة" المعروفة وهي شاعرة متمكنة سوداء البشرة ورث منها سحنته السوداء، وقد رثته بمرثية حسنة. كان السُلَيْك فاتكاً عدّاءً يُضرب المثل فيه لسرعة عدوه حتى أنّ الخيل لا تلحقه لسرعته، لقب بالرِّئْبال.

[72] – عامر بن الأخنس الفهمي، أحد كبار شعراء الصعاليك وفتّاكيهم، وكانت له مكانة كبيرة بينهم

بسبب سحنتهم الداكنة وسواد بشرتهم وفق نظام العبودية الذي اصطبغ النظام الاجتماعي والسياسي وقتئذ بصبغتها، لكنهم كانوا متمردين ينزعون إلى التقاطع مع قوانين وأعراف قائمة على سحق القيمة الإنسانية للبعض، فلم يجدوا بداً من الثورة على الوضع القائم في محاولة لتغييره بشكل من الأشكال، ولذلك آثروا حياة التصعلك لأنَّهم وجدوا في ثورتهم قطيعة عملية مع واقع الظلم والتعسف، وفسحة من الحرية الذاتية للتعبير عن تطلعاتهم في الخلاص، واستجابة لما اختلجته سرائرهم ونفوسهم الأبية من توق إلى الحرية ونزوع نحو الانعتاق.

❖ المبحث الرابع

عوامل تكوين حركة الصعاليك:

يمكننا تحليل صيرورة ظاهرة الصعاليك وتكوين حركتها في التاريخ العربي من خلال الرجوع إلى العوامل الأساسية لمبعثها والمتمثلة بالآتي:

1. العامل السياسي: وهو العامل الأساسي والأهم الذي يتصدر بقية العوامل ويقف في مقدمة الأسباب والعلل التي ساهمت في بلورة هذه الظاهرة، وكان هذا العامل يتجسد في القيم والأعراف التي ترتكز عليها وحدة القبيلة التي تقوم على أساس رابطة العمومة والدم والنزعة العصبية، ومثلما كانت القبيلة توفر بعض الحقوق للذين ينتمون إليها، كحمايتهم ونجدتهم وقت الشدة، كانت تفرض عليهم واجبات مرهقة وضوابط تعسفية تصب في مصلحة الأغنياء في أغلب الأحيان، وكانت تطالبهم بالالتزام القسري بمنظومة القيم والقوانين السائدة لصون مكانة القبيلة بين القبائل الأخرى وحفظ شرفها المرام، وإلّا فدون ذلك تطاله لعنة القبيلة التي قد تصل إلى طرد المتسيب وغير الملتزم بهذه المباديء من كيانها وخلعه من تشكيلتها، وهذا

هو عين ما طال بعض الشعراء الصعاليك وبالذات المندرجين في فئة الخلعاء والشذاذ، وكانت طبيعة التعامل الذي يصدر عن علية القبيلة تجاه أبنائها محركاً ومحرضاً كافياً للتمرد على النظام السياسي البائس.

2. العامل الاقتصادي: يعود تأثير هذا العامل إلى البنية الاقتصادية القائمة آنذاك، حيث النظام الاقطاعي هو الذي كان سائداً في الحياة الاقتصادية العربية قبل الإسلام سواءاً كانوا قبائل مستقرة تتخذ من الزراعة وسيلة للعيش كما في الطائف ويثرب والهلال الخصيب[73]ومدائن اليمن السعيد، أو قبائل تمتهن التجارة كما في قبائل مكة المكرمة والقبائل القاطنة على ساحل الخليج العربي، أو القبائل الرحل البدوية المنتشرة في نجد والحجاز وبادية العراق والشام وسائر أرجاء الجزيرة العربية والتي تعتمد على الرعي والتنقل حيثما يوجد الكلأ والماء، كل تلك المجتمعات ذات طابع اقطاعي بصورة من الصور، والملمس الطاغي في هذا النظام هو أنَّ السادة والكبراء كانوا يستأثرون بالثروة والسلطة والجاه ويتنعمون بالخيرات، في ذات الوقت كان فيه بقية أفراد القبيلة أو الطبقات المجتمعية الأخرى بتعبير أدق داخل كيان القبيلة يعانون من العوز وشظف العيش، لدرجة قد يتم فيها استخدامهم وتسخيرهم بشكل يمتهن إنسانيتهم من أجل منافع طبقة الأسياد، وأمام هذا الوضع الاجتماعي الجائر ثار أباة الضيم منهم الذين لايهادنون الذل، وانقلبوا على مفهوم الاستغلال والتمايز الطبقي، وكان الناقمون على الوضع

---

[73] – يطلق مصطلح الهلال الخصيب على حوض نهري دجلة والفرات أي العراق والجزء الساحلي من بلاد الشّام، حيث تعتبر هذه المنطقة مهد الحضارات القديمة، كما أن الزراعة انتعشت في هذه البقعة ذات الأراضي الخصبة والمياه الوفيرة والأنهار المتعددة، وفيها قامت أولى الممالك والمدن، وتجدر الإشارة إلى أن أول من صاغ هذه التسمية وأطلقها على هذه المنطقة هو عالم الآثار الأمريكي (جيمس هنري برستد).

الظالم قد خرجوا على هذا النظام الجائر باختيارهم وتمردوا عليه بإرادتهم، ووقفوا بقوة بوجه الأقوياء المستغلين واستهدفوهم انتصاراً للضعفاء مسلوبي الإرادة والمقهورين المعدمين من أبناء جلدتهم.

3. العامل الاجتماعي: حيث أن الكينونة الاجتماعية، أو التركيبة الاجتماعية للقبيلة كانت تئن تحت وطئة التمايز الطبقي المقيت وتعتمد التعددية الطبقية المبنية على أساس التفاوت والبون الشاسع بين طبقات المجتمع، وقد أفرز النظام الاجتماعي ثلاث طبقات رئيسية تشكل البنية الاجتماعية للقبيلة يمكن تقسيمها كالآتي:

الطبقة الأولى: طبقة الأسياد وهم الأحرار الصرحاء، الذين ينحدرون من حيث النسب من صلب الجد الأعلى للقبيلة وهم المستغلون للمقدرات المتنعمون بالخيرات أصحاب الحظوة والقِدْح المعلى من الجاه المتسنمون أعلى المراتب، الماسكون بيد قوية زمام الرياسة والسياسة، القابضون على مقاليد الإمارة، الذين يمارسون لعبة التفوق الجوفاء على إخوانهم وأبناء عشيرتهم.

الطبقة الثانية: طبقة المستجيرين أو المحتمين بلواء القبيلة، وهم المنحدرون من قبائل أخرى، الذين تودي بهم ظروف قسرية غالباً لأسباب معينة يطول الحديث عنها إلى الانتماء لقبيلة أخرى طوعاً أو اضطراراً بشكل شبه رسمي لكي يضمنوا حمايتها ويأمنوا على أنفسهم وعوائلهم، وعادة لا يلغي هذا الانتماء الأصول العرقية أو القبلية أو الانحدارات الإثنية للمستجيرين، حيث من حق هؤلاء الحفاظ على ألقابهم أو التسمي بأصولهم وأسماء قبائلهم الأصلية لكنهم يدينون بالولاء للقبيلة التي اختاروا العيش بين ظهرانيها.

الطبقة الثالثة: طبقة العبيد، وهم عادة ينحدرون من أمهات غير عربيات أو سبايا أو إماء حبشيات سوداوات البشرة وربما يكون كلا الأبوين من الأحباش، وكان الأسياد يزدرونهم ويشبهونهم بالغربان السود نسبة إلى بشرتهم الداكنة ويطلقون عليهم اسم أغربة العرب أو غربان العرب. وردت في مكان آخر نفس هذه العبارة.

4. العامل البيئي: وقد ساهم هذا العامل بشكل معين في تكوين ظاهرة الصعاليك لأن قسوة الحياة في شبه الجزيرة العربية ووعورة تضاريسها وندرة المياه فيها، بالإضافة إلى شحة المواد الغذائية كلها أسباب مهمة في بروز وتنامي هذه الظاهرة، وقد تسببت هذه البيئة القاسية في تأجيج روح التمرد فيهم وسعَّرت جذوة الثورة في نفوسهم.

❖ **المبحث الخامس**

أضواء كاشفة على حركة الصعاليك الإجتماعية والسياسية:

لم يتوقف عنفوان الصعاليك في تمردهم على الوضع القائم آنذاك عند حدود عدم اعترافهم بأعراف القبيلة ذاتها، بل تجاوزوا ذلك إلى عدم اعترافهم بالمعاهدات والمواثيق والاتفاقيات المعقودة بين قبائلهم والقبائل الأخرى، وهذا كان من أبلغ الأسباب التي أدت إلى طردهم ونبذهم من بنية القبائل التي كانوا ينتمون إليها، الأمر الذي جعلهم يبتكرون طرقاً غير مألوفة للعيش ويؤسسون حياة مغايرة خارجة عن الأطر المألوفة الشائعة وقتذاك، فشكلت حركتهم ظاهرة جديدة أربكت النمط الاستاتيكي الرتيب للمجتمع القبلي وخلخلت بعض الثوابت المتوارثة فيه، ومن أبرز سمات تلك الحركة هي روحها الوثابة واتصافها بالنزعة الثورية في محاربة التعسف والاضطهاد على الصعيد العام، أما على صعيد الأفراد فقد عرفوا بسعيهم الحثيث للخلاص من كاهل الظلم، وتطلعهم صوب التحرر والانعتاق من ربقة

القيود المستحكمة من خلال التمرد على ما هو قائم، ومقارعتهم بؤر الفساد والتعنت بصمود وإصرار، في المقابل كانت الخيارات المتاحة لديهم محدودة جداً وليس هناك قدرة كافية على قلب الموازين العامة للمجتمع ككل لصالح الفقراء، أو كحد أدنى ابتكار البدائل الحاسمة والصيغ الناجعة التي تنتشل الواقع برمته من التخلف المستشري في جميع مفاصله، بالإضافة إلى عدم وجود إطار فكري يرشد تلك الحركة ويضع عجلاتها على السكة الصحيحة.

وفي خضم ذلك لم يكن أمام الصعاليك بداً من غزو القبائل، وهي عادة كانت شائعة في العصر الجاهلي، ولكن الأمر مختلف عندهم من حيث الأهداف، إذ حصلت انعطافة تتعلق في مقصد تلك الغزوات والغاية منها تحديداً، وإن كانت تلك الانعطافة محدودة التأثير، المقصد الجديد الذي تبلور من خلال غزوات الصعاليك وغاراتهم المتكررة يتجسد بأخذ الأموال من الأغنياء الأشحّاء المستبدين بتسلطهم المحتكرين لمقدرات وموارد العيش والذين كانوا يكرسون بتصرفاتهم وطغيانهم واقع الفقر والتهميش والإقصاء وعدم المساواة، وكان من عادة الصعاليك توزيع ما يغنمونه من تلك الغزوات من مؤن وأموال للفقراء والمعوزين والمهمشين والمنبوذين الذين كانوا يعيشون على هامش الحياة، وهذا بحد ذاته سعي محمود وكفاح دؤوب باتجاه تحقيق غاية سامية وهدف نبيل يقترب من مبدأ تحقيق العدالة الاجتماعية[74]الذي نادت به معظم الحركات التحررية والثورية والتقدمية والاشتراكية في العالم عبر جميع

---

[74] – العدالة الاجتماعيّة هي مبدأ أساسي من مباديء التعايش السلمي بين الأمم وهي أحد النظم الاجتماعيّة التي من خلالها يتم تحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع، من خلال التوزيع العادل للثروات، والامتيازات، وكذلك الحقوق السياسيّة، وفرص التعليم، والرعاية الصحيّة وما إلى ذلك، وبالتالي يتمتّع جميع أفراد المجتمع بصرف النظر عن الجنس، أو العرق، أو الديانة، أو المستوى الاقتصاديّ بنمط سليم من الحياة الكريمة دون مغبونية وبعيداً عن أي نوع من أنواع التحيّز.

الحقب الزمنية، والذي يعتبر في حد ذاته حلماً إنسانياً وثمرة من ثمرات التغيير القيمي والثقافي الإيجابي للشعوب.

غير أن المطب الفكري والعملي الذي وقع به الصعاليك هو أن وسائلهم المستخدمة لم تكن تتناسب مع نبل أهدافهم المتبناة، وهذا ناجم عن قصورهم التنظيري الذي ينبغي أن يستوعب حركة الواقع وينطلق لتغيير ما يمكن تغييره، باتجاه العدالة والمساواة، كما أن من مؤشرات الضعف الأخرى في حركة الصعاليك هي انغمارهم الزائد بالحيثيات والتفاصيل، وعدم وجود رؤية شاملة للماحول تستوعب جميع المعطيات، وكذلك عدم قدرتهم في استشراف مآلهم المستقبلي واكتفوا بالتعامل مع الجزئيات والعوارض التي كانت هي شغلهم الشاغل.

عندما تعتري المجتمع اهتزازات عنيفة ينعكس ذلك مباشرة على الفرد، فيصاب بقلق وذهول أخلاقي يربك ضميره ويسلب الاستقرار من دخيلته، لأنه صار يرى الذي كان مستقراً أصبح مضطرباً بل معرضاً للضمور والزوال، وفي هذه الحالة تتوقد عنده خاصية التحسس، وأول الأمر يتحسس الأشياء الجديدة التي في طريقها إلى التشكل، وفي حال كونه واعياً ومحصناً ومتفهماً لطبيعة المرحلة ويستطيع استقراء منحنيات الواقع فإنه يندفع إلى متاهة أخلاقية تفضي به إلى الالتجاء إلى الطهرانية والتي تعني تطابق الحريات مع الفضائل، وتنقية النفس من الآثام والانحرافات السائدة في الواقع، ويصاحب ذلك عادة نزعة استعلائية في الغالب، وهذا الذي وقعت به حركة الصعاليك باعتبارها مظهراً من مظاهر الطهرانية الأخلاقية، لكن المطب الخطير الذي وقعوا به هو عدم التفاتهم للصورة المقابلة وما يحصل في الطرف الآخر، فعندما يتحسس الصعلوك بمن قربه من الفقراء، ويفهم معاناتهم وحين يراهم يتضورون جوعاً، يقرر وضع حد لهذه الحالة الإنسانية المأساوية، ويسارع إلى إنقاذ الموقف بأقرب فرصة سانحة، فيتحرك عملياً للتصدي للظلم المتمثل بأصحاب الأموال الجشعين وحركة قوافلهم التجارية، ويعود

بعد برهة من الزمن بقافلة من الإبل محملة بغنائم كثيرة ومتنوعة ويقوم بتوزيعها عليهم لكي يساهم في انتشالهم من الجوع والفقر، لكنه لم يلتفت إلى أداة الحل التي استخدمها في المعالجة، ولم يكترث لسيفه الذي يقطر دماً، ولم يقززه منظر يديه الملطختين بدم رعاة القافلة، ولم يحزنه قتل أناس يعملون فيها ليس لهم علاقة بالأمر وليسوا بظالمين أصلاً، فهو ربما لم يرهم من قبل، ولم يعرفهم ولم يتعرف حتى على أسمائهم، لكنه بلحظة مشهودة هرق دماءهم على الصعيد وجندلهم في البرية وقضى على حياتهم، والإشكالية الأخطر أن التاريخ سجل شهامة ونجدة الصعلوك وفروسيته في تخليص ذويه ومن معه من الجوع بشيء من الاستحسان، ولكن لم يسلط الضوء على أصداء هذه الأعمال في الجانب المقابل، ولم يتحدث عن رعاة القافلة المستلبة الذين قتلوا بغير ذنب سوى أنهم يكدحون الليل والنهار من أجل لقمة عيش زهيدة كلفتهم ثمناً باهضاً، وخلفوا بعدهم ثكالى ويتامى سيتضورون جوعاً في اليوم الثاني.

وغالباً ما كان الخصوم الذين يترصدهم الصعاليك ويستهدفونهم في غاراتهم هم جهة غير متعينة وأناس غير مشخصين، ولم تتوافر اشتراطات العداوة لديهم، ورغم هذا تدور عليهم الدائرة ويطحنون بالرحى، وربما يتعرضون للإبادة بشكل معين، وهذا في اعتقادي هو الجانب المعتم في القضية الأخلاقية التي حددت غزوات الصعاليك ملامحها، التي تداخل فيها الجمال والقبح والخير والشر واختلطت معطياتها الإيجابية بإفرازاتها السلبية.

وبمرور الوقت وتبدل الظروف خصوصاً بعد التغير الجذري الذي حصل في الحياة العربية على أثر ظهور الإسلام، برزت في الواقع العربي نزعتان متناقضتان شكلاً ومضموناً مع بعضها، الأولى نزعة سكونية ذات منحى صوفي تسعى للنأي بالنفس، وتمجيد العزلة وترجيح حالة الاستكانة وتغليب الصمت واعتزال الفتن، والابتعاد قدر الإمكان عن المعامع، وعدم المساهمة من بعيد أو قريب

بالنزاعات الساخنة، والنزعة الثانية ذات طبيعة انفعالية متوفزة تستبطن روحاً ثورية، ترفض السكون وتمجد التحدي وترفع لواء التصدي للحيف ومواجهة بؤر الفساد والظلم، وكأن روح الصعاليك وطروحاتهم الأخلاقية قد تبلورت بمرور الوقت وشكلت المرجعية النفسية والأخلاقية للثورات والأحداث العربية اللاحقة.

وبالعودة إلى الصعاليك الذين سبقت حركتهم ظهور الإسلام، فإنهم ظلّوا يرزحون تحت طائلة الواقع الذي يناهضونه، ولم يستطيعوا القفز عليه، إذ أقصى ما قد وصلوا إليه من معطيات يمكن تأشيرها والإشادة بها، هو أن حركتهم في أوج مجدها قد شكلت ما يشبه القبيلة الجديدة أو اقتربت من تشكيل كيان مماثل، على الرغم من اختلافها بشكل كامل من حيث الصيرورة والبنية والتوجهات مع سائر القبائل، فكانت النتائج المتحققة ناكصة أمام الأحلام الكبرى والتطلعات المتوخاة، لأنها بالنهاية كرست حالة التشرذم القائم في النظام القبلي، وإذا سلمنا بأنهم قد كونوا قبيلة جديدة، ندرك إنهم قد عمقوا بذلك حالة الانقسام والتجزئة والتشرذم، ووسعوا رقعة التشتت، لأن حركتهم لم تستطع نسف مرتكزات النظام الاستبدادي ولم تستطع تغيير الواقع المرير بشكل جذري، كما أنهم لم يتمكنوا كحد أدنى من طرح نظام جديد يجتذب شرائح المجتمع المحايدة في هذا الصراع لتكوين قاعدة جماهيرية عريضة تكون هي أداة الفعل التغييري وصاحبة المصلحة الحقيقة في التغيير المنشود في ذات الوقت.

ونتيجة لهذا الإخفاق الاستراتيجي بقيت القبائل الأخرى محتفظة بأعرافها وتقاليدها الجائرة، ولم تحصل أي انتقالة ملحوظة على مستوى المنظومة القيمية السائدة في الحياة العربية آنذاك، ولم يتم الإطاحة بالنظام القبلي أو الانقلاب الجذري عليه، كما أنه لم يظهر أي تخلخل في البنيان المجتمعي قبل الإسلام، فبقي الغني غنياً والفقير فقيراً وبقيت مقادير الأمور بيد المتسلطين، وهذا ما جعل النتيجة تفضي إلى تكريس التشرذم المجتمعي والتفاوت الطبقي وترسيخ الالتزام بالتقاليد السائدة الجائرة في النظام القبلي.

وجدير بالذكر أن تغنّي الصعاليك في أشعارهم بكرمهم ونكران ذواتهم وبرّهم بأقاربهم ومساعدتهم الآخرين يعزز حركتهم على الصعيد القيمي والأخلاقي ويمنحها عمقاً ورسوخاً في ذاتها، وليس على الصعيد المجتمعي العام، وهذا رغم محدوديّة تأثيره إلّا أنه يحسب لهم، لأن ما يحصلون عليه كانوا يوزعونه على الأهل والأقارب وعلى المحتاجين من سائر الناس، وكانوا في ذات الوقت لا يتعرضون في غاراتهم وغزواتهم للأسياد الشرفاء السخاة، وإنما انصب تركيزهم على الأغنياء الأشحاء، وقد انعكس ذلك على لغتهم الشعرية الفخمة الراسخة وكانوا غالباً ما يفتخرون بأعمالهم، ويتباهون بغزواتهم، ويمجدون خصالهم المتفردة، ويتغنون بالأخلاق الحميدة مثل الكرم والشّجاعة، وقد وردت في قصائدهم الكثير من القصص التي تصف مغامراتهم، ولم يغفلوا عن تصوير آرائهم في الحياة وتبيان موقفهم من المجتمع، كما مدح كل منهم رفاقه المغامرين، فاتسم خطابهم الشعري بإبراز السمات الإيجابية في شخصياتهم كالصبر وسمو الهمة والترفع عن الملذات الزائلة والاعتداد بالنفس والشعور بالكرامة وذم الذل والهوان ونتلمس ذلك في أبيات أبي خراش الهذلي[75]إذ يقول:

وَإِنِّي لأُثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي

حَيَاءً وَلَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

وَأَصْطَبِحُ الْمَاءَ الْقَرَاحَ وَأَلْتَقِي

[75] – هو خُوَيْلد بن مُرّة القِرْدي. من بني قِرد بن عَمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل. المشهور بـ (أبو خراش الهذلي) توفي عام 15 هجرية الموافق لعام 636 ميلادية في عهد الخليفة الراي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان أبو خراش في الجاهليّة من فُتّاك العرب ومشاهير الصعاليك، وكان مظفراً في غزواته، والمشهور أنه ترك الصعلكة بعد الإسلام وحسن إسلامه.

إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُزَلَّجِ[76]ذَا طُعْمِ

أَرُدُّ شُجَاعَ الْجُوعِ كَيْ تَعْلَمِينَهُ

وَأُوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالأُدْمِ

مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ[77]

وفي هذه الأبيات يقدم لنا أبو خراش الهذلي وهو ذو شخصانية عالية صورة نبيلة سامية القدر عالية الإحساس للجوع الذي يذلُّ الكثيرين ويوقعهم في مستنقع الهوان، بينما هو يطيل حبس الجوع ويثويه، وهي تورية لطيفة للتحمل حتى يمله فيمضي عنه دون أن تثلم كرامته أو يلحقه عار ولو من طرف خفي، ويؤكد أنّه يكتفي بالماء القراح دون ما تشتهيه النفس من الطعام، في حين يستمتع البخلاء الأشحاء بزادهم، ويؤكد عصاميته حتى حين يتضور جوعاً ويعتصر الجوع أمعاءه فإنه يرده بصبره وجلادته مهزوماً ويغلبه على أمره، ويؤكد نكرانه للذات وإيثاره عيال المرأة التي ضيفته على نفسه بالطعام رغم جوعه، وهو يفعل ذلك كله من أجل هدف سامٍ قد لايلتفت إليه الكثير من الناس وهو العيش بكبرياء وجعل الحياة كريمة مترفعة لا تودي إلى مهاوي المذلة ومهالك الهوان وشناعة العار لأن الموت من حياة بتلك الحالة.

---

[76] – المزلج: البخيل.

[77] – وردت هذه الأبيات في ديوان الهذليين الجزء الثاني ص 127 – 128 وكتاب الأغاني

وقصة هذه الأبيات ذكرها الأصمعي، وتتلخص بأن أبا خراش كان طاوياً[78]أياماً عديدة ثم مرَّ بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فجاءت له بِعُمْرُوسٍ[79]، وقالت: اذْبَحْهُ، فَذَبَحَهُ، ثم سَلَخَهُ، وقام بشوائه، فلما طاب الشواء ودخلت ريح الطعام أحشاءه الملتفة على بعضها جوعاً قرقر بطنه، فضرب بيده عليها وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، والله لا طعمت منه شيئاً ثم قال: يا ربة البيت، هل عندك من صبر[80]أو شيء مر؟ قالت: بلى وما تصنع به؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه[81]، ثم أهوى إلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة بالمكوث فأبى، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأساً أو أنكرت شيئاً؟ قال: لا والله، ثم مضى وأنشأ الأبيات التي ذكرتها.

من الواضح أن جميع الصعاليك كانوا على درجة عالية من الاعتداد بالنفس والأنفة والحمية والترفع عن الصغائر والابتعاد عن السفاسف، لدرجة صارت هذه الخاصية طابعاً مميزاً لهم، فصاروا يبرزون ذلك في قصائدهم وأصبح خطابهم الشعري يحوم في فضاءات تلك القيم الأخلاقية الرفيعة السامية ويصور مواقفهم المشهودة وشمائلهم المحمودة ويظهر شعورهم الطافح بالكرامة والسعي لتحقيق مبدأ الحياة الحرة الكريمة مفهوماً وتجسيداً.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة الصعاليك لم تقتصر على الأفراد فقط، أو أنها بتعبير آخر لم تكن قد استهوت بعض الأفراد لأسباب وعوامل معينة فحسب، كما مر آنفاً، بل تعدت ذلك إلى صعيد أعم،

---

[78] – جائعاً لم يتناول الطعام البتة

[79] – أي حِمْلاً من الغنم

[80]– الصَّبِرُ : عُصَارَةُ شَجَرٍ مُرٍّ تُسْتَعْمَلُ فِي الطِّبِّ واحدته: صَبِرةٌ. كما في معجم المعاني الجامع

[81] – اقتَمَحَ الحَبَّ ونحْوَه: أَخذه فى راحته إلى فمه. نفس المصدر

ومستوى اجتماعي أكبر وهو القبيلة، إذ كانت بعض القبائل برمتها تنتهج نهج الصعاليك وتلتزم بما عرف عن الصعاليك من التزامات فكانت سمة الصعلكة هي الغالبة على القبيلة بكامل كينونتها مثل قبيلتي هذيل وفهم.

والصعلكة في بعدها العام تعني التمرد والخروج من ربقة القوانين والأعراف والنظم الظالمة التعسفية التي يعتمدها النظام القبلي إلى رحبة أوسع، وإلى فضاء مفتوح يشعر فيه الصعلوك بالانعتاق ويمارس حريته بشكل عملي ويؤسس له قوانيناً حسب ما يؤمن به من قيم وما يرتأيه من سلوكيات وما يفرضه الواقع الجديد عليه من التزامات ومحددات.

❖ المبحث السادس

زعامة الحركة التغييرية والتنظير لها:

لقد أسهم المستوى القيمي للصعاليك على استكمال صيرورة أفعالهم كحركة تغييرية اعتمدت مبدأ التمرد والانتفاض على الجوانب السلبية في الواقع الذي يعيشون فيه، واتسم أفرادها بالتضحية والإيثار بحيث كانوا ينذرون حياتهم من أجل مبادئهم ويزجّون بأرواحهم في المهالك من أجل تحقيق المساواة وإزاحة الحيف عن المستضعفين والمهمشين، ويناضلون بكل عزيمة وإصرار ضد النظام الطبقي في شبه الجزيرة العربية، أما على صعيد علاقاتهم مع بعض فقد حققوا التضامن بمعناه العميق تحقيقاً عملياً وجسدوه تطبيقياً، فكانوا صدوقين في علائقهم، يعطف بعضهم على بعض، ويتشاركون بكل ما لديهم من قليل أو كثير، ويتقاسمون ما يغنمونه، ويؤثر أحدهم أخاه على نفسه، ويشركوا في قسمتهم الضعفاء

والعاجزين، وإذا قاربنا هذه الصورة فستكون أقرب الصور لما يصطلح عليه اليوم بالاشتراكية العلمية[82]أو صورة من التجسيد العملي لها.

ومن البديهي أن يقف وراء أي حركة تغييرية تجديدية زعيم ذو مواصفات استثنائية تجعله محط قبول وقناعة جميع أفراد الحركة، فيؤمنون بقدراته القيادية وحنكته في تخطي المواقف الصعبة إضافة إلى قناعتهم بشمائله الحميدة الأخرى، ويجمعون على تقديم فروض الطاعة والولاء له، وقد أجمع المؤرخون دون استثناء على تسمية عروة ابن الورد زعيماً لحركة الصعاليك وأميراً لها، ولم يكن ذلك اعتباطاً وإنما نتيجة إجماع الصعاليك عليه، ولتوليه أمرهم على الصعيد السياسي والإداري من جهة وعلى الصعيد العسكري الميداني والفروسي من جهة أخرى، فهو الفارس الهمام، والألمعية القيادية المتميزة، والشاعر الكبير الذي يعد من أعظم شخصيات الشعر العربي في العصر الجاهلي، وقد تم الاعتناء بشعره جمعاً وتحقيقاً من قبل الكثير من الباحثين والمتخصصين من العرب والمستشرقين[83]لما يتميز به من جودة وفخامة لغوية ومعانٍ سامية وأفكار راقية، فكان لتراثه الشعري بصمةً واضحة في محفل الشِّعر الجاهلي كما عُرفَ عن أمير الصعاليك تمتعه بالخصال النبيلة والروح الإنسانية العالية النقاوة، العميقة المشاعر وقد تميز برفعة همه وعلو همته وسجله الحافل بالتضحيَات السخية للغير واستعداده الكبير على فَناء

---

[82] – بعيداً عن فروع الاشتراكية العلمية الثلاث: المادية الجدلية، والاقتصاد السياسي، والمادية التاريخية، فإن المبادىء الاشتراكية تعد من المبادىء السامية التي تسعى إلى رفع شأن الفرد في المجتمع، ومستواه المعيشي، كما تقيه شح السؤال.

[83] – يذكر ابن النديم أن شعر عروة قد جمعه اثنان من الرواة هما الأصمعي وابن السكِّيت.. ولكن كل الذي وصلنا عن طريق ابن السكِّيت، وقد طبع ديوان عروة عدة مرات، طبعه "نولدكيه" في جوتنجن عام 1876 ميلادية مع مقدِّمة وتعليقات وترجمة ألمانية، ثم طبع مرة أخرى في المطبعة الوهبية في مصر في نفس العام.

ذاته ونُكرانها في سبيل ما يؤمن به من قيم إنسانية ومن أجل الحرية والعدل والمساواة، فنال لقب أبي الصعاليك عن جدارة واستحقاق.

لقد استطاع أمير الصَّعاليك عروة بن الورد بخصائله وأفعاله وشعره أن يغير النظرة النمطية السائدة لشريحة الصعاليك التي تعاني من التهميش والإقصاء والفقر، فلم يبتغي بغاراته وغزواته الاغتناء أو تحصيل ثروة شخصية، وإنما قصد بها رفع الحيف عن الفقراء كلما ضاقت بهم سبل العيش واشتدت بهم الضائقة، ومن هنا جاء لقبه عروة الصعاليك لأنه هو الذي قام بجمعهم ونهض بأمرهم وأشرف بشكل مباشر على توفير حاجاتهم وتدبير أحوالهم، حتى في حال إخفاقهم في غزواتهم، ويذكر بعض الباحثين أنه لُقِّب بهذا اللقب لقوله:

لحى اللهُ صُعلوكًا إذا جنَّ ليلُه

مضى في المشاشِ آلفًا كلَّ مجزَرِ

يعدُّ الغِنى مِن دَهرِهِ كلَّ ليلةٍ

أصابَ قِراها مِن صَديقٍ ميسَّرِ

وللهِ صُعلوكٌ صفيحَةُ وَجهِهِ

كضَوء شِهابِ القابِسِ المُتنوِّرِ

وقد ظل عروة بن الورد في صدارة وقيادة الحركة دون أن ينازعه أحد، لأن صعلكته اتصفت بالمروءة والإخاء والتعاون والمساواة والتضامن الاجتماعي، وكان شعره أبرز مثال على الإفصاح بالرؤى الجديدة، فقد تولى على عاتقه إلى حد ما مهمة الكشف عن المبادئ الانسانية التي انطلقت منها

ظاهرة الصعاليك فلم يألوا جهداً بالسعي إلى ترسيخ مباديء حركته والعمل على تجسيدها على صعيد الواقع بكل صورة من الصور:

إني امرؤٌ عافي إنائي شركةٌ

وأنتَ امرؤ عافي إناؤك واحدُ

أتهزأ منّي أن سمنتَ وأنْ ترى

بجسمي شحوبَ الحق، والحقُ جاهدُ

أفرق جسمي في جسومٍ كثيرة

وأحسُو قراح الماءِ، والماءُ باردُ

وجاء البيت الثالث بروايات مختلفة منها:

أقدّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ

وأحسُو قراحَ الماءِ، والماءُ باردُ

وكذلك:

أفرّغُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ

وأحسُو قراحَ الماءِ، والماءُ باردُ

وحسب رأيي أن الصيغة الأخيرة للبيت هي أصَّحها وأكثرها دقة في تصوير حالة الإيثار ونكران الذات، أمام الآخرين لاسيما المحتاجين منهم، إذ يجد عروة بن الورد أن في ذمته حقوق لابد أن يؤديها لإخوانه الصعاليك، وهذا أس مهم من أسس التكافل الإجتماعي والرعاية الاجتماعية التي تنطلق من مباديء الشعور بالمسؤولية وتحكيم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، حيث كان لا يقبل أن تلمَّ بهم ملمَّة وهو مكتوف الأيدي عن إغاثتهم ومساعدتهم، لدرجة كان يتخلى عن أبسط الحقوق الشخصية المتعلقة بالمأكل والمشرب، وتذكر المصادر التي تناولت سيرته أنه كان من فرط شعوره بالمسؤولية تجاههم ينهض بهمة للخروج معهم من أجل الحصول على ما يكفيهم من المؤونة والميرة، فنراه يقول لزوجته:

دعيني أطوفُ في البلادِ لعلّني

أفيدُ غناً فيهِ لذي الحقِ محملُ

أليسَ عظيماً أن تلُّمَ مُلمَّةٌ

وليسَ علينا في الحقوقِ معوّلُ

جاء خبر تسميته بعروة الصعاليك في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني بما نصه: "كان من عادة الناس إذا أصابتهم سنيٌّ شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم، ومن قوي منهم – إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته – خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة، ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك

سُمّي عروة الصعاليك". وقد قال عنه صاحب كتاب الأغاني أيضاً "أن عروة بن الورد لم يكن يهتم بالنساء أبداً"[84]

عروة يعد من المقدمين الأجواد عند العرب سواء في العصر الجاهلي أو بعد ظهور الإسلام وقد أجمعوا على وضعه في المكانة اللائقة به، وقد جاء ذكره على لسان شخصيات بارزة في التاريخ العربي، فقد قال عنه الحطيئة "جرول بن أوس" حين سأله الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف كانت حروبكم؟ قال:"كنا نأتمُّ في الحرب بشعر عروة بن الورد". وقال عنه معاوية بن أبي سفيان: "لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم". ولفرط ما اكتنزت به شخصية أمير الصعاليك من مكارم الأخلاق والشمائل الراقية والمبادىء السامية قال عنه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان: "من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد"[85]، ومن فرط ماكان يتميز به بن الورد من شأو رفيع المستوى في النفوس، وما خلفه من ذكر حميد قال عنه عبد الملك بن مروان أيضاً كما جاء في كتاب الأغاني: "ما يسرُّني أن أحدًا من العرب ممَّن ولدَني لم يَلدْني، إلا عروة بن الورد"[86].

إن ما يميز عروة بن الورد إدراكه وإيمانه القاطع أن السيد بفعاله الحميدة وليس بالمال المكتنز، فنراه لم يدخر لنفسه شيئاً ينفرد به عن الآخرين ولم يستبقِ مالاً يعينه على صروف الدهر، وكل ما عنده كان مشاعاً لمن معه ولضيوفه، حتى بيته جعله داراً مفتوحاً للضيافة والكرم، وفراشه فراش الضيف، ووقته

---

[84] – من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني تحقيق إحسان عباس. الجزء الثالث الصفحة ٧٣.

[85] – كتاب (طرائف الأصفهاني في كتاب الأغاني) إعداد عبد.أ. علي مهنا الصفحة 157.

[86] – كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، المجلد الثاني، القسم الرابع، الصفحة 359.

واهتمامه منصرف للضيوف، فهو يجالس الضيف ببشاشة ووجه منشرح ويحادثه أحاديثاً طيبة، لأن التسامر مع الضيف والحديث معه جزء من أصول الضيافة والقرى:

فِراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُه

ولم يلهني عنه غزال مقنعُ

أُحدّثُه، إنّ الحديثَ مِن القِرى

وتعلم نفسي أنَّهُ سوفَ يهجعُ

إضافة إلى ما تم ذكره فإن عروة ابن الورد باعتباره زعيماً، كسر المفهوم السائد عن الزعامة والرئاسة المبني على مبدأ الاستحواذ على المقدرات والثروات العامة، والتي تعكس في ذاتها حالة الاستغلال والظلم، وطرح مفهوماً أكثر حضارية للتسيد أساسه التعامل الإنساني الأخلاقي الرفيع المستوى مع الجميع ومعياره التضامن مع جميع مكونات المجتمع، ومادته الأفعال الحسنة التي تتكئ على المثل والقيم النبيلة والتوزيع العادل للثروات، فعبر في شعره عن رفضه القاطع لفكرة أن يكون الثراء أساساً للسيادة والزعامة، وفي ذات الوقت انتقد المجتمع الذي كان يزدري الفقراء ولا ينصفهم فقال في قصيدة له بعنوان "الثراء والفعال":

ما بالثّراءِ يسُودُ كلُّ مُسوَّدٍ

مُثرٍ ولكن بالفعالِ يَسودُ

بل لا أُكاثِرُ صاحبي في يُسرهِ

وأصُدُّ إذ في عيشِهِ تَصْريدُ

فإذا غنيت فأنَّ جاري نيله

من نائلي وميسري معهودُ

وإذا افتقرْتُ، فلن أُرَى متخشَّعاً

لأخي غنىً معروفُهُ مَكدُودُ

وخلاصة القول إن عروة بن الورد كان رمزاً لظاهرة إجتماعية لها امتدادات مؤثرة في واقعها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وانعكاسات ذات أثر بالغ على كافة مناحي الحياة، ولم يكن بحال من الأحوال مجرد زعيم ناجح أو فرد متميز ومشهور بصفة إيجابية محددة مثل تميز حاتم الطائي بالكرم، وعنترة بن شداد بالشجاعة، وإياس بن معاوية المزني بالذكاء والحكمة. فهو ومن تمحور معه من الشعراء الصعاليك قد شكلوا ظاهرة لها تأثيراتها ليس على صعيد الشعر فحسب، بل على الصعيد النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للحياة العربية القائمة آنذاك.

تجدر الإشارة إلى أن الصعاليك كانوا قبل زعامة عروة بن الورد لهم ضعفاء تزدريهم الأعين، مفككين لايستطيعون حيلة، ونتلمس ذلك في شعر عروة حيث جاءت به أخبار كثيرة عن هوان منزلة الصعاليك الاجتماعية، ومقامهم خلف أدبار البيوت، وسوء منظرهم في هذا المقام الذليل، وعن تلك الغضاضة التي يراها عليهم، وكيف يتوارون عن الناس، فلا يقيمون إلا حيث لا يراهم أحد، وعن ضيق حالهم ومقتهم من قبل أقاربهم، حتى ليوشكوا أن ينكروا قرابتهم لهم، فنراه في قصيدته الموسومة بـ "أقلي علي اللوم يا بنة منذر" يستعرض حواراً دار بينه وبين زوجته سَلْمى التي لامَتْه على المخاطرة بروحه وتعريض

نفسه للهلاك في الغارات التي كان يشنُّها من أجل فقراء قومه، ويُقدِّم لنا عروةُ تفاصيلَ هذا الحوار بشكل مبهر إلى أن يقول:

ذَرِيني أُطَوِّفْ فِي البلادِ لعلَّنِي

أخَلِّيكِ أو أغْنِيكِ عن سُوءِ مَحْضَرِ

فإنْ فَازَ سَهمٌ للمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ

جَزُوعاً، وهَلْ عَن ذَاكِ مِن مُتَأخَّرِ

وإنْ فَازَ سَهْمي كَفَكُم عَن مقاعدٍ

لَكُم خَلفَ أَدبارِ البُيوتِ ومَنْظَرِ

لمحة عن الهوية الشخصية لعروة بن الورد:

لابأس من التعريج على اسم ونسب وبعض تفاصيل هوية أمير الصعاليك الشخصية الذي ينتمي لبيت عريق من بطون قبيلة عبس، فأبوه الورد بن زيد الذي يعد أحد أثرياء عبس وسفرائها البارزين، وقد ولد عروة بن الورد في اليمامة قبل عام الفيل بثلاثة عشر عاماً، وكانت نشأته في مرابع قبيلته قبيلة عبس، وقد تعلم في سن مبكر القراءة والكتابة وفنون الشعر وتعمق بالأنساب ودرج على فروسية الخيل ليصبح بعدها الفارس الشجاع الذي لايشق له غبار، وقد تم وصفه بالمهذب تارة والطائش تارة أخرى، كان أبي النفس كريمها يطعم الفقراء ويجود على المحتاجين، وقد ذكرت بعض المصادر أن صداقة قوية ربطته مع عنترة بن شدّاد على الرغم من التباين الطبقي الكبير بينهما، لأن عنترة ترعرع في مكان فقير وحال بئيس جعله يتطلع لبلوغ مكانة متميزة عند قبيلته، في حين أن عروة ترعرع بعز وبحبوحة

من العيش لانتمائه لعائلة بارزة، ولكونه ابن أحد كبار القوم وسادتهم، وكل ذلك لم يزرع الكبر في داخله فقد كان متواضعاً لين الجانب عزيز النفس، وهذا ما جعله محطّ فخر وإعجاب كل من عرفه من ملوك وشعراء ناهيك عن العبيد والصعاليك.

اسمه الكامل: عُروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابنُ عُمر بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الحريث بن غطفان بن سعد بن قَيس بن عَيلان بن مضر بن نزار.

وبعد تلك الحياة الحافلة بالنضال والذكر الحسن الذي تركه في أنفس الناس منذ زمانه إلى يومنا هذا، توفي عروة مقتولاً في إحدى الغارات بعد أن تقدم به العمر، خرج مستكملاً شوط حياته التي نذرها لمبادئه السامية من أجل إحضار الطعام للفقراء، وكان هذا في سنة **594** ميلادية، وبعض المصادر تشير إلى أنه توفى سنة **607** ميلادية.

❖ المبحث السابع

حركة الصعاليك تجاوزت تسميتها:

أود أن أشير إلى أن الصعاليك قد عبروا بالمعنى اللغوي لكلمة الصعلكة، من الدلالة السلبية لها في المعاجم والقواميس، والتي لا تخرج عن دائرة الضعف والفقر والنبذ، إلى مفهوم محمّل بالمعاني الكبيرة، زاخر بالقيم الإنسانية والأفكار الاستثنائية قياساً مع ما كان سائداً آنذاك، وكذلك استطاع الصعاليك تحويل تلك المفردة المحدودة المعنى إلى مفهوم فكري عقائدي نبيل مترع بالنزوع العنفواني النافر الذي يأبى الخضوع للتسلط ويتقاطع مع الجور والتعسف، وقد تجلى ذلك في جلِّ ما نجم عنهم من تصرفات وسلوكيات وأعمال وأقوال شعرية ونثرية، فهؤلاء الصعاليك كانوا قد شكّلوا بحق أول تكوين سياسي

اجتماعي تمرّد على محددات الواقع وأطره الضيقة، تكوين يتسم بالروح الثورية الانقلابية على سلطة القبيلة التي كانت تمارس أبشع أنواع القهر والقمع والظلم والاستلاب على الطبقة المسحوقة من أفرادها، أكثر مما تمارسه مع خصومها من القبائل الأخرى، حيث كان النظام فيها معتمداً على ناموس التفاوت وعدم التكافؤ المبني على التمييز العرقي والتمايز الطبقي، ومن هنا فإن انطلاق حركة الصعاليك قد أحدث تخلخلاً واضحاً في سطوة الأقوياء المستبدين على الضعفاء، خصوصاً إذا علمنا أن كل الغارات التي كان يشنها الصعاليك كانت تستهدف الأثرياء الذين عُرفوا بالشحِّ واستغلال الآخرين، ولم يسجل أنهم قد أغاروا على غني كريم يقرئ الضيف، ويمد يد المساعدة للمحتاجين وهذا يحسب لهم.

في ذات الوقت تسوق بعض الكتب التراثية الأخبار عن الصعاليك على أنهم فُتَاك أو قطّاع طرق كما في كتاب "الكامل"[87] أو كتاب "الأمالي"[88]، وهذا (مع اعتذاري لقيمة هذين الكتابين الكبيرين) رأي مسطح، يفتقد إلى العمق والرؤية الصائبة في تشخيص الأشياء، ويفتقر إلى الإنصاف في تقييم الأخبار الواردة من خلال عدم التحري عن الأسباب والبواعث مكتفياً بالنقل التقريري المبتسر للأخبار وعرضها من زاوية نظر واحدة دون الإحاطة الكاملة بكل الأبعاد، وهذا فيه غمط للحقائق والوقائع التاريخية، وعدم إعطاء كل ذي حق حقه.

في الحقيقة لم تكن حركة الصعاليك العرب مجرد جماعة فتاكة، بل كانت حركة ذات منطلقات أخلاقية وفكرية إيجابية، فقد كانت تجمع القوة والبطش والفروسية والنجدة والعدل في توليفة عجيبة، والأهم

---

[87] – كتاب "الكامل في اللغة والأدب" لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، الجزء الأول الصفحة 310.

[88] – كتاب "الأمالي" لأبي علي القالي اسماعيل بن القاسم الجزء الثاني الصفحة 282.

من ذلك أن الصعاليك لم يحتكموا إلى المعايير السائدة والأعراف القائمة في قبائلهم وحواضرهم، بل كانت ضمائرهم اليقظة الحية هي المرجع الأساس في رفض الظلم ونبذ الطبقية والعبودية، ولم ينتظروا أحداً يدوّن لهم مآثرهم ويمجد بطولاتهم أو يسجل تاريخهم، فقد اعتمدوا على قدراتهم التعبيرية بالشعر الذي برعوا به وجعلوه سجلهم وديوانهم الخاص، وبذلك تمكنوا من التعبير عما تستبطنه ذواتهم من رفض للجور والتعسف الذي كان من مرتكزات البناء الإجتماعي القبلي، الذي كانت الأغلبية فيه تتراصف مع الغني القوي المستبد بالسلطة والمحتكر لمقدرات القبيلة ذاتها، وتعينه على قمع الناس البسطاء الكادحين الذين يشكلون قوام الحياة العامة والنسيج الإجتماعي العام في القبيلة والقوى العاملة فيها إذا جازت التسمية.

لقد سعى الصعاليك في غاراتهم وغزواتهم إلى إشاعة نوع من الحركة المنظمة ذات التلمسات الآيدلوجية الثورية التي تنزع نحو تحقيق مطالب الفقراء، وتجتهد في تلبية طموحاتهم، كما أنهم آلوا إلّا أن يكون تمردهم وتوثبهم سبيلاً لرفع الحيف والجور عن المظلومين، وأن يكون كفاحهم وسيلة لتحقيق الغاية المنشودة التي يرتجونها، وفي خضم تلك الحركة الشاكية السلاح سعوا إلى إشاعة نوع من المساواة التي تؤسس للعدالة الاجتماعية في صياغاتها الأولية البسيطة، من أجل تهيئة الفرصة المناسبة لجميع الفقراء والمعدمين المهضومة حقوقهم لكي يتمكنوا من النهوض والانتفاض لرفع الحيف والظلم عن كاهلهم عبر المشاركة الجماعية المنظمة التي يشترك بها سائر أفراد المجتمع لتحقيق حياة إجتماعية حرة كريمة.

لقد كان النظام القبلي العربي في عصر ما قبل الإسلام قوي التمسك بالأصل وبالشجرة العائلية وشديد الإهتمام بالأنساب والأحساب، لأنها كانت تمثل العنصر الأساسي في كيانهم ووجودهم، والذي يصل إلى مستوى المقدس عندهم، فلا غرابة إن طفحت أساليب التفرقة العرقية والعنصرية والاجتماعية على السطح وأصبحت أساساً في تكوينهم الإجتماعي، وبالنتيجة تمخض ذلك عن استشراء ظاهرة

التفرقة والتفاضل بين الأعراق التي أفضت إلى استعلاء العرق العربي الممحص عموماً على سواه في المجتمع الجاهلي، وداخل هذا التعالي العرقي توجد درجات ومستويات تحددها أسباب أخرى تتعلق بأسماء بعض العوائل وتاريخها الحصري ومركزيتها داخل القبيلة، أو بالمستوى المعيشي والاقتصادي لها، ومن ثم القرب والبعد حسب التدرج بالنسب إلى القبيلة كالبطون والأفخاذ والفصائل، هذا من جانب، ومن جانب آخر تصاعدت وتيرة التفرقة الاجتماعية لتصل إلى حد التفرقة بين القبائل ذاتها والمفاضلة فيما بينها واستعلاء بعضها على بعض بروح العصبية القبلية التي أوجدت حالة من الطبقية أو الدرجية إذا جازت العبارة في مكانة القبيلة بالمجمل بين نظيراتها من القبائل[89]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل استفحلت ظاهرة الاستعلاء والشمخريرة داخل القبيلة الواحدة ذات الأصل الواحد عادة، فتفرد نفر قليل وفق معايير السلطة وامتلاك المقدرات بالكبر والإستعلاء والأنفة، الأمر الذي كرس حالة التمايز الطبقي وأشاع الظلم والتعسف والاستغلال، ووفق هذه الاعتبارات، لاغرو أن يقوم ذلك النظام بتحديد وتحييد الوجود الإنساني والإجتماعي لأفراد القبيلة الذين ينحدرون من أعراق وإثنيات

---

[89] – على سبيل المثال إجماع العرب على الحط من مكانة قبيلة باهلة على الرغم من كونها قبيلة عربية أصيلة الحسب، وفيها شخصيات كريمة مؤثرة في التاريخ العربي والإسلامي أمثال القائد الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي وعلامة الأدب الأصمعي والكثير غيرهم، وفي ذم قبيلة باهلة قال الشاعر:

ولو قيل للكلبِ يا باهلي عوى الكلبُ من لُؤم هذا النسب

وقال آخر:

وما ينفع الأصلُ من هاشمٍ إذا كانت النفسُ من باهلة

أخرى، ولم يقف الأمر عند حدود التعالي بل تعداه إلى الاستعباد وامتهان الذات الإنسانية المحترمة، وبالفعل جرت هذه العجرفة إلى التعامل معهم بإحتقار وازدراء وفوقية واعتبارهم من الموالي والعبيد.

من هنا فإن هؤلاء الشعراء الثائرين الذين تخلصوا من ربقة القيود القبلية، استطاعوا أن ينتقلوا بمصطلح الصعلكة إلى رحاب أوسع تجاوزوا فيه البعد الضيّق المتعارف عليه سابقاً لهذه المفردة إلى مفهوم حيوي يؤسس لمنطلقات جديدة تتسم بطابع المساواة والعدالة الاجتماعية وأرسو أعرافاً جديدة مغايرة بطبيعتها لما تواطأ الناس عليه، فالمفهوم الجديد الذي تبلور من خلال حركة الصعاليك يستند على مرتكزات وإشتراطات، منها الفروسية والقيم النبيلة والأعمال ذات الطابع الإنساني الإيجابي، ويتجسد ذلك من خلال مساندة الضعفاء ومساعدة الفقراء والانتصار للمظلومين ضد القوى المستبدة المتعسفة الهاضمة لمقدرات وحقوق الشرائح المعدمة وعامة الناس، وكذلك استدعي المفهوم الجديد التراصف مع طبقة المسحوقين والمعدمين ضد الأثرياء والمتخمين سارقي قوتهم وخيراتهم، ورغم أنهم استطاعوا تحريك رياح التغيير، لكن النتائج لم تكن في مستوى الطموح لأسباب عديدة يقف في مقدمتها عدم نضج أدواتهم الفكرية والمعرفية التي يعبرون بها عن تلك الأفكار، وإخفاقهم في تطبيق القيم النبيلة بأدوات نبيلة، أو بتعبير أدق لم يحسنوا تجسيد تلك القيم بوسائل من جنسها من خلال وقوعهم بمنزلق الميكافيلية[90] لأن وسائلهم في التغيير لم تبتعد عن العنف والفتك ولم ترتقِ إلى نبل الأهداف والغايات التي يتطلعون إليها.

[90] – تعرف الميكافيلة في قاموس أوكسفورد الإنجليزي بأنها: "توظيف المكر والازدواجية (الخداع) في الكفاءة السياسية أو في السلوك العام"، وأصبحت مصطلحاً يعبر عن مذهب فكري فلسفي أو نهج سياسي تلخصه عبارة: "الغاية تبرر الوسيلة" وقد ابتكر هذا المفهوم الدبلوماسي والكاتب الإيطالي نيكولو مكيافيلي الذي كتب عن هذا المذهب كتابه المهم (الأمير).

إن من أهم ما يميز القدرات المتاحة لهؤلاء الصعاليك في التغيير هو امتلاكهم ناصية الشعر، وكان للشعر أثر كبير في حركة الواقع والمجتمع في تلك الفترة، كما كانت لغتهم التعبيرية تمتاز بفخامتها وقوة بيانها في طرح الأفكار، وهو ما يحسب لهم، وهذا العنصر القوي في التعبير والإفصاح قد أمدّهم بزخم كبير، غير أن الشعر لوحده غير كافٍ حسب اعتقادي لتأسيس إطار نظري يستوعب كل المنطلقات والأبعاد الفكرية التي تنظّر للتغيير المنشود في الواقع الذي يعشعش فيه الظلم والاستبداد، كما هو حال الثورات الكبرى في التاريخ، لأن الشعر ببساطة يرتبط بالوجدان والأحاسيس أكثر من ارتباطه بالعقل والمنطق، وعادة ما يحتاج إلى هزات شعورية ونفساوية قوية لكي يستقيم كأداة تعبيرية، وفي أحسن أحواله يكون محرضاً ومجيّشاً لمشاعر الغضب ضد القهر والاستغلال، بعكس التنظير الفكري الذي ينطلق أساساً من معاينة الواقع ودراسته بعمق ودقة وتأنّي عبر متابعة حثيثة لمجرياته تستوعب أدق التفاصيل بروح بحثية تعتمد المناهج العلمية في قراءة الأحداث، ومن ثم تشخيص بؤر التوتر فيه لكي يتم التوصل بعد ذلك إلى رؤية علمية عملية تعالج معضلات الواقع، وتضع الحلول الناجعة للمشكلات القائمة التي يعاني منها المجتمع، وهذا ما لم يحصل بشكل عملي في حركة الصعاليك ونشاطهم.

رغم هذا لا يمكننا غض البصر عن المحاولات التي توضح الأفكار وترسم بعض الخطوط الفكرية والنظرية وإن كانت متواضعة، وذلك لأن التأطير النظري للأفكار كان عبر السجل الشعري الحافل للصعاليك، بمختلف المواقف التي شهدوها، ومن نافلة القول أنه إذا كان الفقر دافعاً للصعلكة وعلة لها، أو سبباً عند البعض لمد يد التسول والاستجداء واستدرار الحسنات، فإنَّ الصعاليك كانوا أصحاب

نجدة وإيثار، وقد تميزوا عن سواهم من الفقراء بسمو همتهم ورفعة قاماتهم التي لم تطأطأ للظلم والظالمين، وعبروا خير تعبير بالقول والفعل عن روحهم الأبيّة التي رفضت العيش على فتات موائد الأغنياء المستبدين، وأكدوا بقولهم وفعلهم أنهم أباة ضيم، وعزيزي نفس لم يقبلوا بأن يكونوا عالة على الآخرين، وقد رخصوا دمائهم لعزتهم ونذروا أرواحهم قرباناً لكرامتهم كي لا يعيشوا عن طريق التكسب بذلة وهوان، وقد كانوا يحبذون المخاطرة بالنفس ويعتبرونها أفضل من الخمول والدعة، وبهذا المعنى يقول عروة بن الورد:

خاطِر بِنَفسِكَ كَي تُصيبَ غَنيمَةً

إِنَّ القُعودَ مَعَ العِيالِ قَبيحُ.

لقد تميزت حركة الصعاليك بأنها ثورة من طراز غير مألوف في أبجديات ذلك العصر، وتمرد جريء على الواقع الاجتماعي المتسم بالقهر والتعسف، وكانت تمثل احتجاجاً واعياً على ظاهرة الفوارق الطبقية الظالمة، فأصبحت مظهراً من مظاهر الصراع بين الطبقة الغنية المحتكرة للمال والسلطة والطبقة الفقيرة المباحة الحقوق المسلوبة الإرادة، وبما أن الصعاليك كانوا يعبرون بأفعالهم وقصائدهم عن حال غالب الناس من المحرومين والمعدمين، فقد تعاطف الفقراء والمحرومون وجميع الطبقات المسحوقة في المجتمع الجاهلي معهم الى أبعد حد، معتبرين أن الحراك الذي يضطلع به الصعاليك كفيلاً بتحقيق مصالحهم المهدورة، ومعبراً عن تطلعاتهم في حياة حرة كريمة تكفل أبجديات العيش وتنزع نحو العدالة الاجتماعية.

بيد أن هناك مؤاخذات كثيرة على تلك الثورة، كونها لم تكن ثورة جماهيرية منظمة تساهم في مفاصلها الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية بالتغيير، ولم تضطلع نخبة مثقفة لقيادتها، ولم تعتمد في إجراء الفعل

التغييري على شريحة شعبية واسعة، وقد عرف عنها أنها ثورة فردية عشوائية يعبر فيها كل صعلوك عن معاناته الشخصية وتجربته الخاصة، وقد وصل الأمر من عدم وضوح الرؤية الفكرية عند بعض الصعاليك أنهم لم يفرقوا بين الظالم والمظلوم أو الجلاد والضحية الى حد وصل فيه بعضهم إلى استيحاش الناس والحقد على البشر جميعاً ما حبب إلى نفوسهم اعتزال المجتمع بالكلية، ونظراً لهذه الفردية غير المنظمة والتي لم تمتلك برنامجاً تغييرياً واضحاً، فقد فشلت هذه الحركة في تحقيق العدالة الاجتماعية، لأن تحقيق العدالة الاجتماعية يتطلب منحى ثورياً يشتمل على الجماهير الواسعة وليس المغامرين من الأفراد وحسب.

* * *

الفَصْلُ الثَّالِث

القَصائدُ المسمّاةُ
واللّامِيّاتُ الشَّائِعَةُ فِي الشِّعرِ العَرَبِي

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: تسمية القصائد في العصر الجاهلي**
- **المبحث الثاني: لمحة عن القصائد المسماة عبر تاريخ الأدب العربي**
- **المبحث الثالث: تسمية لاميّة العرب**
- **المبحث الرابع: لمحة عن لاميّات الأمم**
- **المبحث الخامس: مرور سريع على لاميّات الشعراء الآخرين المشهورة**

لأمة العرب

❖ المبحث الأول

تسمية القصائد في العصر الجاهلي:

لم تكن من عادة العرب في الجاهلية وضع تسميات للقصائد كما هو متعارف عليه الآن، فقد كانوا يكتفون بتسمية القصيدة بحرف رويها مقروناً مع اسم شاعرها، ولكن ذلك لم يكن بشكل مطلق، فلو استثنينا قصيدة "لاميّة العرب" نجد أن العرب لم يطلقوا أسماءً إلّا على عدد قليل من القصائد الجياد كقصيدتي "سمط الدهر"[91]وهما قصيدتان لعلقمة الفحل[92]بينهما عام كامل، عرض علقمة الأولى منهما على قريش والتي يقول في مطلعها:

هَل مَا عَلمتَ ومَا استُودعْتَ مَكتُومُ

أمْ حَبْلُهَا أَنْ نَأتكَ اليَومَ مَصرُومُ

فاستحسنت منه قريش ما أنشدهم وقالوا بالإجماع: هذه سمط الدهر، ثم عاد علقمة في العام التالي إليهم، فأنشدهم القصيدة البائية الشهيرة والتي مطلعها:

طَحَا بك قلبٌ في الحِسَان طَروبُ

---

[91] – السمط هو القلادة تتزين بها النساء، وجاءت كلمة "سمط" في معجم المعاني الجامع وهو معجم عربي عربي بمعان كثيرة، أذكر منها.. سَمَّطَ القَصِيدَةَ: نَظَمَهَا مُسَمَّطَةً ، أيْ مُقَسِّماً البَيْتَ إلَى أَجْزَاءٍ مُقَفَّاةٍ عَلَى غَيْرِ رَوِيِّ القَافِيَةِ

[92] – هو الشاعر علقمة بن عَبَدة الفحل أحد فحول شعراء الجاهليَّة والمقدمين منهم واسمه علقمة بن عَبَدة بن النعمان بن قيس، من بني تميم.

بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

فقالت قريش قول رجل واحد: هاتان سمطا الدهر.

وهذه من الحالات الاستثنائية التي تنال قصيدة ما اسماً علماً خاصاً بها عند العرب، ومن الحالات النادرة الأخرى في هذا المضمار، هي اطلاق العرب على عدد محدود جداً من القصائد الكبرى اسم المعلقات، فأصبحت كل معلقة تعرف بإضافة اسم شاعرها عليها، ومن الجدير بالذكر إن القصيدة عندما تحوز لقباً خاصاً يصبح الأمر موجباً لتداولها به كأمانة تاريخية لا يمكن دحضها، لدرجة استحالة الخلط بين الأسماء والمسميات بحيث لا يمكن أن نسمي على سبيل المثال أي قصيدة جاهلية أخرى مهما علا كعب شاعرها أو علا شأنها من الناحيتين اللغوية والفنية باسم معلقة، وهذا الأمر ينسحب على شعراء المعلقات أنفسهم، فليس لهم الحق بتسمية قصيدة أخرى لهم بالمعلقة بالمرة، فبقي هذا اللقب حصرياً على القصيدة المسماة لا غير، كما لا يمكن ترشيح قصيدة جديدة لأحد مجايليهم حتى لو كانت تلك القصيدة مستوفية شروط الجودة والكمال البلاغي، وكأن القلم قد رفع بما هو موجود من تسميات.

لقد تميز العرب عن سواهم من الأمم الأخرى في تعاطيهم العميق للشعر وتعاملهم الشغوف مع القصائد المهمة في أدبهم، فعندما يسمون بعض القصائد المهمة في تاريخ أدبهم بأسماء خاصة بها، لا يتنكرون لهذه الأسماء ولا يتلاعبون بها ولا حتى يتراخون في استخدامها، فالتسميات عندهم شاخصة بنفس الطريقة والقوة التي تطلق فيها على الأماكن العامة والمعالم العمرانية، وكأنها ذات أهمية حيوية كأهمية الموارد الطبيعة مثل الأنهار والأشجار والجبال والسهول والهضاب والصحارى، وكأنهم يريدون بذلك أن يعطوا انطباعاً بأن هذه القصائد تشكل بذاتها معالم كبرى تخص الحياة العربية، أو على الأقل

هي شواخص متجسدة بارزة في باحة الأدب العربي والحياة العربية، وأصبحت هذه القصائد بمرور الزمن من الثوابت لديهم، أو التابوهات التي لايمكن المساس بها، ومن هنا أصبحت تلك التسميات حقاً حصرياً لتلك القصائد.

❖ المبحث الثاني

لمحة عن القصائد المسماة عبر تاريخ الأدب العربي:

لقد اتبع العرب عدة طرق في تسمية القصائد، ربما يختلفون في باعث وطريقة التسمية، لكنهم لم يختلفوا على اسم القصيدة بعد أن تتم تسميتها، بحيث صارت تلك التسميات المحددة سمة بارزة وحقاً تاريخياً مكفولاً للقصائد المسماة، ويكفينا أن نستدل على ذلك بما قاله ابن النحّاس[93]في هذا الصدد: "وليس لنا أن نعترض في هذا فنقول: في الشعر ما هو أجود من هذه، كما أنه ليس لنا أن نعترض على الألقاب وإنما نؤديها على ما نقلت إلينا"[94].

من الطرق المتبعة في تسمية القصائد عند العرب هي تصنيف عدد من القصائد وفق رؤية معينة وإدراجها ضمن مجموعة واحدة تحمل إسماً معيناً جامعاً موحداً لجميع القصائد، وإذا أردنا أن نسمي إحداها نقوم بإضافة اسم الشاعر على المجموعة، وقد كثر هذا الأسلوب في العصر العباسي، فقام الكثير من الشعراء أو النحويين بانتقاء مجموعة من القصائد في باب معين فيقوم بشرحها أو نقدها

---

[93] – هو أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المصري، ولد ولد بالفسطاط في 25 ذو الحجة عام 338 هجرية الموافق لعام 950 ميلادية. رحل إلى بغداد وأخذ النحو عن الزجّاج والأخفش الأصغر والمبرد ونفطويه، وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط.

[94] – كتاب (شرح القصائد التسع المشهورات) لابن النحاس الصفحة 681

والتعليق عليها، ومن بين أمثلة المجاميع أو القصائد التي خلعوا عليها الأسماء حسب تسلسلها التاريخي بدءاً من العصر الجاهلي هي:

أولاً: المعلقات: هناك آراء عديدة حول منشأ تسمية هذه القصائد بهذا الإسم أو الباعث لها، أشهرها أنها كتبت بماء الذهب وتم تعليقها على أستار الكعبة[95]، يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد: "وقد بلغ من كلف العرب به – أي الشعر – وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة[96]، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير" وهناك من يقول أن سبب هذه التسمية أن العرب كانوا يعدونها كعقود الدر التي تعلق بالرقاب، وآخرون قالوا أنها تعلق في الأذهان لجودتها وتميزها، وهناك من يرجع تسميتها إلى الأصل اللغوي لكلمة (عِلْق) وهو النفيس من كل شيء لذلك فهي معلقات أي نفائس لأنها بالفعل ذات قيمة عالية فنياً، وأنها بلغت الذّروة في اللغة، وتربعت على عرش الخيال والجمال والفكر في الشعر العربي ولها القسط الأوفر في عذوبة الموسيقى ونضج التجربة، ورقي التعبير، وهذا برأيي من الآراء الوجيهة.

---

[95] – العديد من العلماء يؤيد ربط تسمية المعلقات بمسألة تعليقها على جدار الكعبة، ومن بين العلماء الذين يذهبون هذا المذهب ياقوت الحموي وابن رشيق وابن خلدون وابن الكلبي، وآخرين وفي ذات المعنى ذكر ابنُ الكلبي إنّ أوّل ما عُلّق على الكعبة هو شعر امرئ القيس، ثمّ عَلّق الشعراء بعده، وهناك الكثير من العلماء يعارض هذا السبب في تسميتها مثل أبي جعفر النحّاس، والشيخ مصطفى صادق الرافعي والدكتور جواد علي، واستندوا في نفيهم ربط تسمية المعلقات بالكعبة على عدة أسباب منها: أنها لم تكن موجودة أثناء تحطيم الأصنام في فتح مكة، وكذلك عدم ذكرها في ما ورد عن الصحابة أو التابعين، بالإضافة إلى عدم ذكرها عند إعادة بناء الكعبة.

[96] – القُبَاطيّ: واحدة القِبطية ثيابٌ بِيضٌ رقيقة من كَتَّان تُنسج بمصر.

أما كون المعلقات تم تعليقها على أستار الكعبة فذلك رأي ضعيف جداً، وأنا أميل إلى السبب الراجح والأكثر وجاهة في تسمية المعلقات بهذا الاسم هو أن العرب قد تعلقوا هذه المعلقات حبا دون بقية القصائد، وكأنها كانت معلقة على قلوبهم تعلقا من (المحبة). ويقال: عَلِقَها، بالكسر، عَلَقاً وعَلاقةً وعَلِقَ بها أي أحبها، وعُلِّقَها وعُلِّق بها تَعْلِيقاً: أَحبها، وهو مُعَلِّقُ القلب وبهذا المعنى قال الأَعشى:

عُلِّقْتُها عَرَضاً، وعُلِّقَتْ رجلاً

غَيْري، وعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرها الرجلُ

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدد من الباحثين قد شطّ عن هذه الآراء وقالوا أنها كانت تكتب على رقاع من الجلد وتعلق على عمود الخيمة، مبتعدين بذلك عن إشكالية التعليق على جدار أو أستار الكعبة الشريفة، المهم مهما تعددت أسباب هذه التسمية، إلّا أن العرب لم يختلفوا على الإسم ولا على أسماء شعراها، رغم الاختلاف الموجود في عددهم بين السبع والثمان والتسع والعشر قصائد، ومن الجدير بالذكر أن هذا الاختلاف البسيط في عدد المعلقات لم يفسد الاتفاق المهم بتسمية الشعراء والقصائد المحددة بعينها، فالذي يقول بالثمان لا ينكر السبع المعلقات بل يضيف ثامنة لها، والذي يقول أنها تسع لم ينكر الشعراء المذكورين قبله، والذي يكمل الرقم عشرة، ويتم هذه القصائد بالقصيدة العاشرة، لاينكر القصائد التسع الأخرى حسب التسلسل الوارد، سوى بعض الاختلافات البسيطة في تسلسل بعض الشعراء من بعد الرقم السادس، ومما يجدر الوقوف عنده أنه لم يقل أحد لا من المتقدمين ولا من المتأخرين بأكثر من هذا العدد، وفيما يلي مرور على مطالع المعلقات العشر حسب التسلسل المعهود المعتمد عند الرواة وكما وردت في أغلب الكتب التي تناولتها، وهي كما يلي:

- معلقة امرؤ القيس ومطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ

بِسَقْطِ اللوّى بَينَ الدَّخُولِ فَحوْمَلِ

- معلقة طرفة بن العبد البكري ومطلعها:

لِخَوْلَةَ أطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ

تَلُوحُ كَبَاقي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

- معلقة زهير بن أبي سلمى المُزني ومطلعها:

أَمِنْ أُمِّ أَوفَى دِمْنة لَمْ تَكَلَّمِ

بِحَومَانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

- معلقة لبيد بن ربيعة العامري ومطلعها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحلُّهَا فَمُقَامُهَا

بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجامُهَا

- معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ومطلعها:

ألاَ هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبَحِيْنَا

ولاتُبْقِي خُمُورَ الأنْدرِيْنَا

- معلقة عنترة بن شداد العبسي ومطلعها:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ

أَمْ هَلْ عرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

- معلقة الحارث بن حِلزة اليشكري ومطلعها:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْماءُ

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

- معلقة الأعشى، ميمون بن قيس ومطلعها:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ

وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

- معلقة النابغة الذبياني ومطلعها:

يَا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَا، فَالسَّنَدِ

أَقوَتْ وَطالَ عَلَيْها سالِفُ الأبَدِ

- معلقة عبيد بن الأبرص ومطلعها:

أَقفَرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ

فَالقُطَّبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

كما وردت تسمية المعلقات بأسماء أخرى كالمذهبات والمسمّطات[97] والمقلّدات[98] والطوال، والنفائس، ومن أسمائها كذلك، القصائد المشهورات، وذلك لذيوع شهرتها وسميت أيضاً السبع الطوال الجاهليات، وقد قال بهذا الاسم من رأى أن المعلقات سبع، ومن أسمائها أيضاً القصائد التسع، وقال بهذا الاسم من رأى أن القصائد المشهورة تسع، كما أطلق من رأى القصائد عشراً اسم المعلقات القصائد العشر، وكل تسمية من هذه التسميات تحتاج إلى بحوث طويلة يتشعب الحديث عنها.

[97] – السموط: الخيط الذي يجمع حبّات العقد مع بعضها البعض، وكأنَّ تلك القصائد خيط وقد انتظم اللؤلؤ عليه.

[98] – سميت بالمقلّدات لإنّ من جاء من الشعراء بعد أصحاب المعلقات قلّدهم في طريقتهم، وهو رأي الدكتور شوقي ضيف وبعض المتخصصين.

ثانياً: المنصفات: ضرب من ضروب الشعر العربي يمتاز ببعده الإنساني الراقي، الحافل بالمثل العليا، وهي أحد ألوان الشعر العربي ينحى فيه الشاعر اتجاهاً معاكساً لاتجاه الشعراء في تباهيهم وفخرهم بذواتهم أو بقبائلهم، فنجد الشاعر يقف من الخصم موقفاً إنسانياً منصفاً مغايراً لما هو مألوف وشائع في إمعان معظم شعراء العصر الجاهلي في تعظيم بطولات قومهم والازدراء بالخصوم والاستهانة بهم والحط من قدرهم، وبشكل خاص عند تحقيق النصر عليهم في الحروب والغزوات، فالشعراء المنصفون إذا جازت التسمية، كانوا يصورون الواقع بحيادية تامة ويعبرون عن الحقيقة بصدق وإنصاف دون تزويق أو مبالغة، فيتحدثون عن ما حدث ودار بين قومهم وأعدائهم، بروح نبيلة منصفة لاتغمط حق أحد بصرف النظر عن الموقف منه، فيشيدون بمظاهر البطولة التي تحلى بها الجانبان. وجاء تعريف المنصفات في (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) بالآتي: "هو لقب للقصائد الجاهلية التي لم يبدّل قائلوها الحقائق فيها، فيعترفون بهزيمة أقوامهم إن هزموا، وبفرارهم إن ولوا الأدبار، ولا يبخلون على أعدائهم بوصف شجاعتهم وبلائهم في الحروب"[99]، كما جاء تعريفها في (خزانة الأدب) للبغدادي بالآتي: "وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم فيها، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم في إمخاض الإخاء، قد سموها المنصفات. ويروى أن

[99] – كتاب (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)، تأليف: مجدي وهبة وكامل المهندس، الصفحة 391 الصادر عن مكتبة لبنان، الصبعة الثانية، بيروت، 1984م.

أول من أنصف في شعره المهلهل بن ربيعة[100]، حيث قال: كأنَّا غُدْوَةً وبَنِي أبِينَا بجَوْفِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ".

إن طبيعة النظرة المنصفة والنهج الوسطي الذي اتخذه شعراء المنصفات من طرفي النزاع المتمثل بقبيلته والقبيلة المناوئة لها، جعل موقفهم إزاء قبائلهم يكون موقفاً عقلانياً، فلم يلجأوا لذم القبلية ولم يقفوا موقف المادح الأحادي الجانب، المطبل من دون تفكير لها، بل اتخذوا بين ذلك سبيلا، جاعلين من مبادئ العدل والانصاف والانحياز للحقائق معياراً لموقفهم، ومن بين هؤلاء المنصفون على سبيل المثال لا الحصر، الشاعر عبد الشارق بن عبد العزى الجهني حين وصف بكل حيادية معركة خاضتها قبيلته، فأشاد فيها بشدة المعركة وشدة بأس الخصم إذ يقول في بعض أبياتها:

شَدَدْنا شَدَّةً فقَتَلْتُ مِنْهُمْ

ثَلاثَةَ فِتْيَةٍ وقَتَلْتُ قَينا

وشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا

بأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ ورَمَواْ جَوَينا

فآبُوا بالرِّمَاحِ مُكَسَّراتٍ

وأُبْنَا بالسُّيوفِ قَدِ انْحَنَينا

وباتُوا بالصَّعِيدِ لهُمْ أُحَاحٌ

وَلَو خَفَّتْ لَنَا الكَلْمَى سَرَينا

---

[100] – هو عديّ بن ربيعة بن الحارث التغلبي، كنيته أبو ليلى، شاعر مجيد وبطل من أبطال العرب في الجاهلية، وهو خال الشاعر امرؤ القيس، لُقبَ بـ "المهلهل" لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه، توفي عام 531 ميلادية قبل 94 عام من الهجرة.

يذكر الشاعر هنا أنه قتل ثلاثة منهم إضافة إلى فارس مشهود له بالشجاعة، كما أنهم قتلوا ثلاثة منهم وفارساً بارزاً وهو "جوين"، كما أشاد في أبيات سبقت هذه الأبيات من نفس القصيدة بفضيلة أخرى تنم عن قيم الفروسية تعاملت بها القبيلة الخصم، وهي عدم الغدر بالرسل، كما هم قد تعاملوا بها كذلك:

فَأَرسَلْنا أَبَا عَمْرُو رَبيئاً

فَقَالَ أَلا انعِمُوا بالقَومِ عَينَا

وَدَسُّوا فَارِسَاً مِنْهُم عِشَاءً

فَلَمْ نَغدِرْ بفَارِسِهِمْ لَدَينَا

وفي هذه القصيدة التي وردت في ديوان الحماسة لأبي تمام نرى أن ديدن الشاعر الإنصاف حين عادل بين كفتي القبيلتين، فهو لم يرفع من مكانة قبيلته ولم يعظم من شأنها، إلّا بذات القدر الذي عظم فيه شأن القبيلة الأخرى، وهذه هي النظرة المنصفة التي كان الشعراء المنصفون ينطلقون منها في قصائدهم.

ونجد في كثير من المنصفات من القصائد يقف الشاعر منشداً ومعبراً عن أعدائه بما يليق بقيمتهم الإنسانية، وأحياناً يتحدث بإعجاب عنهم وعن مناقبهم كما يتحدث عن نفسه أو أحد أفراد عشيرته، وقد يلجأ أحياناً إلى مدحهم بما يستحقون عياناً وجهاراً، وقد حصل ذلك فعلاً عند كثير من الشعراء كما فعل الشاعر دريد بن الصمّة[101] عندما مدح الفارس الذي حمى

[101] – دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوزان، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث، شجاع وفارس همام لايشق له غبار، وهو من الأبطال الصناديد، والشعراء الفحول، المعمرين في الجاهلية. كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وقيل أنه أطول الفرسان الشعراء غزواً، وأبعدهم أثراً، وأكثرهم ظفراً، وأيمنهم نقيبةً عند العرب، وأشعرهم، وقد غزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة

ظعنه بعد موته، ربيعة بن مكدم[102]وهو خصمه في المعركة التي دارت بين قبيلتيهما، وباعث المدح وفق القصة التي وردت في ديوانه وذكرها صاحب "الأغاني" كذلك: أنّ دريد بن الصمّة حين رأى ربيعة بن مكدم قد انكسر رمحه في أتون المعركة بعد أن جندل ثلاثة صناديد من أفضل فرسان قبيلة هوازن، قال له حين التقاه: أيها الفارس إنّ مثلك لا يُقتَل، ولا أرى معك رمحًا، فدونك هذا الرمح، وأعطاه رمحاً، وكان ذلك من فرط انبهاره بثباته في المعركة وتمكنه من مقارعة الصناديد، ورجع يُثبّط أصحابه عن مواجهة ربيعة، إلى أن انصرفوا عنه دون قتاله، ونجا ربيعة بن مكدم، فأنشد دريد بن الصمة قصيدة يعبر بها عن إعجابه بشجاعة خصمه يقول فيها:

ما إِن رَأَيتُ وَلا سَمِعتُ بِمِثلِهِ

حامي الظَعينَةِ فارِساً لَم يُقتَلِ

أَردى فَوارِسَ لَم يَكونوا نُهزَةً

ثُمَّ اِستَمَرَّ كَأَنَّهُ لَم يَفعَلِ

منها. وعاش أكثر من مائة عام حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوزان خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به وبخبرته في الحرب، وهو أعمى.

[102] – هو ربيعة بن مكدم الفراسي الكناني، أحد فرسان العرب المعدودين في الجاهلية، إشتهر بلقب حامي الظعائن ومجيرها حياً وميتاً، وضربت به العرب المثل في الشجاعة والنجدة فقالوا: أشجع من ربيعة بن مكدم، وكذلك قالوا: أحمى من مجير الظعن. وتذكر المصادر أنه لا يوجد فارس حمى أهله بعد مقتله سواه، فعندما علم بقرب منيته بعد أن أصابه سهم قاتل، إتكأ على رمحه وهو على متن فرسه وقال للظعن: "أوضعن ركابكن حتى تنتهين إلى البيوت فاني ميت من هذا السهم وسوف أبقى لكم دونهم على العقبة وأعتمد على رمحي فلن يقدموا عليكن ما أقمت مكاني" وبقي يحميهن وهو ميت حتى بلغن مأمنهن، وما استطاع القوم أن يتقدموا عليه، وبعد أن وصل الظعن مأمنه، انتبهوا أنه مائل العنق، فعلموا أنه قد مات، فرموا فرسه للتأكد، فقمصت الفرس وزالت فمال عنها ميتاً، وقد حمى الظعن ورجع الأعداء عن غايتهم.

مُتَهَلِّلاً تَبدو أَسِرَّةُ وَجهِهِ

مِثلَ الحُسامِ جَلَتهُ كَفُّ الصَيقَلِ[103]

يُزجي ظَعينَتَهُ وَيَسحَب ذَيلَهُ

مُتَوَجِّهاً يُمناهُ نَحوَ المَنزِلِ

وَتَرى الفَوارِسَ مِن مَخافَةِ رُمحِهِ

مِثلَ البُغاثِ خَشِينَ وَقعَ الأَجدَلِ

يا لَيتَ شِعري مَن أَبوهُ وَأُمُّهُ

يا صاحِ مَن يَكُ مِثلَهُ لا يُجهَلِ

ولكي لا يطول بنا الاستطراد في هذا المضمار أقول: أن القصائد المنصفات تستبطن ألمعية حادة وتنم عن ذكاء مفرط، إضافة إلى قيم الفروسية والانصاف التي تنطوي عليها، وذلك أن شعراء المنصفات حينما أنصفوا عدوهم فإنهم أظهروا هيبة قبائلهم وشجاعتها بشكل جلي وبإسلوب أكثر بلاغة ورقياً ومضاءً، فلا فخر أن يتم التغلب على الخصوم إن كانوا ضعافاً، كما أن الانتقاص من الخصم لايعدو عن كونه انتقاصاً للمدوح في ذات اللحظة، وذلك لأن الفروسية تثلم بل تنعدم إذا كان النصر على خصم ضعيف، بل سيعد ذلك مثلبة، لأن الفارس الذي لا يختار كفأه فهو ليس بفارس، وهناك العديد من القصص والروايات التي تتحدث عن فروسية المقاتل العربي الذي لا يرتضي أن يواجه خصماً ضعيفاً أو عدواً أعزلاً، وتلك هي قيم الرجولة والفروسية.

[103] – الصيقل أو الصقّال هو الحداد الذي يصقل السيوف: أي يجلوها

ثالثاً: جاءت في كتاب "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القُرَشِيّ تسميات لقصائد محددة وهي محاولة مبسطة للتعريف بطبقات الشعراء تتكون من مجموعة سباعية، تضم سبعة أقسام في كل قسم سبع قصائد، وهي: المعلقات، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشوبات، والملحمات وفي اعتقادي أن هذا الكتاب هو محاولة تصنيفية لطبقات الشعراء وكذلك السمات المشتركة للقصائد المهمة في تاريخ الأدب العربي. والحديث المفصل عن هذه القصائد والمسميات يطول، ويمكن الرجوع إلى كتاب "جمهرة أشعار العرب" لتقصي دواعي هذه التسميات.

رابعاً: أطلق العرب على بعض القصائد أسماء محددة أصبحت علماً ولقباً لا يمكن تجاهله كـ "البردة"[104] و "اليتيمة"[105]، و"سمط الدهر" بنسختيها الأولى والثانية، وفي هذا الصدد قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني[106] "أخبرني عمي، قال: حدثني النضر بن عمرو، قال: حدثني أبو السوار عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى عن حماد الراوية، قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولاً وما ردوه منها كان مردودا. فقدم عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

---

[104] – قصيدة كعب بن زهير المعروفة والتي مطلعها (بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ إثرها لم يفد مكبولُ) التي ألقاها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[105] – قصيدة من أجمل الشعر العربي، وقيل إنها قتلت صاحبها، وقد نسبها أربعون شاعراً لنفسه، والراجح أن قائلها هو: دوقلة المنبجي، كما يؤكد ذلك ثعلب المتوفي ٢٩١ هـ. ولها قصة جميلة في الأثر، مطلعها:

هَل بِالطُلولِ لِسائِلٍ رَدُّ أَم هَل لَها بِتَكَلُّمٍ عَهدُ

[106] – كتاب الأغاني الجزء العاشر الصفحة 206.

هَلْ ما عَلِمتَ وما استُودعْتَ مَكتُومُ

أم حَبْلُها أَنْ نأتكَ اليومَ مَصرُومُ

فقالوا هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل، فأنشدهم

طَحَا بكَ قَلْبٌ في الحِسَان طَرُوبُ

بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

فقالوا: هاتان سمطا الدهر"، وفي هذه "البائية" قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب "الأغاني" عنها: (أن قريشاً حين سمعت بائية علقمة الفحل قالت: إنها سمط الدهر)، وقد مر الحديث عنهما في المبحث السابق.

خامساً: قصائد تم اختيارها بطريقة منهجية علمية وتم تصنيفها في كتب ومصنّفات مهمة أخذت حيزاً كبيراً من الاهتمام عند دارسي الأدب العربي من العرب والمستشرقين، وتلك الكتب شاعت بأسماء مصنفيها، فصار اسم المصنف علماً للقصيدة مثل كتاب: المفضليات نسبة للمفضل بن محمد بن يعلي

الضبي[107] والأصمعيات نسبة لأبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي[108]، و"ديوان مختارات شعراء" لأبي السعادات بن الشجريّ[109]، وحماسة أبي تمام[110]، وحماسة البحتري[111].

---

[107] – هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم، بن الرمال، من بني ثعلبة بن السيد بن ضبّة، أحد أكابر الكوفيين وثقاتهم، ويلقب بالكوفي. كان لُغَوِيّاً بارعاً وعلّامة وراوية للأخبار والآداب وأيام العرب، وممن تنسب لهم صناعة الدواوين وأحد القراء البارزين وأحد أعلام رواية الشعر، من علماء القرن الهجري الثاني، قدم إلى بغداد أيام هارون الرشيد، وانتقل إلى البصرة أيضا، توفي سنة 178 هجرية. صاحب كتاب المفضليات، وهو أقدم مختارات الشعر العربي.

[108] – هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، ولد في البصرة عام 121 هجرية الموافق لعام 740 ميلادية وتوفي فيها عام 216 هجرية الموافق لعام 831 ميلادية، أحد الرواة الأعلام، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ورائداً في العلوم الطبيعية وعلم الحيوان، وخاصة تصنيف الحيوان وتشريحها، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال عنه الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي.

[109] – هو ضياء الدين أبو السعادات واسمه هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي بن عبيد الله، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، أديب ونحوي بغدادي، ولد في بغداد لأسرة نقيب الطالبيين بالكرخ عام 450 هجرية الموافق لعام 1058 ميلادية، ويعتبر من أشهر نحاة القرن الخامس والسادس الهجري ومن أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب، عاصر العديد من الخلفاء العباسيين. وتولى نقابة الطالبيين بالكرخ خلفاً لوالده، ولقب الشجري نسبة إلى قرية "شجرة" من أعمال المدينة، توفي في بغداد عام 542 هجرية الموافق لعام 1147 ميلادية.

[110] – الحماسة كتاب جمع فيه أبو تمام من الشعر العربي الرائع وأطلق عليه هذا الاسم نسبةً إلى أول أبوابه العشرة، التي هي باب الأدب، باب المراثي، باب الهجاء، باب النسيب، باب الأضياف، باب الصفات، باب المديح، باب ذم النساء، ويعتبر باب الحماسة من أكثر الأبواب غزارة وكثافة، والديوان محل عناية العلماء إلى يومنا هذا.

[111] – البحتري (205 هجري – 284 هجري): هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، ولُقّب بالبحتري نظرًا لقصر قامته، ويقال أيضًا بأن هذا اللقب قد انحدر نسبةً إلى انتمائه لبني بُحتر أحد فروع قبيلة طي، ولد عام 205 هجرية وتوفي عام 284 هجرية، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي، يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا

سادساً: قصائد تم تسميتها بأسماء مطالعها كقصيدة "على قدر أهل العزم" لأبي الطيب المتنبي[112]، وقصيدة (سل الرماح العوالي) لصفي الدين الحلي[113] حتى صار المقطع الأول من المطلع معلماً شاخصاً تسمى به القصيدة.

سابعاً: قصائد تم تسميتها بحسب قافيتها، كاللاميات والبائيات والميميات والرائيات وغيرها وقد تم إطلاق هذه التسميات على كثير من القصائد استناداً إلى حرف الروي فيها، وبالتالي تنسب إليه القصيدة، ويعرف الروي بأنه الحرف الصحيح الذي يجب تكراره في نهاية كل بيت من أبيات القصيدة، وهو الحرف الأساسي من حروف القافية، وحكمه واجب الوجود فيها، وقد تجيء بعض الحروف بعد حرف الروي وغالباً ما تكون من أحرف المد، وينشأ عنه إشباع حركة حرف الروي بحرف مناسب

أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري .

[112] – هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المولد، يكنى أبو الطيّب ويلقب المتنبي، مالئ الدنيا وشاغل الناس، ولد في الكوفة عام 303 هجرية الموافق لعام 915 ميلادية. يعد من أعظم شعراء العربية، وأكثرهم تمكناً من اللغة وفنونها وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تُتح مثلها لغيره من الشعراء على مر تاريخ الأدب العربي، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. ظهرت موهبته الشعرية الكبيرة في بواكير حياته، وصدح بالشعر في عمر التسع سنوات، يوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة والطاقة الحيوية في الشعر، توفي في مدينة النعمانية قرب واسط في العراق عام 354 هجرية الموافق لعام 965 ميلادية.

[113] – هو أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي، ولد ونشأ في الحلة وهي مدينة بين الكوفة وبغداد عام 677 هجرية الموافق 1277 ميلادية، عاش في الفترة التي تلت دخول المغول لبغداد وتدميرهم الخلافة العباسية مباشرة، اشتغل في صباه بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق، ورحل إلى القاهرة وأقام فيها مدة من الزمن، عرف شعره برقة الأحاسيس وقوة العبارة وجزالة التراكيب، توفي في بغداد عام 752 هجرية الموافق لعام 1339 ميلادية.

لحركته، كحرف الياء مقابل الكسرة وحرف الألف مقابل الفتحة وقد يسمى ألف الإطلاق وحرف الواو مقابل الضمة، وقد يأتي أحياناً حرف الهاء بعد حرف الروي ويسمى عندئذ "وصلاً"، وكل حرف يأتي بعد حرف الروي يسمى بهذا الاسم، ويشترط أن يتم الالتزام بحرف الوصل إن وجد في كل أبيات القصيدة أيضاً، ويوجد بهذا الخصوص تفصيل كثير وقد تخصص به علم مستقل بذاته يسمى علم القوافي الذي يشتمل على تفصيل في تعريف المواد التي يعنى بها منها حروف الروي وحروف الردف والمفاهيم الأساسية التي تتعلق بالتأسيس والوصل والخروج والدخيل ويمكن الرجوع إلى مضان هذا العلم.

وبصدد أهمية القوافي يذكر ابن جني[114] في كتاب الخصائص ما يلي: "ألا ترى أن العناية في الشعر انما هي بالقوافي، والقافية أشرف عندهم من أولها"[115]ويقصد عند العرب.

ومن الجدير بالذكر أن اللاميات هي أكثر القوافي شيوعاً في الشعر العربي. والقاعدة المضطردة في هذا الصدد أن حرف الروي الذي هو عماد قافية القصيدة يسبغ تسميته على القصيدة كما مر ذكره، فالقصيدة التي حرف الروي فيها حرف اللام تسمى قصيدة لامية. وهذه قاعدة تنجر على بقية الحروف، فإذا انتهت أبيات القصيدة بحرف الروي الباء سميت القصيدة بائية وإذا انتهت بحرف الراء

---

[114] – هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المشهور بـ"ابن جني" عالم نحوي كبير وأحد أئمة العربية البارزين، ومن أعلام أهل اللغة بالنحو والتصريف، وحذّاق أهل الأدب في هذه الصناعة، وله مؤلفات كثيرة في الأدب والشعر وتصانيف عديدة، قال المتنبي عنه كما جاء في كتاب (شذرات الذهب)، لابن العماد الحنبلي: "ابن جني أعرف بالشعر مني"، ولد ابن جني بالموصل عام 322 هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش، وتوفى في بغداد في خلافة القادر يوم الجمعة 28 صفر عام 392 هجرية.

[115] – كتاب "الخصائص" لابن جني، الجزء الثاني الصفحة 84.

سميت القصيدة رائية وهكذا دواليك. ولابد من الاشارة إلى أنه لم يكن من عادة الشعراء العرب في عصور الأدب الأولى تسمية القصائد بأسماء معينة، وإن ظاهرة وضع اسم محدد للقصيدة قد شاعت في العصر الحديث.

❖ المبحث الثالث

تسمية لاميّة العرب:

تشير العديد من الدراسات المتخصصة إلى أن تسمية قصيدة الشنفرى بـ (لاميّة العرب) جاءت متأخرة، وقد أخذت هذه الكنية بعدما كثرت القصائد اللاميّة، وأصبح من الضروري تفريقها عن بعضها بإعطاء أسماء لها. ولكنني أعتقد خلاف ذلك إذ أن تسمية قصيدة الشنفرى التي مطلعها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمّي، صُدُورَ مَطِيّكُمْ

فإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

بـ "لاميّة العرب" تسمية قديمة سبقت عصر صدر الإسلام بدليل قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتواتر: "علّموا أولادكم لاميّة العرب، فأنها تعلمهم مكارم الأخلاق"[116] وذلك لأن الفاروق قد ذكرها باسمها الشائع والمتعارف عليه آنذاك. وحسب هذه المقولة من شاهد على مكانة هذه القصيدة المجلجلة العصماء عند العرب آنذاك، وهي دليل من جانب أخر على قدم تسميتها بهذا الاسم. وباعتقادي أنه لم يمنع العرب من أن يعلقوا هذه القصيدة على أستار الكعبة – إذا كانت

[116] – ذكر الشيخ أحماد بن أبا الأبهمي الديماني في مقدمة كتابه الموسوم (شرح لامية العرب "الشنفرية") بأن القصيدة (أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بحفظها وقال تعلموها وعلموها صبيانكم فإن فيها الشجاعة ومكارم الأخلاق)

المعلقات قد علقت حقاً عليها – أو أن يصنفوها من المعلقات إلّا لأمر يتعلق بنسب الشنفرى ووضعه الاجتماعي وليس لقيمة هذه القصيدة فنياً.

من المؤكد أنه لا يُعرف سبب تسمية هذه القصيدة بـ "لامية العرب"، كما جاء في كتاب "ارتشاف العجب من لاميّة العرب للشنفرى" قراءة تحليلية نقدية إعداد: الدكتور صبري فوزي أبوحسين الذي يؤكد فيه: "فهناك قصائد لامية نسبت لشعراء جاهليين عديدين مثل عنترة وزهير وكعب، ولكن ربما أطلق على لامية الشنفرى هذا الاسم لأنها عبّرت أشد تعبير عن حياة العرب الجاهلية بما فيها من ظروف وأخلاق وطباع".

لقد عانى من شظف العيش والعوز والحرمان وكذلك من حالة التقاطع التي عاشها مع مجتمعه وخروجه عن السياق المألوف للانتماء والذي كان يتجسد بالارتباط العضوي بالقبيلة، حيث كان كيان القبيلة آنذاك بمثابة الوحدة المصغرة للأمة، ولم يتسع هذا الكيان المصغر له، ولم يفتح ذراعيه لاحتضانه، وظلت العلاقة بينهما متوترة، فعاش صعلوكاً متمرداً ونأى بنفسه عن قبيلته، ومن ثم غادرها بإرادته وقلاها بعد أن وجد فيها القِلى، ولأنها سامته المرار والهوان، خلعته من بنيتها، لكنه رغم ذلك كلّه استطاع بقصيدة واحدة أن يقفز على هذا الواقع ويسمو على الانتماء الذي لفظه ليستحوذ على الجوهرة الأكبر، وهي نسبة قصيدته إلى العرب طراً بكل شمولية واتساع هذه التسمية، وبكل ما تختزل هذه المفردة في طياتها من مضامين.

لقد استطاع الشنفرى بقيمه الكبرى وأفكاره العبقرية التي طرحها في قصيدته أن يفصح عن مستوى ثقافي رفيع المستوى تجاوز فيه السيرة الذاتية وتخطى به العلاقة المضطربة مع مجتمعه لينتسب إلى الأمة العربية والتاريخ العربي دون محدودية في المكان أو الزمان، وقد تمكن بصبر على المقاساة منقطع النظير

من تقديم أنموذج راقٍ للتعايش في ظل قيم إنسانية رفيعة، قيم سامية تمثل الركيزة الأساسية التي تلتقي عليها جميع الشعوب بصرف النظر عن الأعراق والجنسيات، وتتفاعل من خلالها جميع الحضارات والثقافات العالمية، هذا المستوى الرفيع من القيم هو الذي يسمو بإنسانية الإنسان ويؤنسن العلاقات بين بني البشر، لأنها أعلى من البعد المادي والبيولوجي للإنسان وأوسع من الأبعاد السسيولوجية والاجتماعية للواقع.

تجدر الإشارة إلى أن حرف اللام قد استهوى الشعراء في أن يجعلوه روياً لقصائدهم لأن صفة هذا الحرف الطواعية ولقبه: حرف "ذلقي" أي يخرج من ذلق اللسان، والذلق لغة: هو "مقدمة الشيء"، وحرف اللام يخرج من مقدمة اللسان، وبهذا فهو سلس النطق ووقعه على الأذن جميل، وهو من باب آخر يقبل أشكال صرفية عديدة، ما يسهل على الشاعر توظيف هذه الأشكال والصيغ الصرفية بطواعية وخفة، لأنها تمده بمفردات كثيرة، فهي أشبه بمعين ثرّ لقوافٍ سلسة ميسرة، كما أن هذا الحرف يتقبل الحركات الأربع من رفع ونصب وخفض وسكون، وهو مع جميع الحركات ذو إيقاع جميل يستهوي الشعراء بالنظم عليه.

ويعتبر حرف اللام من الحروف المجهورة وهي حروف: (ب، ج، د، ر، ز، ط، ع، غ، ص، ل، م، ن، و، ي) وهذه الحروف يصطلح عليها في فن القافية بـ "الذلول"[117]لكثرة ركوبها من قبل الشعراء لأن الألفاظ المعجمية التي تنتهي بهذه الحروف وتصلح للقوافي كثيرة ويسيرة الاستخدام، على العكس من

[117] – الذَّلُولُ: السّهْلُ الانقياد، وتستخدم غالباً مع الجمال أو غيرها من الدواب التي تكون سهلة الانقياد.

ذلك القوافي المسماة بـ "الحرون"[118]مثل قافية الخاء والغين والضاد والظاء، التي يتحاشاها الكثير من الشعراء.

ولا نخطئ الجزم إذا قلنا إنه يكاد لا يوجد شاعر بدءاً من أقدم الشعراء الجاهليين مروراً بجميع الشعراء عبر كل مراحل تاريخ الأدب العربي وصولاً إلى آخر شاعر في يومنا هذا، إلّا وكانت له قصيدة لاميّة سواء أراد بها معارضة إحدى اللاميات المشهورة أو جاء بها على السجية والسليقة، ومن هنا تسمى كل قصيدة لاميّة باسم شاعرها لكثرتها مثل لامية زهير بن أبي سلمى ولامية حاتم الطائي وهكذا، وهناك بعض اللاميات سميت بأسماء الأقوام أو الملل التي ينتسب إليها شعراؤها، ويطلق عليها اسم "لاميات الأمم".

❖ المبحث الرابع

لمحة عن لاميّات الأمم:

إن السجل الشعري الحافل لديوان العرب زاخر بقصائد عديدة يطلق عليها لاميّات الأمم، وتتميز هذه القصائد بأنها تستبطن منظومة المُثل ومكارم الأخلاق وتقوم بطرح المشتركات التي تتفق عليها جميع الأمم، والتي تسمو إلى مستوى الرؤية الإنسانية الصالحة للتعايش والانسجام بين كل بني البشر من خلال إشاعة الأمن والبناء والتقارب الفكري بين الناس، ما يجعلها أكبر من أن تنسب إلى الفرد فتعود نسبتها إلى الأمم والأقوام التي ينتمي إليها شعراؤها، ولم يكن لهذه اللاميات أي مثابة محددة لا

[118] – الحَرُونٌ: الجَمُوحٌ الذي يَرْفُضُ الانْقِيَادَ، ويقالُ فرسٌ حَرُونٌ أي لَا يَنْقَادُ وَإِذَا اشْتَدَّ بِهِ الجَرْيُ يقف.

من حيث الغرض أو المضمون ولا من حيث أي أمر يخص الجانب الفني للشعر كالوزن أو الأسلوب، سوى أن رويها هو حرف اللام.

مما يلفت النظر أنه باجتماع هذه النصوص تكونت ظاهرة جميلة في الأدب العربي، تم الاصطلاح عليها بـ "لاميّات الأمم" وقد سلطت هذه اللاميّات الضوء على مظاهر الالتقاء الحضاري بين الأمم في إطار وبنية الثقافة العربية، في حين أن هناك بوناً شاسعاً بين شعرائها زمنيّاً ومكانيّاً، وهي بهذا قد أسست نوعاً من العلاقة الحميمية السامية بين الأمم من خلال طبيعة العلاقة بين نصوص تعلن انتماءها لتلك الأمم بشكل لا يثير العرقية والتعصب والخلاف، وبلغة واحدة متفق عليها وهي اللغة العربية، وهذا بحد ذاته ثقافة راقية تمنح الآخر شعوراً إنسانياً متجسداً ومتحققاً من الداخل، ومما يعمق الأهمية الإنسانية لهذه اللاميات أنها تطرح الأفكار والقيم التي تستبطنها بأسلوب لا نبز فيه ولا مناكفة ولا نزعة شوفينية ولا غبن لأحد أو غمط لمكانة أمة ما، فهي قصائد مرموقة جديرة بانتسابها إلى أممها، كونها تعبر عن روح تلك الأمم ومنظومتها القيمية خصوصاً في تمظهرها الأول المتجسد في "لاميّة العرب" ومن بعدها جاءت لاميّة العجم وتلتهما لاميّات الأمم الأخرى بفترات مختلفة، وهذا ما يجعل من الأدب عموماً والشعر على وجه الخصوص القوة الأقدر على تقديم المشترك الإنساني بين بني البشر، ولا يقتصر ذلك على الشعر والأدب بل معها جميع الفنون الجميلة تمثل الفعل الأجدر في توحيد الرؤى والهموم الإنسانية بتشكيلة فنية إشراقيّة جماليّة، ومن هذا المنظار فإن لاميّات الأمم تعد مظهراً راقياً من مظاهر الالتقاء الحضاري بين الأمم وهي بحد ذاتها تآلف إنساني ضمن وشيجة الثقافة العربية.

وقد بات من المتفق عليه أن أولى هذه القصائد اللاميّة من حيث الأهمية والقيمة اللغويّة والفنيّة والتاريخية من جهة، ومن حيث قصب السبق الذي حققته وكثرة الدراسات التي تناولتها من جهة

أخرى هي "لامية العرب" للشنفرى (مدار البحث)، وبهذا نستطيع القول أنها كانت باعثاً ومحرضاً للاميّات الأمم الأخرى، وقد تلتها بنفس هذه المعايير لاميّة العجم للطغرائي لأنها كذلك حملت من مضامين الارتقاء بالنفس الإنسانية الشيء الكثير، وطرحت منظومة قيمية سامية أسوة بأختها الكبرى "لاميّة العرب"، وللتميز فقط تم إطلاق هذا الأسم عليها، لأن لاميّة الشنفرى قد استحوذت على لقبها الأثير "لاميّة العرب" فسميت لاميّة الطغرائي "لاميّة العجم كون الطغرائي مولود في مدينة أصفهان الإيرانية على الرغم من كونه عربي الأصل دؤلي كناني النسب، وبعد لاميّة العجم توالت بقية اللاميات التي حملت أسماء الأمم المختلفة، ومن الملاحظ أن جميع لاميّات الأمم قد سميت بأسماء القوميّات ماعدا واحدة فقط حملت اسم ديانة إذ سميت لاميّة اليهود لأن شاعرها كان يدين بالديانة اليهودية. وفيما يلي استعراض لأهم تلك اللاميّات اعتماداً على شهرتها ليس إلّا، وليس على التسلسل الزمني لها، وهنَّ على التوالي:

❖ "لاميّة العجم" للطغرائي[119] التي يقول فيها:

أَصالةُ الرَأْيِ صَانتْنِي عن الخَطَلِ

وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ

[119] – وهو العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين المعروف بالطغرائي، ولد سنة 455 هـ الموافقة لسنة 1063م – وتوفي سنة 513 هـ الموافقة لسنة 1120م. ولد الطغرائي في مدينة أصفهان لإسرة عربية الأصل وهو من أحفاد أبي الأسود الدؤلي، وكني بالطغرائي نسبة إلى أنه كان يكتب الطغراء وهي الطرَّة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي. وقد صار وزيرا للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل. ومن قصائده المشهورة لاميه العجم. وعرف الطغرائي كشاعر بالدرجة الأولى وأديب وخطاط، ويعد أحد كبار علماء الكيمياء في عصره.

مجدي أخيراً ومجدِي أوّلاً شَرَعٌ

والشَّمسُ رَأْدَ الضُحَى كالشَّمسِ في الطَفَلِ

فيمَ الإقامةُ بالزّوراءِ لا سَكَني

بها ولا ناقَتي فيها ولا جَمَلي

نَاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ

كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخَلَلِ

فلا صديقَ إليه مشتكَى حزَنِي

ولا أنيسَ إليه منتَهى جذلي

❖ **"لامية اليهود" للسموأل بن غريض بن عادياء الأزدي[120]، التي يقول فيها:**

إِذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ

فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

---

[120] – هو السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة، وكان واحداً من أكثر الشعراء شهرة في وقته. وكان يملك حصناً في شمال الجزيرة. عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي. من سكان خيبر، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه حصن الأبلق في تيماء. توفي سنة 560م. وقد ضُرِب بالسموأل المثل في الوفاء لتسليمه ابنَهُ للقَتْل على أن يُفَرِّط في دروعٍ لامرئ القيس أُوْدِعت عنده أمانةً، فقيل: (أوفى من السموأل).

وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها

فَلَيسَ إِلى حُسنِ الثَناءِ سَبيلُ

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا

فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ

وَما قَلَّ مَن كانَت بَقاياهُ مِثلَنا

شَبابٌ تَسامى لِلعُلى وَكُهولُ

وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ، وَجارُنا

عَزيزٌ، وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ

لَنا جَبَلٌ يَحتَلُّهُ مَن نُجيرُهُ

مَنيعٌ يَرُدُّ الطَرفَ وَهُوَ كَليلُ

❖ "لامية الهنود" الشاعر القاضي عبد المقتدر الكندي الدهلوي[121]، ويوجد مخطوط لها في مكتبة الحرم المكي وضعها الشيخ عبد الحي الحسني الهندي في كتاب (بهجة الخواطر)، ولكنها مشوبة

[121] – وهو الشيخ الكبير العلامة عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشريحي الكندي القاضي. وهو عربي من قبيلة كندة قدم جده سليمان الى الهند في أيام (قطب الدين الخلجي) وكان من ذرية القاضي شريح الكندي، فولي القضاء في الممالك الشمالية من (دلهي). توفي سنة 791هـ عن عمر يناهز 88 عام كما ورد في كتاب "أخبار الأخيار".

بالتصحيفات والأخطاء ومنها هذه الأبيات المختارة وهي ليست على تسلسلها الأصلي في القصيدة، إذ يقول:

يا سَائقَ الظَّعنِ في الأسحارِ والأُصِلِ

سَلِّمْ عَلى دارِ سَلمى وابكِ ثمَّ سَلِ

يا طَالبَ الجَاهِ في الدُّنيا تكونُ غداً

عَلى شَفَا حُفرةِ النيرانِ والشُّعَلِ

يَا طَالبَ العِزِّ في العُقبى بلا عَمَلٍ

هَلْ تَنفَعَنَّكَ فِيها كَثرةُ الأَمَلِ

إقنَعْ مِنَ العَيشِ بالأَدنَى وكُنْ مَلِكاً

إنَّ القَناعَةَ كَنْزٌ عَنكَ لَم يَزَلِ

❖ **"لاميّة المماليك" لعبد الرحمن بن خلدون[122]، والتي يقول فيها:**

---

[122] – يعد ابن خلدون أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة العربية الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصل إلى نظريات باهرة حول قوانين العمران ونظرية العصبية، وقد سبقت آراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقا بعدة قرون عدد من العلماء. وهو إضافة إلى ذلك شاعر مفلق ولكنه لم يشتهر كشاعر لأن ما تركه من آثار علمية فاقت نظمه للشعر. ولد ابن خلدون وهو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي في تونس عام 1332 ميلادية، حيث ينحدر من أسرة أندلسية الأصل شغوفة بالعلم والأدب يشغل أفرادها مناصب سياسية رفيعة داخل البلاط الحفصي. وتعد "مقدمة ابن خلدون" موسوعة تضم شتى الميادين المعرفية في الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب، تناول فيها

سَيّدي، والظُّنونُ فِيكَ جَميلَهْ

وأَياديكَ بالأَمَاني كَفيلَهْ

لَا تحل عَن جَميلِ رأيِكَ إنَّي

مَا لي اليومَ غيرُ رأيِكَ حِيلَهْ

واصْطَنَعْني كَمَا اصْطَنَعتَ بإسْدا

ءِ يدٍ من شَفاعَةٍ أَو وَسِيلَهْ

❖ "اللاميةُ الأمويةُ" لأبي الفضل الوليد[123] والتي يقول فيها:

أدمشقُ، أينَ بنو أميَة؟ قولي

ليَقُوا نَضارَةَ حُسنُكِ المبذُولِ

أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان. بالإضافة الى تطور الأمم والشعوب ونشوء الدول وأسباب انهيارها. توفي ابن خلدون في عام 1406 ميلادي ودفن في شمال مصر، ويعتبر البعض بأن ابن خلدون هو أحد العلماء الذين ظلموا وعاشوا بمأساة وهو أحد المشهورين الذين عانوا من تبعات الشهرة عليهم.

[123] – ولد الشاعر أبو الفضل الوليد عام 1886 م وتوفى عام 1941 م واسمه: إلياس بن عبد الله بن إلياس بن فرج بن طعمة. وهو من أدباء لبنان في المهجر الأميركي، امتاز بروح عربية نقية. هاجر إلى أميركا الجنوبية عام 1908 فأصدر جريدة الحمراء في ريو دي جانيرو بالبرازيل، واتخذ لنفسه اسم أبو الفضل الوليد سنة 1916. عاد إلى وطنه سنة 1922، وقام برحلات في الأقطار العربية وغيرها.

بجَلالِ جَامعِهِمْ، ورَونقِ مُلكِهِمْ

صُوني الجَمالَ بشَعركِ المحلُولِ

ما حَالُ غَوطتكِ التي فُجعتْ بِهِم

فَغَدا لَها ثأرٌ عَلَى "القَاطُولِ"

❖ "لاميّة الكرد" هناك أربع قصائد لاميّة مكتوبة باللغة العربية لشعراء أكراد أطلق عليهنَّ جميعاً اسم لاميّة الكرد دون حسم اختيار واحدة منها، وهناك من الباحثين من يرجح إحداها على الأخرى، وهذه اللاميّات هي:

1. "لاميّة الكرد" لزين العابدين البرزنجي ومطلعها:

بَراعَةُ الفَضلِ ساقتْني عَلى المُقَلِ

وهِمّةُ النَضْلِ شَاقَتني إلى النّقلِ

2. "لاميّة الكرد" لبديع الزمان مهي السنندجي ومطلعها:

سَقا الحَيا أرُبعا في كُورةِ الجبلِ

ومَربعاً لائحاً كالوشمِ والخللِ

3. "لاميّة الكرد" لسليم التختي ومطلعها:

فُتِنْتُ بفَتّانيّ فَتىً ذِي تّدَلّلِ

أغَنَّ غَضيضَ الطرْفِ أعيّنَ أكْحَلِ

4. "لاميّة الكرد" لعبد الحميد العرفان السنندجي والتي قال فيها"

أهْلاً برَبْعٍ سَقَاهُ الوابِلُ الهَطِلُ

وخَلفَ جدْبٍ تَرَوّى السَّهلُ والجَبَلُ

سَحائِبُ الخَيرِ أَغْشَتْ كُلَّ مُنتجَعٍ

مِنْ ظِلِّهَا ابتَلَّ دِمْنُ الحَيِّ والطَلَلُ

كَادَتْ تُدَاوِلُهُ أَيدِي النَّوائِبِ مِنَ

سَعلاةِ بيدٍ هَواهَا الخَتْلُ والخَبَلُ

حسب رأيي إن لاميّة عبد الحميد العرفان السنندجي هي أفضل اللاميّات الأربعة وأرسخها سبكاً وفخامة لغوية وأحقها بحيازة لقب لامية الكرد.

❖ "لامية الروم" لمحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحكيم الحنفي الحلبي، ولها شرح مخطوط، يقول في مطلعها:

حتَّامَ أنْظِمُ مِن دَمعِي ومِنْ غَزَلِي[124]

أَدِلَّةً وحَبِيبُ القَلبِ مُعْتَزِلِي

[124] – لم أعثر على القصيدة كاملة سوى مطلعها موجود في أكثر من كتاب من كتب التراث منها كتاب (شرح عروض بن الحاجب) تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري.

❖ **"لامية الترك" لعبد اللطيف الناصري الساقي، ولها مخطوط لم أحظ به وأستميح القاريء العذر أنني لم أتمكن من إحضار أبيات منها.**

من الملاحظ أن جميع لاميّات الأمم لم تكتب من باب المعارضة أو المحاكاة، وذلك لأن أوزانها الشعرية مختلفة والأساليب الفنية متباينة، ولم يقصد شعراؤها بحال من الأحوال التناص أو التماهي مع نصوص بعضهم، لكن يمكننا الإشارة إلى وجود قاسم مشترك واحد تقريباً هو اتسامها بروح الحكمة والموعظة الحصيفة وتقديمها خلاصة تجربة حياتية عامة تتسم بالعمق وترتكز على نشر المثل العليا والقيم الإنسانية المشتركة، ولعل هذه السمة هي التي جعلتها تحظى بحفاوة الثقافة العربية وتلقى اهتماماً كبيراً من قبل أصحاب صنعة الشعر وفنون الأدب العربي الذين لم يألوا جهداً في تقديمها سائغة للقراء مع التركيز على نسبتها لأممها، وقد كثرت حول كل واحدة منها سلسلة من الشروح والحواشي لتسهيل الاستفادة من كنوزها.

❖ **المبحث الخامس**

<u>مرور سريع على لاميّات الشعراء الآخرين الشهيرة</u>:

بعد الاستعراض السريع لبعض اللاميات المنسوبة إلى أمم قائليها من الشعراء، نستعرض لاميّات أخرى تنسب إلى أسماء شعرائها وهي كثيرة، بحيث يتعذر جمعها كاملة لكثرتها، ولعدم ذيوع بعضها، وقد ذكرت أن لجل الشعراء قديمهم ومعاصرهم لاميّة تحمل اسمه، لذلك فمن الصعب بمكان استحضارها جميعاً في هذا المبحث، ولكن لا بأس من ذكر بعض أهم وأجمل هذه اللاميّات، ما عدا لاميّة كعب

بن زهير[125]التي عرجنا عليها آنفاً. وسنستعرض هذه اللاميات حسب التسلسل الزمني لحياة شعرائها فنبدأ بـ

- **"لامية امرؤ القيس"[126]وهي معلقته نفسها والتي يقول فيها:**

قِفَا نَبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ

بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخُول فحَوْملِ

فتُوضح فالمقراةِ لم يَعفُ رسْمُهَا

لما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

تَرى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصاتِها

وقِيعَانها كأنَّهُ حَبَّ فُلفِلِ

---

[125] – وهي القصيدة المعروفة بـ (البردة) والتي مطلعها:

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ

مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

[126] – امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي الذي كان ملك كندة. وهو شاعر عربي جاهلي عالي الطبقة من قبيلة كندة، يُعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العصر الجاهلي، يُعرف في كتب التراث العربية باسم "الملك الضليل" و" ذي القروح". اتخذ لنفسه سيرة لاهية تأنفها الملوك كما يذكر ابن الكلبي. ويروى أنه قال بعد فراغه من اللهو ليلة مقتل أبيه على يد بني أسد: ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر

كأني غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَلّوا

لدى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حنظلِ

وهناك من يقول إن لاميّة امرئ القيس هي التي يقول فيها:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيّهَا الطّلَلُ البَالي

وَهل يَعِمنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي

وَهَل يَعِمَنْ إلا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ

قَليلُ الهُمومِ مَا يَبيتُ بأوجالِ

وَهَل يَعِمَنْ مَن كان أحدثُ عَهدِه

ثَلاثِينَ شهراً في ثَلاثَة أحوَالِ

- لاميّة ابن أحيحة الجلاح[127]والتي يقول فيها:

صَحَوتُ عَنِ الصِبا وَالدَهرُ غولُ

وَنَفسُ المَرءِ آمِنَةٌ قَتولُ

[127] – هو أبو عمرو أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي وكنيته أبو عمرو توفي سنة 130 قبل الهجرة الموافقة لسنة 497 ميلادية، شاعر جاهلي يعد من دهاة العرب وشجعانهم، كان سيد الأوس في الجاهلية، صائب الرأي زعم قومه لكثرة صوابه، وكان غنياً مرابياً كثير المال، لم يبق من شعره إلّا قليل جداً.

وَلَو أَنّي أَشاءُ نَعِمتُ حالاً

وَباكَرَني صَبوحٌ أَو نَشيلُ

وَلاعَبَني عَلى الأَنماطِ لُعسٌ

عَلى أَفواهِهِنَّ الزَنجَبيلُ

وَلَكِنّي جَعَلتُ إِزاءَ مالي

فَأَقلِلُ بعدَ ذلكَ أَو أَنيلُ

فَهَل مِن كاهِنٍ أَو ذِي إِلَهٍ

إِذا مَا حَانَ مِن رَبٍّ أُفولُ

- "لاميّة زهير بن أبي سلمى"[128]والتي يقول فيها:

صَحَا القَلبُ عَن سَلمى وأَقصَرَ باطِلُهْ

[128] – زُهير بن أبي سُلْمى المزني ولد عام 520 م وتوفى عام 609 م، يعد أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء الذين هم: امرؤ القيس وزُهير بن أبي سُلْمى والنابغة الذبياني. وتوفي قبيل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كان ينظم القصيدة في شهر، ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى الحوليات.وكان عمر بن الخطاب شديد الإعجاب به، وأكد هذا ابن عباس إذ قال: خرجت مع عمر بن الخطاب في أول غزوة غزاها فقال لي: أنشدني لشاعر الشعراء، قلت: "ومن هو يا أمير المؤمنين؟" قال: ابن أبي سُلمى، قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح أحداً إلا بما فيه". وأيّد هذا الرأي كثرة بينهم عثمان بن عفان، وعبد الملك بن مروان، وآخرون

وَعُرّيَ أفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

وأقصَرْتُ عَمّا تَعلَمينَ وسُدّدَتْ

عليّ سوَى قصْدِ السّبيلِ مَعادِلُهْ

وقالَ العَذارَى: إنّما أنتَ عَمُّنا،

وكانَ الشّبابُ كالخَليطِ نُزَايِلُهْ

فأصْبَحْتُ ما يَعرِفْنَ إلاّ خَليقَتي

وإلاّ سَوادَ الرّأسِ والشّيبُ شامِلُهْ

- ولاميّة عنترة بن شداد[129]التي يقول فيها:

طالَ الثَواءُ عَلى رُسومِ المَنزِلِ

بَينَ اللَكيكِ وَبَينَ ذاتِ الحَرمَلِ

فَوَقَفتُ في عَرَصاتِها مُتَحَيِّراً

أَسلُ الدِيارَ كَفِعلِ مَن لَم يَذهَلِ

[129] – عنترة بن شداد بن قراد العبسي ولد على الأرجح عام 525 ميلادية وتوفى عام 608 ميلادية وبعد أحد أشهر شعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام، وقد اشتهر بفروسيته وقوله لشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة.مشهور بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة، وهو أشهر الفرسان العرب بلا منازع.

لَعِبَتْ بِها الأَنواءُ بَعدَ أَنيسِها

وَالرامِساتُ وَكُلُّ جَونٍ مُسبَلِ

أَفَمِن بُكاءِ حَمامَةً في أَيكَةٍ

ذَرَفَت دُموعَكَ فَوقَ ظَهرِ المَحمِلِ

- لاميّة حاتم الطائي[130] والتي يقول فيها:

مَهلاً نَوارُ أَقِلّي اللَومَ وَالعَذَلا

وَلا تَقولي لِشَيءٍ فاتَ مَا فَعَلا

وَلا تَقولي لِمالٍ كُنتُ مُهلِكَهُ

مَهلاً وَإِن كُنتُ أُعطي الجِنَّ وَالخَبلا

يَرى البَخيلُ سَبيلَ المالِ واحِدَةً

إِنَّ الجَوادَ يَرى في مالِهِ سُبُلا

إِنَّ البَخيلَ إِذا ما ماتَ يَتبَعُهُ

[130] – هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي. ويكنى أبا سفانة وأبا عدي. شاعر عربي جاهلي توفي عام 46 ق. هـ المصادف لعام 605 م اشتهر بكرمه الخارق وأشعاره وجوده. وكان حاتم من شعراء العرب المتميزين، وكان جوادا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله. عاش في فترة ما قبل الإسلام وكان مسيحياً وبعد ذلك أدركت ابنته سفانة وابنه عدي الإسلام فأسلما.

سُوءُ الثَناءِ وَيَحوي الوارِثُ الإِبِلا

- لاميّة النابغة الذبياني[131]والتي يقول فيها:

دَعاكَ الهَوى وَاِستَجهَلَتكَ المَنازِلُ

وَكَيفَ تَصابي المَرءَ وَالشَيبُ شامِلُ

وَقَفتُ بِرَبعِ الدارِ قَد غَيَّرَ البِلى

مَعارِفَها وَالسارِياتُ الهَواطِلُ

أُسائِلُ عَن سُعدى وَقَد مَرَّ بَعدَنا

عَلى عَرَصاتِ الدارِ سَبعٌ كَوامِلُ

فَسَلَّيتُ ما عِندي بِرَوحَةِ عِرمِسٍ

تَخُبُّ بِرَحلي تارَةً وَتُناقِلُ

- لاميّة أبو طالب بن عبد المطلب[132] والتي يقول فيها:

[131] – هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف الذبياني الغطفاني، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وقد لقب بالنابغة لأنه نبغ في الشعر اي أبدع في الشعر دفعة واحده.

[132] – هو عبد المناف بن عبد المطلب بن هاشم المعروف بـ "أبو طالب" عم الرسول الأكرم صلّى الله عليه وسلّم وهو أحد سادات قريش البارزين وأبطالها الميامين تميز برجاحة عقله وحكمته وسخائه وإباءه وسماحته وشرف الشمائل والطباع، إضافة إلى أنه كان

خَلِيلَيَّ مَا أُذْنِي لأَوَّلِ عاذِلِ

بِصَغْواءَ في حَقٍّ ولا عِندَ باطِلِ

خَليلَيَّ إنَّ الرأيَ ليسَ بِشِركَةٍ

ولا نَهْنَهٍ عندَ الأُمورِ التلاتلِ

ولمّا رأيتُ القَومَ لا ودَّ فيهُمُ

وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوَسائِلِ

وقد صارَحُونا بالعَداوَةِ والأَذَى

وقد طاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزايِلِ

وَقَدْ حالَفُوا قَوماً عَلينا أَظِنَّةً

يَعَضُّونَ غَيظاً خَلْفَنا بالأَنامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسي بِسَمراءَ سَمْحةٍ

خطيباً مفوهاً وبليغاً في فصاحته، وقال من الشعر لو عرف به كشاعر لكان في مقدمة شعراء عصره لكنه كان زعيماً مقدماً، مهاباً، عزيز الجانب، رفيع المنزلة وقصة حبه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحمايته له في بداية الرسالة معروفة.

وأبيضَ ماضٍ مِن تُراثِ المَقاولِ[133]

- **لامية عدي بن وداع الأزدي[134]والتي يقول فيها:**

كلَّفَني القَلبُ فَلَم أَجهَلِ

عَهدَ الصِبا في السافِ الأَولِ

أَزمانَ إِذ أَملِكُ عَقلي وإِذ

طَرفي لَم يَخسأ ولَم يَكلَلِ

أَرى ابنةَ الأَزدي قد أَقبلَت

بَينَ سُموطِ الدرّ في المِجوَلِ

كالظَبيةِ الفاردَة الخاذِلِ

المَخروفَةِ المُقفِرةِ المُطفلِ

---

[133] – أراد بـ "أبيضَ ماضٍ مِن تُراثِ المَقاولِ " السيف الذي أهداه الملك اليماني سيف ابن ذي يزن لأبيه عبد المطّلب بن هاشم والذي كان بعهدة أبي طالب حينها.

[134] – هو عدي بن وداع، من بني العقي بن الحارث بن مالك ابن فهم شاعر مخضرم من المعمرين، أدرك الإسلام وشارك في غزوات عديدة، لقب بالأعمى، ولم يكن أعمى، وقيل لحدة بصره، وذلك من باب دفع الحسد.

- **لاميّة الراعي النميري[135]والتي يقول فيها:**

مَا بالُ دَفِّكَ بِالفِراشِ مَذيلا

أَقَذىً بِعَينِكَ أَم أَرَدتَ رَحِيلا

لَمّا رَأَتْ أَرَقي وَطولَ تَقَلُّبي

ذَاتَ العِشاءِ وَلَيلِيَ المَوصُولا

قَالَت خُلَيدَةُ ما عَراكَ وَلَم تَكُن

قَبلَ الرُقادِ عَنِ الشُؤونِ سَؤُولا

أَخُلَيدَ إِنَّ أَباكِ ضافَ وِسادَهُ

هَمّانِ باتا جَنبَةً وَدَخِيلا

- **لامية جرير[136]والتي يقول فيها:**

---

[135] – هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، ويعد من فحول الشعراء المحدثين، وقد كان بنو نمير أهل بيت وسؤدد وكان عبيد بن حصين من جلة قومه، وقد لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل.

[136] – هو جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي ولد عام 33 هـ المصادف لعام 653 م وتوفى عام 110 هـ الموافق لعام 728 وهو شاعر ولد في بادية نجد ويعد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا. كان جرير أشعر أهل عصره، ولد ومات في نجد، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. استمر الهجاء بين جرير والفرزدق نحوا من أربعين سنة..

وَدِّعْ أُمامَةَ حانَ مِنكَ رَحيلُ

إِنَّ الوَداعَ إِلى الحَبيبِ قَليلُ

تِلكَ القُلوبُ صَوادِياً تَيَّمنَها

وَأَرى الشِفاءَ وَما إِلَيهِ سَبيلُ

أَعذَرتُ في طَلَبِ النَوالِ إِلَيكُمُ

لَو كانَ مَن مَلَكَ النَوالَ يُنيلُ

إِن كانَ طَبَّكُمُ الدَلالُ فَإِنَّهُ

حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمَيمَ جَميلُ

قالَ العَواذِلُ: قَد جَهِلتَ بِحُبّهَا

بلْ منْ يلومُ على هواكَ جهولُ

كنقا الكشيبِ تهيلتْ أعطافهُ

وَالرّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ، وَتُهِيلُ

- لاميّة أبو تمام[137] والتي يقول فيها:

[137] – أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد في عام 188 هـ الموافق لعام 788 م وتوفي في عام 231 هـ الموافق لعام 845 م وهو أحد أمراء البيان، ولد بقرية جاسم وهي من قرى حوران بسورية ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه

البينُ جرعني نقيعَ الحنظلِ

والبينُ أَثكلني وإنْ لم أُثكلِ

مَا حَسرَتي أَنْ كدتُ أَقضي إِنَّما

حَسرَاتُ نَفْسي أنَّني لم أفْعلِ

نَقِّلْ فُؤادكَ حَيثُ شِئتَ من الهوى

مَا الحُبُّ إلّا للحَبيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنزلٍ في الأرضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى

وَحَنِينُه أَبداً لأوَّلِ مَنزلِ

- لاميّة أبو الطيّب المتنبي[138] والتي يقول فيها:

وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي ودفن بها. في شعر أبي تمام قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، نُسِبَ إليه ولعله للأصمعي كما يرى الميمني. وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي قالها في فتح عمورية والتي مطلعها:

السيفُ أصدقُ إنباءاً من الكتبِ

في حد الحد بين الجد واللعبِ

[138] – مرت ترجمته

لَيَاليّ بَعْدَ الظّاعِنِينَ شُكُولُ

طِوالٌ وَلَيْلُ العاشِقينَ طَويلُ

يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الذي لا أُريدُهُ

وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبيلُ

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعدِ الأحِبّةِ سَلوَةً

وَلَكِنّني للنّائِبَاتِ حَمُولُ

وَإنّ رَحِيلاً وَاحِداً حَالَ بَيْنَنَا

وَفي المَوْتِ مِنْ بَعدِ الرّحيلِ رَحيلُ

إذا كانَ شَمُّ الرَّوحِ أدْنَى إلَيْكُمُ

فَلا بَرِحَتْني رَوْضَةٌ وَقَبُولُ

وَمَا شَرَقي بالمَاءِ إلاّ تَذكّراً

لمَاءٍ بهِ أهْلُ الحَبيبِ نُزُولُ

يُحَرّمُهُ لَمْعُ الأسِنّةِ فَوْقَهُ

فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إلَيْهِ وُصُولُ

- **لاميّة أبو فراس الحمداني[139] والتي يقول فيها:**

مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ

وَظَنّي بِأَنَّ اللهَ سَوفَ يُديلُ

جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخوفَةٌ

وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ

وَأَسرٌ أُقاسيهِ وَلَيلٌ نُجومُهُ

أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزولُ

تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيرَةٌ

وَفي كُلِّ دَهرٍ لايَسُرُّكَ طولُ

[139] – أبو فراس الحمداني هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي، ولد عام 320 هـ الموافق لعام 932 م وقتل عام 357 هـ الموافق لعام 968 م هو شاعر مفلق من أسرة الحمدانيين، وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر الميلادي. ترعرع أبو فراس في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب، بعد موت والده باكراً، فشب فارساً شاعراً، وراح يدافع عن إمارة ابن عمه ضد هجمات الروم، وفي أوقات السلم كان يشارك في مجالس الأدب فيذاكر الشعراء وينافسهم، ثم ولاه سيف الدولة مقاطعة منبج فأحسن حكمها والذود عنها. وفي إحدى المعارك خانه الحظ يوماً فوقع أسيراً سنة 347 هـ الموافقة لسنة 959م في مكانٍ يُعرف باسم "مغارة الكحل". فحمله الروم إلى منطقة تسمى خَرْشَنة على الفرات، وكان فيها للروم حصنٌ منيع، قال الصاحب بن عباد: بُدئ الشعر بملك، وخُتم بملك، ويعني امرأ القيس وأبو فراس.

- **لاميّة ابن الوَردي[140]الوعظية والتي يقولُ فيها:**

إعتزلْ ذِكرَ الأغاني والغَزَلْ

وقُلِ الفَصْلَ وجانبْ مَنْ هَزَلْ

ودَعِ الذِّكرَ لِأيَّامِ الصِّبا

فَلأيامِ الصِّبا نَجمٌ أَفَلْ

إِنْ أَهنا عِيشةٍ قَضَّيتُها

ذَهَبَتْ لَذَّاتُها والإثْمُ حَلّ

واترُكِ الغادَةَ لا تحفلْ بها

تُمْسِ في عِزٍّ رفيعٍ وتُجَلّ

إلى أن يقول:

كَمْ شجاعٍ لم ينلْ فيها المُنى

---

[140] – هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ابن الوردي المعرّي البكري نسبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، المعروف بابن الوردي. ولد في معرة النعمان سنة 691 هـ الموافق لسنة 1292 م وتوفي بالطاعون في حلب في سنة 749 هـ الموافق لسنة 1349 م. هو فقيه وأديب وشاعر وقد درس في حماة ودمشق وحلب وقام في المجال الديني مقام قاضيها محمد بن النقيب عندما توفي ابن النقيب ووله مؤلفات كثيرة أذكر منها: كتاب تتمة المختصر في أخبار البشر. المعروف بـ (تاريخ ابن الوردي)، وكتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

وجَبَانٍ نَالَ غـايـاتِ الأملْ

فَاتْرِكِ الحِيلةَ فيهَا واتَّكِلْ

إنَّمَا الحِيلَةُ فِي تَركِ الحِيَلْ

- لاميّة ابن المقري[141] والتي يقول فيها:

زِيادةُ القولِ تَحكِي النَّقصَ في العَمَلِ

ومَنْطِقُ المَرءِ قَد يَهديهِ لِلزَلَلِ

إنَّ اللّسانَ صَغيرٌ جُرمُهُ ولَهُ

جُرمٌ كَبيرٌ كَمَا قَد قِيلَ في المَثَلِ

عَقْلُ الفَتَى لَيسَ يُغْنِي عَنْ مُشَاوَرةٍ

كَحَدَّةِ السَّيفِ لَا تُغني عَنِ البَطَلِ

إنَّ المُشاورَ إمَّا صَائبٌ غَرَضَاً

[141] – ابن المقري هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ابن علي بن عطية بن علي الشاوري الزبيدي اليماني الحسيني الشافعي، يكني أبو محمد ويلقب شرف الدين المعروف بابن المقري، ولد في عام 754هـ وتوفى في 837هـ. وهو عالم عربي مسلم، فقيه ومحقق، مؤلف: الإرشاد، وروض الطالب، وعنوان الشرف الوافي، له إبداعات في الفقه والتأليف الشعر والأدب واللغة والتاريخ.

أو مُخطئٌ غيرُ منسوبٍ إلى الخَطَلِ

لَا تَحْقِرِ الرَّأيَّ يَأتِيكَ الحَقيرُ بِهِ

فَالنَّحلُ وَهُوَ ذُبَابٌ طَائِرُ العَسَلِ

- لاميّة صلاح الدين الصفدي[142]والتي يقول فيها:

الجَدُّ في الجدِ والحِرمانُ في الكَسَلِ

فانصبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ

وَاصبرْ عَلَى كلِّ ما يأتي الزَّمانُ بهِ

صَبرَ الحُسامِ بكفِّ الدّراعِ البَطَلِ

وجَانِبِ الحرصَ والأَطماَعَ تَحْظَ بِمَا

تَرجُو مِنَ العزِّ والتَأييدِ في عَجَلِ

ولا تكونَنْ عَلَى مَا فَاتَ ذا حَزَنٍ

[142] – صلاح الدين الصَّفديّ هو صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الفاري الصَّفديّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ. ولد في صفد عام 696 هـ وتوفي في دمشق، في 10 شوَّال من عام 764 هـ نشأ في أُسرة ثريَّة نشأةً مرفَّهة، فحفظ القرآن العزيز في صغره، ثُمَّ طلب العلم، وبرع في النَّحو واللُّغة والأدب والإنشاء، وكتب الخطّ المنسوب، وقرأ الحديث وكتبه. وأبدع في صناعة الرَّسم على القماش، ثُمَّ حُبِّب إليه الأدب فولِعَ به، وذكر عن نفسه أنَّ أباه لم يمكِّنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ثُمَّ أكثر جداً من النَّظم والتَّرسل والتَّواقيع.

ولا تظلَّ بما أُوتيتَ ذا جَذَلِ

- **لاميّة ابن عمر الضمدي[143] التي يقول فيها:**

إِنْ مَسَّنا الضُرُّ، أَو ضَاقَتْ بِنَا الحِيَلُ

فلنْ يخَيبَ لنا في ربِّنا أملُ

وإنْ أناخَتْ بنَا البَلوَى فإنَّ لَنا

ربًّا يُحَوِّلُها عنّا فتنتقلُ

اللهُ في كُلِّ خَطبٍ حَسْبُنا وكَفَى

إليهِ نَرفَعُ شَكْوانَا وَنبتَهِلُ

مَنْ ذَا نَلُوذُ بهِ فِي كَشْفِ كَربَتِنا

وَمَنْ عَليهِ سِوَى الرَّحمنِ نَتَّكِلُ

ولهذه القصيدة مناسبة مشهودة عندما أصيب المخلاف السليماني[144]بجفاف وجدب وقحط شديد نتيجة انحباس المطر في عام 973 هجرية المصادف لعام 1565 ميلادية، خرج الناس لصلاة الاستسقاء وطلبوا من ابن عمر الضمدي أن يؤمهم وهو يومئذ شيخ كبير، ولما تقدم أمام الناس قام

---

[143] – محمد بن علي بن عمر بن محمد بن يوسف الضمدي التهامي ولد سنة 883 للهجرة في هجرة ضمد بالمخلاف السليماني بتهامة. يعد ابن عمر الضمدي من أبرز شعراء تهامة المعروفين في القرن العاشر الهجري،

[144] – تعرف منطقة المخلاف السليماني اليوم بمنطقة جازان في المملكة العربية السعودية.

بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم قال هذه القصيدة ارتجالاً، فما إن انتهى منها إلّا وقد هطل المطر هطولاً فقام الناس إليه وحملوه على الاكتاف والمطر ينهمر بغزارة.

- لاميّة أبي حفص الفاسي[145] والتي يقول فيها:

لَا تَعْتِبَنَّ عَلَى دَهْرٍ تُسَاءُ بِهِ

فَمَا عَلَى الدّهرِ مِنْ عَتَبٍ وِمِنْ عَذَلِ

وَاسْتَغنِ باللهِ لَا يُغنِيكَ مَا جَمَعَتْ

أَيدِي الأَنَامِ وَغَيرَ اللهِ لَا تَسَلِ

والحُرُّ يَستَفُّ تُربَ الأَرضِ مُحتَمِلاً

وَلَيسَ لِلمَنّ مِنْ كَعْبٍ بِمُحْتَمَلِ

بعد هذه السياحة في بعض لاميات الشعراء المشهورة لتعذر الإلمام بجميع اللاميات في الشعر العربي، نلاحظ أن غالبية القصائد اللامية أو جميعها قد حَوَن من كنوز الكلم ومنابع الرؤى الفكرية والمعرفية الشيء الكثير، وكأنما هي خلاصة التوصلات الفكرية والتأملية عند العرب ومظان حكمتهم، حيث أن معظم أبيات الحكم التي يتم الاستشهاد بها في معظم مواطن الكلام ومجالات الجدال تعود لهذه

[145] – هو العلامة أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، توفى عام 1188 هجرية، إشتهر رحمه الله بالعُكُوف على تأليف الكتب والرسائل في في مجالات متعددة أغلبها ما تزال مخطوطة مع أن نسخها متوفرة في الخزانات المغربية.

القصائد، وحسب اعتقادي أن هذا سببٌ مهم في تخليد هذه القصائد وتمييزها عن بقية النتاج الشعري الهائل في الأدب العربي، بالإضافة إلى القيم الجمالية الطافحة في مفاصل عديدة منها يطول بنا البحث في استقرائها وتقصيها فضلاً عن تفصيلها.

وتجدر الإشارة أنه إضافة إلى ما ذكرناه توجد لاميات أخر مشهورات مثل لاميّة أعشى قيس وهي معلقته المعروفة ولاميَة الحطيئة جرول بن أوس[146] ولامية القطامي ولامية عدي بن وداع، ولامية النمر بن تولب[147]، ولامية بشامة بن عمرو[148]، ولامية الزقاق النجيبي وغيرها مما يطول ذكره.

* * *

[146] – هو جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ "الحطيئة" ويكنى بـ "أبو مُلَيْكة". شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر. ولد لدى بني عبس من أَمةٍ اسمها (الضراء) أكثر في هجاء الناس، ولم يسلم أحد من لسانه فقد هجا أمّه وأباه ولم يتردد بهجاء نفسه.

[147] – النمر بن تولب بن زهير العكلي شاعر مخضرم وكان شاعر الرباب في الجاهلية ومن الفرسان المعدودين وكان أحد اجواد العرب المذكوين عمر طويلا وأدرك الإسلام وأسلم

[148] – بشامة بن الغدير أو بشامة بن عمرو شاعر جاهلي، خال زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف، كما كان بشامة معروفاً برجاحة عقله في قومه، وكان من شعراء غطفان المعدودين.

لأمة العرب

الفَصْلُ الرَّابِع

الشَّنْفَرَى شَاعِرُ لَامِيَّةِ العَرَب

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: نبذة عن حياة الشنفرى كما وردت في كتب السير**
- **المبحث الثاني: الشنفرى وتوثيق الأماكن**
- **المبحث الثالث: المرأة في حياة الشنفرى وشعره**
- **المبحث الرابع: الغبن التاريخي الذي طال شخص الشنفرى**
- **المبحث الخامس: تفنيد فكرة انتحال لاميّة العرب**
- **المبحث السادس: الخلط بين شعر الشنفرى وشعر تأبّط شرّاً**

لأمة العرب

❖ المبحث الأول:

نبذة عن حياة الشنفرى كما وردت في كتب السير:

ورد اسم الشاعر الشنفرى في كثير من كتب السير والروايات التاريخية بأنه ثابت بن أواس الأزدي.[149] لم يتم تحديد تاريخ ولادته بدقة، ولكن أغلب المؤرخين قد أجمعوا على أنه قُتل عام 510 ميلادي، وقيل إنه قُتل في عام 70 قبل الهجرة، الموافق 525م. وهو شاعر مفوهٌ مفلقٌ عاش في العصر الجاهلي، يعدُّ من فحول الطبقة الثانية من الشعراء[150]. وقد كان كما وصفته الروايات من فُتّاك العرب وعدّائيهم. يذكر أن قفزاته قيست ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها تقدر بعشرين خطوة.[151]

أما بخصوص اسمه أكد الدكتور يوسف شكري فرحات في (ديوان الصعاليك) "يكاد يجمع المؤرخون على أن الشنفرى لقب ويعني (غليظ الشفتين) إلا أن عبد القادر البغدادي في (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) الذي حققه عبد السلام محمد هارون ذكر أن الشنفرى هو اسمه الحقيقي وهو قحطاني النسب.[152]

---

[149] – اسمه الصحيح هو ثابت بن أواس (وليس أوس كما ورد في بعض المصادر) الأزدي. وأواس ابن من أبناء حجر بن الهنوء الأزدي.

[150] – بعيداً عن الآلية التي اعتمدها محمد بن سلّام الجمحي صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء) في تصنيف الشعراء، أجد أنه من الغبن وضع الشنفرى في الطبقة الثانية فهو جدير بأن يكون من الطبقة الأولى إن لم يكن من فحولها.

[151] – ربما كان وصف خطواته مبالغ فيه، وحتى إذا كان وصفاً دقيقاً، فهو ليس أهم من الجوانب الأساسية في التركيبة النفسية والشخصانية لهذا الشاعر التي للأسف لم يولها المؤرخون اهتماماً مناسباً.

[152] – وجاء كذلك في كتاب (ديوان الصعاليك) للدكتور يوسف شكري الطبعة الأولى – دار الجيل – بيروت – 1992 م.

ورغم هذا لم يتم التثبت بشكل قطعي من اسمه، وحتى أن ابن جني[153] في كتابه (المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة) لم يتطرق إلى تفسير اسم الشنفرى كما فعل مع بقية شعراء الحماسة، وقد تضاربت الكثير من مصادر ترجمة الشنفرى ويمكننا حصر ذلك التضارب بمنحيين:

المنحى الأول: أصحاب هذا المنحى قالوا إن "الشنفرى" هو الاسم الصريح للشاعر، وأكدوا على نسبه العربي القحطاني من قبيلة الأزد وأن أمه عربية من قبيلة فهم المضرية العدنانية.

المنحى الثاني: أصحاب هذا المنحى قالوا إن "الشنفرى" لقب له ويعني غليظ الشفتين، من أجل التوكيد على أن فيه عرق حبشي من جهة أمه.

وقد تباينت أقوال المؤرخين في ذلك وتباينت الوقائع التي سردوها عن الحياة الشخصية للشنفرى في بعض التفاصيل التي تخص حياته، فمنهم من قال إنه ولد وترعرع في قومه قبيلة الأزد ثم حصل أن أغاظوه فهجرهم ثم قام بهجائهم. وقيل إنه نشأ في قبيلة فهم العدنانية وهي قبيلة أمه، أي أنه ليس من قبيلة فهم، ولكن تم سبيه من أرض أبيه من رجال الحجر بعد أن قتلت سلامان بن مفرج والده فثار انتقاماً لوالده، فقتل به منهم تسعا وتسعين رجلاً حياً وأوفى بعد موته بعهده بقتل المائة بعد أن ركل رجلاً جمجمته ودخلت عظمة في رجله فهاجت عليه فمات. ومنهم من قال إن بني سلامان قد أسروه وهو صغير ثم استطاع أن يهرب منهم ويهجوهم. فيما قالت طائفة ثالثة من المؤرخين إنه ولد في بني سلامان وعاش كرهينة عندهم ثم قال يوما لإبنة مولاه: (اغسلي رأسي يا أخيّة)، فاغتاظت منه وغضبت عليه واستنكرت منه أن يدعوها أخته فسددت صفعة إلى وجهه، وبعدها هرب ثم هجاهم. وهناك قول رابع مرجحٌ على ما سبقه من أقوال، وهو أنه عاش عبدا مملوكاً رقيقا عند قبيلة بني الأحمر،

---

153 – مرت ترجمته

وعندما قوي عوده وفتل ساعده تقدم لطلب يد بنت سيده ليتزوجها، فوجم سيده متعجباً من ثقة الشنفرى بنفسه وجرأته باديء الأمر. لكنه ما لبث بعد استيعاب الطلب أن قام بتزويجه إيّاها إكراما وتقديراً لشجاعته وجرأته وثقته بنفسه.

وتروى هذه القصة برواية أخرى أكثر تفصيلاً هي أن قبيلة فهم كانت قد أسرته وبقي عندهم حتى أسرت قبيلة سلامان بن مفرج رجلاً من قبيلة الأزد من فهم، ففدت قبيلة فهم ذلك الرجل الأسير بالشنفرى، فنشأ الشنفرى في قبيلة سلامان وقد أكرموه ولا تحسبه إلّا واحداً منهم، وكان الرجل السلامي الذي كان الشنفرى قد نشأ في كنفه، قد أحسن معاملته واتخذه ولداً كباقي ولده، وفي أحد الأيام قال الشنفرى لابنة هذا الرجل: (اغسلي رأسي يا أخية) وهو يظن أنها أخته الحقيقية، فاستهجنت تلك الفتاة أن يكون الشنفرى أخاها، فقامت مستنكرة قوله ولطمته، فذهب يعتريه الغضب حتى جاء لأبيها فقال له: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة رجل بما استعبدتموني، ومرّ على الفتاة السلامانية التي لطمته فأنشد شعراً أمامها قال فيه:

أَلا لَيتَ شِعري والتلّهفُ ضلةٌ

بما ضَربتْ كفُّ الفَتاةِ هَجينَها

ولَو عَلمتْ قَعسوسُ أنسابَ والدي

ووالدِها ظَلتْ تُقاصِرُ دُونَها

أَنا ابنُ خيارِ (الحجر) بَيتاً ومَنصِباً

وأُمّي ابنَةُ الأحرارِ لو تَعلمينَها

وهناك رواية أخرى بفارق بسيط هي أن قبيلة سلامان سبت الشنفرى وهو غلام، فجعله الذي سباه في غنمه ومواشيه يرعاها مع ابنته، فلما خلى بها أراد أن يقبلها فلطمته، فخرج إليهم أباها فوجده ينشد أبياتا يأسف فيها على ما فعلته به الفتاة، وكيف أنها لا تعرف نسبه إذ قال:

أَلا هَلْ أَتَى فِتيانُ قَومي جَماعةً

بِما لَطَمَتْ كَفُّ الفَتاةِ هَجِينَها

وَلَو عَلِمَتْ تَلكَ الفَتَاةُ مَنَاسِبي

وَنِسبتَها ظَلَّتْ تُقَاصِرُ دَونَها

أَليسَ أَبِي خَيرُ (الأَواسِ) وغَيرُها

وَأُمّي ابنَةُ الخَيرينِ لَو تَعلَمِينَهَا

إِذا مَا أرومُ الودَّ بَيني وبَينَها

يَؤُمُّ بياضُ الوجهِ منّي يمينها

فتعجب والد الفتاة من فصاحته وثقته بنفسه وسأله عن نسبه فقال: أنا أخو الحارث بن ربيعة، فقال له: لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي هذه. فقال: علي، إن قتلوك، أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، وخلّى سبيله، فشدت بنو سلامان على أبي الفتاة وقتلوه فعلاً، فما كان من الشنفرى إلّا أن وفّى بوعده للرجل، فقام يغزو بني سلامان بين الفينة والفينة ويقتّل بهم، فقيل

أنه قد قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً، وكان في طريقه لقتل الرجل المائة، لكنهم أمسكوه قبل أن يقوم بقتل الرجل المائة، وصلبوه حياً ثم قطعوا بعض أعضائه، حتى مات.

ومن الروايات التي وردت في قتله كما جاء في كتاب "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"[154]ما نصه: (إنه قتل من "بني سلامان بن مفرج" تسعة وتسعين رجلاً، فأقعدت له رجالاً يرصدونه، فلما دنا من ماء ليشرب، قبض عليه رجلان من "بني البقوم" من الأزد، وأصبحا به في "بني سلامان". فربطوه إلى شجرة، فقالوا: قف أنشدنا، فقال مقولته المشهورة التي أطلقها مثلاً إلى يومنا هذا: "الإنشاد على حين المسرة".

وقالوا له حين أرادوا قتله، أين نقبرك؟ فقال:

لَا تَقْبرُونِي! إِنَّ قَبرِي مُحَرَّمٌ

عَلَيكُم، وَلَكِّنْ أَبْشرِي أُمَّ عَامَرِ

إِذا احتَمَلَتْ رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي

وَغُودِرَ عِندَ المُلتقى ثُمَّ سَائِرِي

هُنَالِكَ لَا أَرجُو حَياةً تَسُرُّنِي

سَجِيسَ اللَّيالي مُبْسِلاً بالجَرائِرِ

---

154 – "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام" كتاب في التاريخ من تأليف المؤرخ العراقي الكبير جواد علي، يقع في عشرة أجزاء (أحدها مخصص للفهرس)، ويعتبر أضخم عمل أكاديمي في تاريخ العرب والجزيرة العربية في فترة ما قبل ظهور الإسلام.

ويتبين لنا من جواب الشنفرى بهذه الأبيات على سؤالهم أين نقبرك؟ أنه مصمم على القطيعة مع قومه ومع القبيلة كياناً وتقاليداً حتى بعد موته، ولم يكتف بتلك القطيعة في حياته التي كانت محض اغتراب عن الأهل والمجتمع فحسب، وقد قرر في تلك اللحظة الحاسمة أن تستمر هذه القطيعة، حتى بعد قتله، وفضّل أنْ لا يكون مدفنه مع سائر البشر، بل أن يُقدَّم نفسه طعاماً شهياً للضباع، التي هي أحد أهليه، ربما تكون من باب الوفاء لهم حتى بعد موته كما قال في لاميته (ولي دونكم أهلون... إلى نهاية البيت)، وقوله (وَلَكِنْ أَبْشرِي أُمَّ عَامَرِ) أي أنه يبشّرها بأكل لحمه، وأم عامر كنية لأنثى الضبع.[155]

روى الأصفهاني في كتابه الأغاني بسنده عن أبي هشام محمد بن هشام النميري في خبر مقتل الشنفرى المار ذكره قال: (ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وحازم البقمي بالناصف من أبيده ومع أسيد ابن أخيه فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائنا ما كان، فشكَّ[156]وزاع ابن أخي أسيد إلى عضدة، فلم يتكلم فقال الشنفرى إن كنت شيئاً فقد أصبتك وأن لم تكن شيئاً فقد أمنتك، وكان حازم باطحاً يعنى – منبطحاً – بالطريق يرصده فنادى أسيد يا حازم أصلت – يعنى أسلل سيفك – فقال الشنفرى: لكلٍّ أصلت. فأصلت الشنفرى فقطع أصبعين من أصابع حازم الخنصر والبنصر وضبطه حازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجده فأخذ أسيد بسلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى حازماً وابن أخي أسيد فضبطاه وهما تحته وأخذ أسيد رجل ابن أخيه

---

[155]– للضبع الذكر والضبع الأنثى العديد من الأسماء والكُنْيات، ولعلّ أهم ما تكنى به أنثى الضبع: أُمّ خنُّور، وأُمّ طريق، وأُمّ عامر، وأُمّ القبور، وأُمّ نوفل، من الكُنْيات التي يكنى بها ذكر الضبع: أبو عامر، وأبو كَلْدة، وأبو الهِنْبِر، والضبع اسم يطلق على ذكر الضبع وأنثاه، والصحيح أن لا يُقال لأنثى الضبع ضَبُعة بل يقال لها ضبعانة على سبيل التمييز بين الجنسين وجمعها ضبعانات وضباع[155]، ويطلق على ذكر الضبع اسم ضبعان ويجمع ضعابين مثل سرحان وجمعه سراحين، وثعبان وجمعه ثعابين.

[156] – شكّه بالرمح أو السهم: أي طعنه به. كما جاء في معجم الرائد اللغوي.

فقال أسيد رجل من هذه؟ فقال الشنفرى رجلي فقال ابن أخي أسيد بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفرى وأدوه إلى أهلهم)[157].

وقيل إنهم قد تركوه بعد قتله شهورا مصلوباً حتى لم يبقَ من جسدِهِ إلّا النزرِ اليسيرِ فأسقطوه أرضاً وجعلوه ملقى على التراب. وصادف أن جاء أحد رجال بني الأحمر ورأى الجثة ملقاة. والجمجمة بجوارها، فركل الجمجمة بقدمه، فدخلت عظمة من جمجمة الشنفرى في قدم الرجل، فأثرت عليه حتى مات بسببها، فقال الناس: وفّى الشنفرى بنذره وقتل من بني الأحمر مائة رجل، ولذا سيقت هذه الجزئية من قصته بعد الموت في الأمثال فقيل: (أوفى من الشنفرى) نسبة إلى وفائه بنذره حتى بعد موته،كما ضرب به مثل آخر في سرعة عدوه وجريه الذي كان يسبق العتاق من الخيول النجيبة فذاع فيه المثل: (أعدى من الشنفرى).

لقد وصفت بعض كتب السير الشنفرى بأنه أسمر البشرة، نحيل الجسد، غليظ الشفتين، (ومنها جاء لقبه بالشنفرى)[158]، وكان دمثاً خفيف الظل أيضاً، وكان يقضي أطيب أوقاته وألذ عيشه في البراري والجبال والقفار، ولقد أثبت الشنفرى بشهادة لاميّته الخالدة قبل شهادة الآخرين أنه كان يمثل الصورة الواضحة المعالم للرجل العربي الذي لم تحيّد حركته الجغرافيا الوعرة ولا الكوابح المانعة الأخرى، فكانت

---

[157] – رواية أبي فرج الأصفهاني في كتاب (الأغاني) بسنده عن أبي هشام محمد بن هشام النميري في خبر مقتل الشنفرى عام 356 هجري.

[158] – جاء في المعجم الغني تأليف عبد الغني أبو العزم ما هو قريب من هذا المعنى: (شَنِفَتْ شَفَتُهُ العُلْيَا. أي: اِنْقَلَبَتْ إِلَى أَعْلَى). مع التأكيد على أن الشنفرى هو اسم الشاعر وليس لقبه، وهذا الاسم كان موجوداً في القبائل العربية القحطانية ويعني عندهم الفارس أو الماجد.

الصحارى والقلل والوديان طوع إرادته أين ما حلَّ منها وقد علمته تلك البيئة الإباء والعزة ونقاء النفس والقلب.

❖ المبحث الثاني

الشنفرى وتوثيق الأماكن:

لابأس من التعريج أولاً إلى مكان مهم في قصة الشنفرى ألا وهو المكان الذي ضم قبره الذي لازال شاخصاً إلى يومنا هذا، وقد اهتم المحققون والباحثون في المكان الذي تم فيه مقتل الشنفرى وتصفيته جسدياً، للحد الذي بات المكان مشخّصاً وموثقاً الآن، حيث تؤكد المصادر أن قبره معلوم بالتواتر إلى يومنا هذا في نفس المنطقة التي قتل فيها، وهو قبر عملاق مرصوف على طوله الذي يتجاوز الثلاث أمتار بحجر طبيعي من نفس نوع الأحجار التي تكثر في تلك المنطقة، وتوجد إلى جانبة شجرة، وتذكر الروايات أن الشنفرى كان قد ربط إلى شجرة فعلاً عند قتله، وربما تكون الشجرة الحالية من سلالة تلك الشجرة.

وتجمع معظم المصادر بما في ذلك مؤرخوا قبيلة الأزد –قبيلة الشنفرى– المعاصرون الذين لايزالون يقطنون نفس المنطقة على أنه قبر الشنفرى، ومما يشار إليه أن هذا القبر ليس موجهاً باتجاه القبلة وهذا ما يؤكد كونه قبر جاهلي ويعزز احتمال أن يكون قبر الشنفرى فعلاً، القبر يقع في منطقة الباحة[159]في وادي اسمه الناصف من بيدة أو الناصف من أبيدة التي تقع غرب المملكة العربية السعودية

---

159 – منطقة الباحة هي إحدى المناطق الإدارية الثلاث عشرة التي تتكون منها المملكة العربية السعودية. تقع في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية، على سلسلة جبال الحجاز، تأسست كمنطقة إدارية في شهر ذي الحجة عام 1383 هـ، وعاصمتها الإدارية مدينة الباحة احدى قرى شمال غامد وإليها تُنسب المنطقة ويتركز بها الثقل الإداري والتجاري وبها توجد إمارة المنطقة وتتجمع فيها

جنوب غرب إقليم الحجاز بين خطي طول 42/41 وخطي عرض 20/19 شمال خط الإستواء، وكانت تسمى ضيعة مكة أو حديقة الحجاز.

ومما يشار إليه أن القبائل الأزدية مثل قبيلة زهران وقبيلة غامد وقبيلة بني حسن لم تبرح تعيش في هذا الوادي إلى الآن، كما يوجد إلى الغرب من وادي الناصف جبل يقال له جبل الرُّحمة، ينتصب في مركز

الدوائر الحكومية والمراكز التجارية الكبرى إضافة إلى أن بها أسواقا شعبية كثيرة منها: (سوق الخميس، سوق السبت، سوق الاثنين) وتعتبر من أفضل مناطق المملكة في مجال السياحة جنوب غرب المملكة، ويحد منطقة الباحة منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب والجنوب، ومنطقة عسير من الشرق. عن (ويكيبيديا).

معشوقة في محافظة القرى، ويبعد عن مدينة الباحة نحو ستين كيلومتراً، إلى الشمال منها، وقد تم ذكره في الكثير من المصادر القديمة. والخارطة أعلاه تبين المناطق الإدارية للملكة العربية السعودية وتظهر منطقة الباحة باللون الأرجواني الفاتح غرب المملكة بين مكة المكرمة وعسير. والباحة تقع على سلسلة جبال السراة في الحجاز، ويحدها من الشمال والغرب منطقة مكة المكرمة ومن الجنوب والشرق منطقة عسير، وتتكون من سهول منخفضة غرب المملكة تصل إلى ساحل البحر الأحمر تعرف بتهامة، وجبال بركانية تعرف بـ (الحجاز، السراة). وفي الصورة أدناه يظهر القبر الذي أكد المؤرخون أنه للشنفرى.

هذا مايتعلق بما وثقه المؤرخون وتحققوا منه بخصوص قبر الشنفرى ومكان قتله، وحسب اعتقادي إنه من الممكن تحديد مكان قتل الشنفرى وضبطه بما لا يقبل اللبس من خلال الروايات المتواترة العديدة التي وردت في كتب السير، والكثير من الكتب التراثية، وكذلك من خلال منطقة تواجد القبيلة ذاتها التي لم تبرح المكان ذاته عبر كل المراحل التاريخية، لاسيما أن معالم الأرض لا تتبدل إلّا بعوامل قسرية معلومة، ورغم هذا لا يمكننا الجزم على أن هذا القبر المشار إليه والطاهر في الصورة أعلاه هو قبر الشنفرى بالقطع وذلك لسببين:

السبب الأول: عدم وجود شاهدة أو علامة محددة على القبر تدل عليه، بالإضافة إلى ذلك عدم التحقق من تواتر تسمية هذا القبر باسم الشنفرى عبر القرون الخوالي سوى ما أشارت إليه بعض التحقيقات المتأخرة.

السبب الثاني: أن الروايات التي ذكرت بعض التفاصيل عن مقتل الشنفرى تكاد تجمع أنه بقي بعد قتله مصلوباً مدة طويلة على الشجرة، ولم تشر أي رواية متقدمة أو متأخرة إلى دفنه ومن ثم هل له قبر بالفعل؟، بل العكس تشير جل الروايات إلى بقاءه في العراء لحد مجيء الرجل السلاماني الذي قام بركل جمجمته فدخل عظم منها في قدمه وكان ذلك سبباً في موته لكي يفي الشنفرى بعهده في استكمال العدد مائة، ومن المعلوم أن الجلد لا ينتزع عن الرأس ولا يتلاشى ما بداخله إلا بعد مدة طويلة وهذا ما يؤكد نظرية عدم دفنه وهي الأقرب إلى الصحة والعلم عند الله.

أما بالنسبة للأماكن العديدة التي وثقها الشنفرى في شعره، فإنها تشير إلى واقعية شعر الصعاليك والشنفرى على وجه الخصوص من جهة، وإلى أهمية تراثهم الشعري والقصصي من الناحية الجيوتاريخية من جهة أخرى، ومن هنا أوجه مقترحاً لجميع الباحثين والمتخصصين وأساتذة علم الجيوتاريخ على وجه

الخصوص بضرورة إعداد أطلس يوضح حركة الصعاليك يكون معززاً بالخرائط والصور والأشعار وكل ما يحتاجة علم التوثيق.

ويمكننا في هذا المبحث تناول بعض الأماكن التي وردت في شعر الشنفرى والتي تعتبر وثائق تاريخية وجغرافية مهمة وعلى النحو التالي:

- **ذكر الشنفرى قرية الرأس في بيدة سوياً مع وادي منحل قائلاً:**

فإلّا تزرني حَتْفتي أو تُلاقني

أُمشِّ بدَهْرٍ أو عذافَ فنوَّرا

وأَبْغي بَني صَعبِ بنِ مُرٍّ بِلادَهُم

وَسَوفَ أُلاقِيهِم انِ اللهُ يَسّرا

وَيَوماً بذاتِ الرَّأسِ أَو بَطْنِ "مَنْحَلٍ"

هُنالِكَ نَبْغِي القَاصِيَ المُتَغَوّرَا

وقد جاء ذكر البيت الأخير بالصيغة التالية:

وَيَوماً بذاتِ الرَّأسِ أَو بَطْنِ "مَنْجَلٍ"

هُنالِكَ نَبْغِي القَاصِيَ المُتَغَوّرَا

وبرأيي أن الصيغة الثانية هي الأصح لأن موقع قرية ذات الرأس مازال معروفاً ومحتفظاً بنفس الاسم إلى يومنا هذا وبالتحديد في بني عمر القرى في بني بشير أو بطن منجل[160]، ومعظم المؤرخين والباحثين من قبيلة زهران قالوا: أن منجل هو تصحيف من كلمة "منحل" وهو موقع موجود في قريش في السراة وهذا الرأي غير دقيق لأن منجل لازال محتفظاً باسمه وهو أحد الأودية الكبرى ذات الموقع المعلوم يقع ضمن المنطقة التي تقطنها قبيلة بني عمر الأشاعيب في المخواة، ومما يعزز أن الشنفرى لم يرد في بيته "منحل" بل "منجل" لأن الوادي ذاته تسكنه بنو عمر، أما قوله هنالك نبغي "القاصي"، والقاصي لغة: البعيد، أي البعيد عن أبيدة ويؤكد ذلك بعد مواضع بني عمرو القرى عن الوادي المذكور، وقوله "المتغورا" ففي ذلك إشارة إلى الغور وهو أحد أسماء تهامة، فيصبح معنى هذا البيت أنه سيذهب يوماً ما إلى وادي منجل حيث أولئك البعيدين القاطنين تهامة (الغور).

- وثّق الشنفرى قرية رباع وقرية العضداء، وهما قريتان معروفتان منذ القِدم إلى يومنا هذا يسكنهما بنو حسن الذين ينتسبون إلى قبيلة زهران الأزدية وهي قبيلته، فقال:

وإِنّي لَأَهوَى أَنْ أَلُفَّ عَجَاجَتي

عَلَى ذِي كِسَاءٍ مِنْ سَلامَانَ أَو بُرْدِ

وأَصبَحُ بالعَضْداءَ أَبغِي سُرَاتَهُمْ

وَأَسلُك خَلّاً بَينَ أَربَاعَ والسَّرْدِ

[160] – جاء في كتاب (أنساب زهران من الحجاز إلى عمان) لأحمد علي أحمد الزهراني أن نسب قبيلة بشير يعود إلى بشير بن سلامان بن مفرج (عمر) بن مالك بن زهران

وأرباع هو تصحيف لاسم القرية المعروفة باسم "رباع" القائمة إلى الآن بهذا الاسم والتي أشرنا إليها، كما أنه وثّق في شعره وادي دحيس الذي يقع في محافظة القرى في المملكة العربية السعودية ضمن منطقة الباحة، ورباع والسرد قريتان معروفتان منذ القِدم ينزلهما بنو حسن من زهران.

- جاء في (الأغاني)[161]أنه كان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم فأشلوا عليه كلباً لهم يقال له حبيش ولم يضعوا له شيئا ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرداهما.

قتيلَيْ فِجارٍ أنتُما إن قُتِلتُمَا

بجوفِ دَحِيسٍ أو تبالةَ يا اسمعا[162]

وقد ذكر اسم الشِّعب "تبالة" وهو تصحيف لـ "تالبة"، الشعب المعروف بالقرب من وادي دحيس الذي تم ذكره، ووادي دحيس معروف اليوم يقع ضمن حدود محافظة القرى في المملكة العربية السعودية التي تعتبر البوابة الشمالية لمنطقة الباحة.

- وقد وصف وادي بيدة بقوله:

وَوَادٍ بعيدِ العُمْقِ ضَنكٌ جماعُهُ

[161] – كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني الجزء الصفحة 186 من الجزء الحادي والعشرين. تحقيق سمير جابر، الطبعة الثانية عن دار الفكر/ بيروت.

[162] – يقصد يا هذان اسمعا

بَوَاطِنُهُ للجِنّ والأُسْدِ مَأْلَفُ

- ذكر أماكن في المنطقة كجبال قوب، بقوله

إذا أَصبَحتُ بَينَ جِبالِ قَوٍّ

وَبيضانِ القُرى لَم تَحذَريني

فَإِمّا أَن تَوَدّينا فَنَرعى

أَمانَتَكُم وَإِمّا أَن تَخوني

و"قَوٍّ" تصحيف من قوب، وهو جبل يخترق مدينة الباحة، التي تقع غربه قرى بيضان.

- ذكر المرقبة وهو جبل يطل على تهامة بقوله:

ومَرقَبةٍ عَنقَاءَ يَقصُرُ دونَها

أَخُو الضِرُوةِ الرِّجْلُ الخَفِي المُخَفَّفُ

نَعِيتُ إِلى أَعلَى ذُرَاهَا وَقَد دَنَا

مِنَ الليلِ مُلْتَفِّ الحَدِيقَةِ أَسْدَفُ

فَبِتُّ إِلى حَدِّ الذِّراعَينِ مُجذِباً

كَمَا يَتَطَوَّى الأَرقَمُ المُتَعطِّفُ[163]

والمرقبة ذكرت كثيراً في شعر معظم الصعاليك ويبدو أنها أصبحت جزءاً من حياتهم وطقساً من طقوسهم لأنها تعتبر خط الدفاع الأول، والحمى المنيع الرادع الذي يستطيعون المبيت فيه بشيء من الحذر والاطمئنان النسبي، وفي نفس الوقت تعتبر النافذة التي يطلّون من خلالها على العالم لتحديد الأهداف المطلوبة لليوم التالي. ولم يقتصر شعر الشنفرى على توثيق الأماكن بل تعداه إلى توثيق أصناف من

[163] – المرقبة: المرصد ومكان المراقبة. العنقاء: الطويلة. يقصر دونها: لايستطيع بلوغها. أخو الضرورة: الصياد معه كلاب ضراها للصيد. الحفي: الحافي القدمين. نعيت: رفعت رأسي. الأسدف المظلم. مجذباَ: قائماً وثابتاً. تطوّى: استدار والتف بعضه على بعض. الأرقم: ذكر الأفعى يمتاز بخبثه. والقصيدة موجودة في ديوان الشنفرى صفحة 53.

الأشجار والنباتات التي تنمو في البقعة الجغرافية التي احتوت حركته، وقد ذكر في شعره العديد منها على سبيل المثال شجر النبع الذي ينمو بشكل عام في القطاع التهامي وهو من أدق الاشجار وشكله كثير الشبه بشجر الخيزران وعادة يكون وجوده نادراً لوحده لأن يميل إلى العيش وسط الأشجار ومن ثم يبرز ويظهر من خلالها ويسمو عليها ومن خصائصة أن أوراقه رقيقة وقصيرة جداً، ويسعى الرعاة دائماً إلى قطعها وجمعها لأنها من أفضل النباتات التي تحبها الإبل والأنعام وإذا تناولته سمنت وغزرت ألبانها وهي من أجود المراعي في تربية وتسمين الماشية. كما ورد ذكر شجر الحماط وهو نوع من أنواع التين الذي تشتهر به منطقة نجد خصوصاً في الجنوب ويوجد منه بساتين كثيرة في زهران وعلى وجه الخصوص في دوس وقد ذكره الشنفرى بقوله:

أَمشي بأطرافِ الحماطِ وتارةً

تُنفَّضُ رِجلي بَسْبُطاً فعَصَنْصَرا

إن من أهم أسباب بقاء تردد شعر الشنفرى مع الزمن وذكره بهذا الصدى الواسع بين الناس يعود إلى ارتباط أرومته الشديد بقبائل لاتزال تعيش بيننا، ولم ينحسر وجود هذه القبائل على مجرد ذكر موروثها وتاريخها الخاص فحسب، بل من خلال وجودها عبر كل الحقب التاريخية في موطنها ذاته مع تفاعلها وحضورها الواضح في المجتمع السعودي وامتزاجها في بنيته، وهذا ما يمنحنا الشعور بحقيقة وجود هذه الشخصية، وصحة الكثير مما جاء في سيرته، مع ضرورة التحقق من بعض الحكايا التي اتسمت بالغرابة والتي ربما تم زجها من أجل خلق حالة الإثارة في حكايته خصوصاً في القرون الثلاثة التي سبقت هذا القرن التي كان فيها للحكواتي مكانة مهمة بين الناس، فكان يبدع في خلق وربما اختلاق القصص الغريبة والمثيرة التي تجذب أسماع متابعيه وتشدهم إلى حضور مجلسه، فيسعى إلى إطلاق العنان لخياله من أجل تزويق القصص التاريخية الحقيقية وإبرازها برونق تلذ إليه الأسماع وتهفو إليه نفوس السمار الذين ليس لديهم أي وسيلة تسلية سواها.

إن الشنفرى وإن كان قد عاش في زمن موغل في القدم وبعيد عن زمننا الذي نعيش فيه، إلّا أن وجوده لازال محسوساً، لأن الطابع العام الذي طبع حياته هو التنقل في أماكن لاتزال مأهولة إلى الآن، وأنه قد عاش بين ظهراني قبائل لازالت معروفة في يومنا هذا ومعدودة من قبائل هذا العصر، وهذا ما يعطي شخصيته وحياته بعداً واقعياً، وفي نفس الوقت يسهل على الباحثين التحقق من الكثير مما ورد عنه سواء في الأشعار أو الدراسات، وهذا حسب رأيي لامندوحة عنه، كما أن أي توسع في البحث حول هذا الشاعر يزيد من ارتباط وتلذذ الناس بشعره وبحياته، بل سوف يتطلعون إلى المزيد منه، نتيجة ارتباطهم الوثيق بما جاء في أثره

وما ينبغي الإشارة إليه أن بعض الأماكن التي ذكرت في شعر الشنفرى موجودة في مكان بعيد عن بيئة الشنفرى، والسبب يعود إلى تشابه أسماء الأماكن، حيث توجد قرى وشعاب في أماكن متباعدة وبالاسم نفسه، مما يجعل اللبس يحدث لدى بعض الباحثين أحياناً.

❖ المبحث الثالث:

المرأة في حياة الشنفرى وشعره:

من السائد عند شعراء العصر الجاهلي انصرافهم الكامل إلى تصوير الجانب الحسي من جسد المرأة وإبراز مفاتنها، والمغالاة في وصف مواطن الجمال الخلقي (بفتح الخاء وتسكين اللام) فيها بإساليب تصل إلى حد الإباحية الفجة أحياناً، وكانوا يبدعون في تجسيد كل ما يقع عليه ناظرهم منها بالصور الجميلة التي تزدان بمخيالهم الخصب وتصوراتهم المفتوحة، فبرعوا بوصف تفاصيل الجسد الأنثوي من أعلى نقطة في الرأس إلى أخمص القدمين، بشبق ورغبة غريزية عارمة لايقف أمامها أي كابح، في حين أن الشعراء الصعاليك بشكل عام، والشنفرى على وجه الخصوص، قد نحى في تعامله مع المرأة منحى آخراً، يتسم بتركيزه على الجوانب الخلقية (بضم الخاء واللام) في المرأة وإبراز الصفات المثالية والمزايا النفسية والمعنوية فيها، والاكثار من التغني والتفاخر بالشمائل القيمية الفاضلة عند النساء، وهذا لم يمنعه من إغفال البعد الحسي فيها، لكن تناول ذكره بشيء من الإيجاز والتكثيف لكي يعطي صورة متكاملة بوجيز العبارة.

لقد قدم الشعراء الصعاليك بعامة والشنفرى بخاصة صورة مغايرة عن طبيعة التعامل مع المرأة، إذ لم تكن المرأة في أشعارهم تلك الفتاة المغناج المدللة، بل كانت الشخصية الإنسانية بأرقى معانيها، فهي السيدة الساندة لزوجها، الوفية له، التي لا تتوانى عن الوقوف بكل ما تملك وراءه، وهي الحكيمة

الناصحة بغض النظر عن طبيعة مشكلات الزوج، وبخلاصة القول أفصحت رؤيتهم الناضجة إلى العالم النسوي عن تحول فني وأخلاقي واضح المعالم في هذا المجال.

لقد كان الشنفرى شديد الاحترام للنساء، ولم ترد في سيرة حياته أي رواية تشير إلى مجون معين، أو معاقرات غير شرعية، وليست لديه أي علاقات مشبوهة بالنساء، وقد تجلى ذلك في عموم سلوكه الذي انعكس في أشعاره، إذ لم يصلنا عنه أي خبر في هذا الخصوص ولم تصل إلينا كذلك أي قصيدة يذكر بها مغامرات ساخنة مع النساء، ولا قام بوصفهن وصفاً فاضحاً، ومن القصص الشائعة في حياة الشنفرى تلك الحادثة التي شكلت منعطفاً رئيسياً في حياته، وهي عندما كان في بني سلامان طلب بكل أدب من الفتاة التي كان يظنها أخته أن تصب الماء على رأسه كي يغسله قائلاً: (اغسلي رأسي يا أخيّة) فكان جواب تلك الفتاة لطمة على وجه الشنفرى، ورغم هول الصدمة التي وقع بها الشنفرى من فعل الفتاة وتصرفها غير المتوقع، لم تصدر عنه ردة فعل متهورة، واستطاع أن يمسك جأشه أمامها ولم ينبت بنت شفة، غير أنه ذهب إلى أبيها، والقصة قد ذكرناها بشيء من التفصيل في مبحث سابق، والشاهد أن الشنفرى لم تسوّل له نفسه الرد على الفتاة بما لا يليق بأخلاق العرب، إيماناً منه بالفضائل الحميدة ومكارم الأخلاق.

وإذا تناولنا قصيدته التائية الشهيرة والتي يطلق عليها بعض الباحثين "تائية العرب" لأهميتها من الناحيتين الأدبية والقيمية والتي في جانب كبير منها تحدث عن زوجته، نتلمس ما تعكسه هذه القصيدة من درجة احترامه لحقوق المرأة وإقراره لعفتها، حيث قد عدّ الأصمعي الأبيات الأولى من هذه القصيدة أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن، والشنفرى يعاتب فيها زوجته أميمة عتاباً شفيفاً وهي قد هجرته ورحلت دون أن تخبره، ولم تخبر أي أحد بما في ذلك جيرانها الذين تحتفظ معهم بعلاقة طيبة كما تشير القصيدة ذاتها، فلم يغضب منها ولم يتعرض لها بالملامة والسخط ولم تؤثر حمية الجاهلية التي

كانت سائدة آنذاك على أسلوبه في التعامل إزاء تصرفها المفاجئ، بل سعى إلى توقيرها حين لم يذكر اسمها الصريح، مكتفياً بذكر كنيتها تأكيداً لاحترامه العميق لها، وراح يخاطبها بأروع وأرق الكلمات وبأسلوب راقٍ قل نظيره في التخاطب بين الزوج والزوجة في أحسن حالات الصفاء، في الوقت الذي قد بادرته بالهجران، دون أن تستأذن منه وتركته دون أن تفكر برد فعله، لكن الشنفرى آلى إلّا أن يكون رد فعله معبراً عن مبادئه الانسانية واحترامه الشديد للمرأة، حيث أهدى لها هذه القصيدة[164] الخالدة التي يقول فيها:

أَلاَ أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فاسْتَقَلَّتِ[165]

وما وَدَّعَتْ جِيرانَها إِذْ تَوَلَّتِ

وقد سَبَقَتْنَا أُمُّ عَمْرٍو بأَمرِها

وكانت بأَعْناقِ المَطِيِّ أَظَلَّتِ[166]

بِعَيْنَيَّ ما أَمْستْ فبَاتتْ فأَصبحت

---

[164] – القصيدة موجودة كاملة في (ديوان الشنفرى): ثابت بن أوس الأزدي الصفحة 35 الديوان من تقديم وإعداد طلال حرب، الصدر عن دار صادر عام 1996 بيروت.

[165] – أجمعت: أي قررت وعزمت أمرها. استقلت: أي ركبت راحلتها وارتحلت

[166] – سبقتنا بأمرها: أي أنها استبدت بما أرادت واستأثرت به. وكانت تستظل بأعناق الإبل.

فقَضَّتْ أُمُوراً فاستقَلَّتْ فَوَلَّتِ[167]

فَوَاكَبِدَا على أُميْمَةَ بَعْدَ ما

طَمِعْتُ، فهَبْها نِعْمةَ العَيْشِ زَلَّتِ[168]

فيَا جارَتِي وأَنتِ غيرُ مُلِيمَة

إِذَا ذُكِرَت، ولاَ بِذَاتِ تَقَلَّتِ[169]

لقد أَعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِناعُها

إِذا ما مَشَتْ، ولا بِذَات تَلَفُّتِ[170]

تَبِيتُ بُعيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَها

لِجارَتِها إِذَا الهَدِيّةُ قَلَّتِ[171]

---

[167] – بعيني: يعبر بأرق عبارة عن أسفه أن يرى رحيلها ولا حيلة له.

[168] – زَلَّتِ: أي ذهبت، من قولهم زلَّ عمره: ذهب.

[169] – غير مليمة: لم تأتِ بفعلٍ مما يلام عليه. تقلت: تبغضت، والتبغض: مقابل التحبب.

[170] – يعبر عن إعجابه بها لكونها لا يسقط قناعها لشدة حيائها، ولا تكثر التلفت، لأن التلفت فعل أهل الريبة.

[171] – الغبوق: ما يشرب بالعشي، وكانت تهديه لجارتها، أي: تؤثرها به لكرمها. إذا الهدية قلت: أي في زمن الجدب حيث تنفد الأزواد وتذهب الألبان.

تَحُلُّ بِمِنْجَاةٍ مِن اللَّوْمِ بَيْتَها

إذا ما بُيُوتٌ بالمَذَمَّةِ حُلَّتِ[172]

كأَنَّ لها في الأَرضِ نِسْياً تَقُصُّهُ

على أَمِّها، وإِنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ[173]

أُمِيْمةُ لا يُخْزِي نَثَاهَا حَلِيلَها[174]

إذا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وجَلَّتِ[175]

إذا هُوَ أَمْسَى آبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ

مآبَ السَّعيدِ لم يَسَلْ أَيْنَ ظَلَّتِ[176]

---

[172] – المنجاة: مفعلة من النجوة، وهي الارتفاع، أي أنها مترفعة عن اللوم والمذمة.

[173] – النسي: الشيء المفقود المنسي. تقصه: تتبعه. أَمها، بفتح الهمزة: قصدها الذي تقصده. فكأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئا ضاع منها، لا ترفع رأسها ولا تلتفت. تبلت: تنقطع في كلامها ولا تطيله.

[174] – النثا: ما يخبر به عن الرجل من حسن أو سيء، يقال نثا الحديث والخبر: حدث به وأشاعه. حليلها: زوجها.

[175] – القصيدة موجودة كاملة في (ديوان الشنفرى): ثابت بن أوس الأزدي الصفحة 35 الديوان من تقديم واعداد طلال حرب، الذي صدر عن دار صادر عام 1996 بيروت.

[176] – آب: رجع. أي إذا رجع إلى بيته لم يسئل أين ظلت، لأنها لا تبرح بيتها. وفي هذه الأبيات قال الأصمعي: (هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن)

ومما يلفت النظر في هذه القصيدة هو اهتمام الشاعر بالبعدين الزماني والمكاني للحدث، ويتجسد البعد الزماني من بدء لحظة غضب زوجته وقرارها المفاجيء بالرحيل ومغادرة بيتها والبعد المكاني يتجسد في عدم تلفت "أم عمرو" زوجته الحبيبة، وكذلك وقوفها تحت أعناق المطي واستظلالها بها قبل الرحيل، وأيضاً في تذكر مبيته بالمنزل ومعاشرته لها، وكذلك تصويره لأرض المعركة في الأبيات اللاحقة، ومما يلاحظ أيضاً أن الرحيل كان طابعاً لحياة القبائل في العصر الجاهلي، وخصوصا أهل البادية، وكان الرحيل إما أن يسبقه التحضير قبل أيام من موعده، وإما أن يكون مفاجئاً، وهذا الذي حدث عند أم عمرو التي قررت الرحيل على حين غرة دون أن تمهد له ومن دون أي إشعار، بحيث لم تقم بتوديع أحد حتى جيرانها.

نستطيع أن نستخلص من هذه الأبيات الجميلة رقي الأنموذج الأنثوي الذي يتجلى في صورة متكاملة في ثلاث أبعاد:

أولاً: البعد المعنوي والنفسي (السايكولوجي):

نلاحظ أن هذه الأبيات تضج في تصوير الصفات المعنوية والنفسية للمرأة من خلال أنموذج زوجته، فهي محتشمة وقورة طافحة الحياء والخجل، راسخة العفة والسماحة، حسنة التبعل وذات أخلاق تقترب من المثالية، وذات أدب رفيع وشمائل حميدة لدرجة تسمو عن تناول الألسن لها، وقد تجسد ذلك عملياً بعدم سقوط قناعها أثناء مشيتها، وهذا ما كان يبعد عنها النظرات ذات الطابع الشهواني، كما أنها لا تكثر من التلفت لكي تقطع دابر الشبهات ولا تجعل الإفك ينالها، أو الشكوك والطعون تحوم حولها وعليها، وكانت غضيضة الطرف في مسيرها، حتى ليخال الناس أن لها في الأرض شيئاً تبحث فيه، وكانت كما صورها زوجها الشاعر يموت الكلام على شفتيها من شدة حيائها فتوجز في

العرض والطلب وتحرص على سمعتها وعلى سمعة بيتها، متخذة من ضميرها رقيباً ومن قيمها وازعاً يحاسبها ويجنبها الوقوع بالخطأ ويبعدها عن الملامة.

ثانياً: البعد الحسي (الجسمي):

تحدث الشنفرى عن البعد الجسمي بصورة إجمالية مكثفة لكي لا يهتك حشمتها، مضيفاً عناصر جمالية حسية نادرة على شكل حبيبته الفاتنة فيقول:

فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ

فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ[177]

فَبِتْنا كأَنَّ البَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا

برَيْحانةٍ رِيحَتْ عِشاءً وطُلَّتِ[178]

يصف الشنفرى زوجته في هذين البيتين بأنها حسناء لا نظير لها في المواصفات الجمالية، ففي الوقت الذي هي دقيقة الملامح نحيفة القد ممشوقة القوام، فإنها جليلة بهية معظمة متناسقة في أعضاء جسمها في الجمال والبهاء والارتواء، وكذلك كونها مكتنزة في بعض المناطق التي يحبب بها الامتلاء، وهذا ما يجعل القلب يهفو إليها والعين ترغب في الارتواء من النظر إليها، ويزيد الشنفرى الولهان في وصف

[177] – دقت: أي كانت ذات مواصفات دقيقة. اسبكرت: طالت وامتدت. وأكملت: أي لم يكن في نحافتها ما يعيبها، إذ كانت ممتلئة في الأماكن التي تحتاج لذلك.

[178] – حجّر: أحيط. ريحت: أصابتها ريح فجاءت بنسيمها. طلت: أصابها الطل، وهو الندى. وإنما قال (عشاء) لأنه أظهر لرائحة الرياحين.

انبهاره بها بقوله لو كان اكتمال الحسن والجمال مدعاة إلى الجنون لجنت هذه السيدة الحسناء المصونة البهية ذات العرض غير المخدوش، ويذكر أن مجالسة امرأته قد جعلته منتشياً وثملاً في هذه الأجواء الحميمية، حتى لكأن البيت المغلق قد شملته ريحانة معطرة منظراً، ورقة في الحديث، ومفعمة طيباً ورائحة زكية ولطفاً وحناناً، وهذا كله يأتي من باب الكناية، كناية عن طيب ريحها ورقة نفسها وكأن الطبيعة شاركتهما الانتعاش والفرحة. وإذا قيل ما هو السبب وراء ذكر الشنفرى هذه الصورة الجمالية وتلك المحاسن الحسية لزوجته، لاسيما أنه لايريد الاستعراض بعرضه، الجواب هو لتبيان تفردها وتميزها عن سواها، ولكي يعزز الصورة المعنوية الكلية بالبعد الحسي.

ثالثاً: البعد الاجتماعي (السوسيولوجي):

أما على صعيد البعد الاجتماعي فقد استطاع الشاعر أن يرسم صورة زوجته المتحلية بالسلوك الاجتماعي القيمي المتجسد في قيمتي الوفاء والكرم، فالوفاء يقف في مقدمة القيم ذات الأهمية الكبرى في حياة الصعلوك، فهو في بحث مستمر عنه لأنه يوفر له الطمأنينة والاستقرار، لذلك نرى الشنفرى قد ركز على وفاء أميمة زوجته وحبها له في الغياب والحضور، فكانت أهلاً لثقته العامرة واعتزازه الكبير بها، لأنها ترعى عهده وتصون سمعتها وسمعته وتصون كرامته وعرضه وإذا ما آب إليها بعد رحلة أو غارة وقعت عيناه على ما يسعده منها وما يبهجه.

من ناحية ثانية كانت زوجته كريمة مع جاراتها ذات معشر حسن ومعاملة طيبة معهن، وكانت سموحة الخلق تهدي لهن في أوقات الشدة والجدب والقحط فضلاً عن الرخاء ما تحتفظ به في بيتها من زاد أو لبن، وهذا ما يجعل الفضل بعيداً عن الرياء، وهذا هو العطاء الخالي من المنة والتذمم الذي يعكس الكرم بمعناه الحقيقي ويظهر صورة التكافل الاجتماعي السائد في مجتمع الصعاليك، على الرغم مما

كان يعانيه من شظف العيش والفقر المدقع، والكرم في مثل هذه الأحوال لايقف عند حدود المعاني الإجتماعية العادية بل يصبح وسيلة لديمومة الحياة.

ولو تأملنا بعض العبارات في هذه القصيد، على سبيل المثال: (بِعَيْنَيَّ ما أَمْستْ فبَاتتْ فأَصبحت) نجد أن زوجته كانت نزيلة عينيه في كل حالاتها وجميع حركاتها وسكناتها وعلى مدى جميع الأوقات، وقت انصراف النهار وحلول المساء، أو حين يخيم الليل ويحين وقت المبيت، أو عندما يحل الصباح بنوره الذي يشرح النفوس ويبعث على الأمل، وهكذا دواليك دون فتور الحب في قلبه في كل الأحوال، وكذلك قوله: (فَوَاكَبِدَا على أُمَيْمَةَ)، هذه العبارة المخضبة بالإحساس الملتهب، المترعة بالحب المتجذر في الدخيلة العاشقة الذي يفصح عن أرقى وألذ المعاني، فأيّ قلب متحرق هذا الذي ينزف كل هذا الحنين المتقد واللوعة الجذلى والمكابدة المشبوبة؟!!.

قلب شاعر رغم قساوة واقعه ومرارة الظرف الذي يقاسيه، ورغم المخاطر والمهالك التي يعيشها يومياً، ويعانيها تفصيلياً يشهق (وَاكَبِدَا)، علينا أن نتخيل أي حشرجة صاحبت هذه الكلمة حين نطقها أول مرة؟!، وأي أنّة مضمخة بالجراح ندّت منه؟!، وأي آه حرى تهدجت في صدره؟! وأي حسرة ملتاعة تحدرت من قلبه عندما انبجست هذه الكلمة من كبده؟!، بعد هذا نجده بعد خروجه من منطقة المشاعر والأحاسيس الجياشة والتي غالباً تكون في منطقة اللاوعي ودخوله منطقة الوعي يقول: (لقد أَعْجَبَتْنِي)، ترى ماالذي أعجبه في زوجته لحد التصريح به جهاراً؟، لقد كان مبهوراً بعفّتها ونجابتها وكياسة شخصيتها، فهي كما يصفها في القصيدة كانت راجحة العقل متزنة الحركة، كيّسة في كل سلوكياتها، كيف لا، وهي لم تتعمد يوماً إسقاط ما يستر وجهها كي تبدي حسنها وتظهر للناس ملامحها الجميلة جداً، كما أنها لا تتغنج ولا تتلفت، والتلفت حركات تقوم بها بعض النساء لإثارة اهتمام الرجال بها، وكانت رغم حسنها الأخاذ بعيدة عن مثل هذه التصرفات، كي لا تحوم حولها الشبهات

وتكثر الأقاويل، وفي هذا الصدد يقول الأصمعي: (وقد تلقي المرأة خمارها لحسنها وهي على عفة) وعزز قوله بما قاله الشماخ بن ضرار:

بها شَرَقٌ مِن زعفرانٍ وعنبرٍ

أَطارتْ مِن الحُسنِ الرِّداءَ المُحَبَّرا

ومما تقدم نجد أن الشنفرى كان يركز على الأنموذج الأرقى للمرأة، وكان يرسم ببراعة من جانب وإنصاف من جانب آخر ملامح الأنموذج الأنثوي الذي سكن إليه قلبه، واطمأنت قربه روحه المضطربة، هذا الأنموذج حسب رؤيته التي أفصحت عنها هذه القصيدة، دعاه إلى الابتعاد والتخلي عن التعامل الحسي الغريزي الصرف مع المرأة الذي كان شائعاً ومحبذاً في أغلب قصائد العصر الجاهلي، حيث التشبب والتغزل بالجمال الملحوظ للجسد الأنثوي، ومن هنا تجلت الروح المعنوية بشكل لافت للنظر لدى الشنفرى في نقاء التعامل الإنساني مع المرأة واحترامه لكيانها ودورها الإيجابي في الحياة، حيث لم يكن مبالياً بالجمال الحسي سوى ما تتطلبه الضرورة، وصبّ جل اهتمامه بالجمال المعنوي، وقد يكون مردّ هذه العناية المعنوية الواعية لدى الشنفرى في تعاطيه مع الجنس اللطيف حسب اعتقادي، هو ميله اللاشعوري إلى حالة الاستقرار والتوازن التي يفتقدها في خضم حياته المحاطة بالتحديات والمصاعب، في الوقت الذي وجد أن ذلك الاستقرار والتوازن متحقق عنده داخل حياته الزوجية في المنزل، وكان يتحسس هذا الاستقرار ويعرف قيمته وكان يدرك أن مصداقية الاستقرار لا تتحقق وبهاؤه لا يزدهي إلّا في دوحة الأسرة وفي إطار الآصرة الزوجية، لاسيما إذا كانت الزوجة بمستوى من النضج وتحمل المسؤولية والتمتع بالخصال الطيبة كما هي حبيبته وشريكة حياته أميمة – أم عمرو – التي كانت مبعث الطمأنينة والراحة النفسية له.

تجدر الإشارة إلى أن المرأة كانت لها مكانة سامية وحضور متميز في مجتمع الصعاليك المعارضين لنظام القبيلة بشكل عام وليس عند الشنفرى فحسب، وقد ترجمت قصائدهم ذلك بصورة جلية جميلة، وهذا الحضور كان من النوع المختلف عن حضور المرأة في قصائد الشعراء الموالين للقبيلة ونظامها خصوصاً في العصر الجاهلي، وكانت المرأة غائبة في قصائدهم عادة، أو بتعبير أدق لم يكن للمرأة دور في حاضر القصيدة، وإنما كانت تمثل زمناً ماضياً منصرماً، وكانت مجرد ذكرى تمتد عبر الطلل والرسم الدارس إلى حاضر الشاعر، وكان الشاعر الجاهلي يسعى من خلال الأوصاف الحسية للمرأة التي تعكس طبيعة تعامله مع جسدها ومفاتن الجمال فيه، والتي غالباً ما تثير الغرائز إلى استرجاع أو محاولة استرجاع الماضي، لأن رمزية المرأة غالباً ما تكون بعيدة عن الواقع المتاح، في حين أن المرأة في قصائد الصعاليك بشكل عام كانت تعيش أبجديات الحياة بكل تفاصيلها مع شريكها في الشدة والرخاء، في المعاناة والترقب والأمل، فلم تكن تلك الفرعاء المصقولة العوارض، ولا العجزاء التي تمشي الهوينى، ولا تلك التي يقتحم خدرها الشاعر في مغامرة صبيانية للنيل من جسدها، وإنما كانت الحبيبة المرتبطة مع حبيبها برابطة المصير المشترك، وتقاسم معه الحياة حلوها ومرها، وكانت الزوج الملهوفة على زوجها الحافظة لسره، وكانت أيضاً الطرف المحاور الذين يتبادل مع رفيق الدرب الآراء ولايتخلى عنه في الضراء ويعيش معه السراء.

❖ المبحث الرابع:

الغبن التاريخي الذي طال شخص الشنفرى:

لقد عانى الشنفرى من وطأة الغبن طيلة حياته أولاً، فمنذ أن كان طفلاً تمت معاملته كالعبيد وعانى من شظف العيش والظلم والجور إلى نهاية عمرة ومقتله بتلك الصورة الدراماتيكية التي تطرقنا لها، إذ لم

يجد من ينصفه ويتفهم فلسفته في الحياة أبان وجوده فيها، لأن جميع مجايليه وخصوصاً خصومه كانوا يتصورونه فتّاكاً قلّ نظيره، وعدّاءاً منقطع النظير ليس إلّا، لأنهم كانوا يركزون على قدراته الخارقة في القتال وفي العدْو فحسب، ولم يلتفتوا إلى تركيبته النفسية ومنظومته القيمية التي أفصح عنها في تعامله الناضج مع النساء ومع زملائه الصعاليك ومع عموم الفقراء.

لم يتوقف الغبن على مجريات حياته فقط، بل طال سيرته بعد وفاته أيضاً من خلال شيطنته وتضبيب صورته في الأذهان وعدم إبراز الجوانب المشرقة في شخصيته، وقد تمادى الغبن لحد عدم الاهتمام العلمي الأكاديمي بحياته التي تمت روايتها بروايات يشوبها التناقض، فهل من المعقول أن جميع الباحثين الذين عنوا بسيرته لم يستطيعوا تحقيق نسبه بشكل علمي قاطع؟!، بدلاً من التخبط بتلك الروايات التي يعتريها التباين، وبدلاً من التفاوت في سرد الأحداث، ومن الغريب أنه لم يتم البت بهوية الشنفرى، واسمه الحقيقي وتفاصيل حياته الحقيقية، وبدلاً من البحث العلمي في هذه المعلومات تم الاكتفاء بالسرد على الطريقة الحكواتية والاقتناع ببعض الخزعبلات، من قبيل أنه قتل تسع وتسعين رجلاً من بني سلامان وعز عليه إتمام المائة حتى تم قتله وبعد مرور سنتين على موته جاء أحد السلامانيين ليعبث بجمجمته ويركلها بقدمه فيدخل عظم منها في قدمه فيموت فيكتمل بذلك العدد المائة، فهل من المعقول أن تبقى هذه الرواية الدراماتيكية دون أن يتم بحثها بشكل علمي ودون مراجعتها وتنقيحها بشكل حصيف؟ ومن ثم أين إحكام العقل والمنطق في مثل هذه الروايات المهلهلة البناء، القابلة للدحض من خلال عدم وجود الدليل العلمي القاطع عليها؟

من المؤكد أنه ليس كل خبر ورد في كتب الأخبار وسير الأعلام يمكن قبوله على عواهنه، فكثير من الأخبار يأبى العقل الرضوخ إلى تصديقها، إذا لم تتوفر القرائن على صحتها ولم تخضع لقانون المنطق

ولم يتم تمحيصها وتحليلها وتدقيقها، وبداهة يمكن لأي باحث أن يتوقف عند هكذا أخبار مهلهلة ويؤشر ضعفها إذا لم تتوفر لديه أدلة لدحضها أو إثباتها بشكل معقول.

أين الحقائق الكبرى في حياة الشنفرى؟ وهل من المعقول أن يختلف العرب بنسبه، واسمه، ومكان ولادته، ونشأته، وحتى لقبه؟، هل يعقل أن يبقى تاريخ ولادته وتاريخ مقتله مبهماً؟ ومن ثم هل من المعقول أن لا يحسم عرقه أعربيّ الأم والأب أم هناك عرق زنجي من جهة أمه أو أم أمه؟! وبعد ذلك هل عاش طفولته أسيراً أم حراً؟ وهل هو أزدي من قبيلة سلامان أم من قبيلة زهران؟ وكم كان عمره بالضبط حينما قُتل أبوه؟ وما اسم أبيه تحديداً وما اسم أمه؟ وأيّ من الروايات المتباينة التي تناولت حياته هي الأدق؟ ثم لماذا كل هذه الإبهامات التي تحوم حوله؟، إضافة إلى أسئلة كثيرة وكثيرة تحوم حول كل جزئية تخص حياة الشنفرى، في الوقت الذي لم يختلف المؤرخون في سرد تفاصيل حياة شعراء آخرين من مجايليه على سبيل المثال لا الحصر الشاعر امرىء القيس ناهيك عن شعراء آخرين ممن كانوا منسجمين مع البنية القبلية للمجتمع ولم يخرجوا عنها، وهذا يدل على مقدار العجز في تثبيت الحقائق وإقرار الوقائع، ما جعل من السهل بمكان حبك الأساطير والأباطيل الأخرى المثيرة لفضول القاري أو السامع بالأسلوب الحكواتي المسطح دون مراعاة النقل التاريخي العلمي، كسعة خطواته الجبارة التي تقارب العشرين متراً، بحيث لا تلحق به النجيبات من الجياد وتعجز عن سبقه الخيول الأصيلة، لكي تتناسب تلك الحكايا مع ما ضربوه من الأمثال مثل: "أعدى من الشنفرى" أو "أوفى من الشنفرى".

وهذا الأمر يعود حسب اعتقادي إلى ضعف المنهجية التي كان يعتمدها الإخباريون العرب في نقل الأخبار وتدوينها، دون مراعاة الأمانة والدقة في النقل، فتحمل في طياتها ما هو غث وسمين وتحتمل الكذب والمبالغة والحشو والإغراق من أجل إلفات النظر والترويج لبضاعتهم كي يتم قبولها وتلاقفها،

إضافة إلى طبيعة أهدافهم ذات الهم المتدني الذي لا يتعدى التكسب المتدني بوسائل غير نزيهة أو الحصول على الشهرة السريعة بغير وجه حق، وقد سلط كتاب (تاريخ آداب العرب)[179]الضوء على هذه الجزئية بما نصه: "ومنهم قوم جعلوا الأخبار علمهم، فتميزوا بها ودوّنوا فيها الكتب الكثيرة المفننة، فهم يكذبون مبالغة في الإغراق، ورغبة في الاجتلاب والحشد، لأن ذلك لايطّرد لهم إلّا بالتزيُّد، وهؤلاء هم الذين كتبوا في تاريخ العرب وأخبارهم وأسمارهم ومناقبهم ومثالبهم وأيامهم في الجاهلية ونحو ذلك، وقد سموهم (الإخباريّين)، لأنهم لم يكونوا يعرفون من معنى (التاريخ والمؤرخ) إلّا التوقيت".

لم يذكر لنا أحد المؤرخين أو المتخصصين في تاريخ الأدب كيف استطاع الشنفرى الحصول على ثقافته وتوصلاته الفلسفية التي بثها في قصائده؟ ومن أين جاء حرصه على مكارم الأخلاق وتمسكه بالأخلاق الرفيعة؟ وما سر تحلّيه بهذه الدرجة العالية بالصفات الكريمة والشمائل الحميدة منها الصبر والجلد والعفة ورباطة الجأش؟، ثم لماذا لم يهتم الباحثون بمثل هذه التساؤلات المهمة، بدل اهتمامهم بتعداد قتلاه التسعة والتسعين رجلاً دون أن يتمهم بالمائة إلاّ بعد سنتين على وفاته، مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الأساطير التي تنسج باستخدام الرقم تسعة وتسعين. وبالنسبة لي أجد أنه من الضرورة بمكان إعادة النظر بكل هذه التفاصيل وضرورة قراءتها قراءة علمية أكاديمية بالاستناد إلى الأدلة التاريخية الموثوقة.

[179] – كتاب (تاريخ آداب العرب)، تأليف: محمد صادق الرافعي، الجزء الثامن الصفحة 322.

الغبن الآخر الذي لحق الشنفرى كشاعر هو تصنيفه في كتب "طبقات الشعراء"[180]ضمن شعراء الطبقة الثانية في العصر الجاهلي، وإن كان هذا التصنيف الجائر بحقه يتم تقويته دائماً من خلال إضافة وصف كونه من فحول الطبقة الثانية من الشعراء، ومن خلال قراءتي المتأنية لشعر الشنفرى وتحليلي له، ومتابعتي للشروح الكثيرة على شعره، وكذلك لتشكيكي في المعايير المعتمدة في تصنيف الشعراء إلى طبقات، أجد أن الشنفرى كشاعر يستحق أن يصطف مع شعراء الطبقة الأولى من شعراء العصر الجاهلي بكل جدارة واستحقاق، وتكفي قصيدة "لامية العرب" كي تضعه في المكان الذي يستحقه، ولست بهذا متطفلاً على العلماء الأعلام الذين وضعوا هذه المصنفات وأقصد كتب (طبقات الشعراء) وفي مقدمتهم ابن سلام الجمحي[181].

❖ المبحث الخامس:

تفنيد فكرة انتحال لاميّة العرب

إن الغبن الذي طال الشنفرى لم يتوقف على تفاصيل حياته، وإنما تعداه إلى نتاجه الإبداعي من خلال تطاول بعض الرواة على تراثه عندما نسبوا ملحمته الخالدة "لاميّة العرب" لغيره وقالوا أنها منحولة عليه، ومن خلال ذلك تم التشكيك في نسبتها وعائديتها له، وتم تجييرها لصالح خلف الأحمر، وقد

---

[180] – صنف العرب الشعراء حسب قوة إبداعهم وجدارتهم إلى عدة طبقات، فظهر أكثر من كتاب في كتب التراث الأدبي العربي تحت عنوان (طبقات الشعراء) لأكثر من مؤلف وبعصور مختلفة، أشهرهم: ابن سلام الجمحي، وابن المعتز، وابن قتيبة.

[181] – هو محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري، ولد عام 139هـ في مدينة البصرة، وقدم إلى بغداد سنة 222 هجرية، يعد من أهم أهل الأدب، وكان راوياً ومُخبِراً، ونحوياً سليم اللسان، وأحد أكبر الشعراء المشهوين، وله العديد من الكتب المهمة منها كتاب الفاضل في الأخبار ومحاسن الشعراء، كتاب نسب قريش وبيوتات العرب، طبقات شعراء الجاهلية، طبقات شعراء الإسلام، والجلايب وإجراء الخيل إضافة إلى كتاب طبقات النحويين واللغويين، توفي في بغداد عام 232 هجرية.

عرف عن خلف أنه راوية وعلّامة بأيام وأخبار العرب إضافة إلى كونه لغوي ونحوي وشاعر مفلق[182]من الطبقة الثانية لشعراء العصر العباسي، العصر الذي اتسم بروحه المدنية وارتقائه الحضاري وانفتاحه على ثقافات وآداب الأمم الأخرى، وهو بذلك بعيد كل البعد عن الأجواء والمناخات الصحراوية، وتفاصيل الحياة البدوية التي صورتها قصيدة "لامية العرب" بإجادة تامة.

وإذا كان بالإمكان على سبيل الفرض انتحال نص معين كأن يكون قصيدة بكاملها أو إضافة بعض الأبيات إليها أو إخراج بعض آخر منها بطريقة غير شرعية، فهل يمكن انتحال عصر بكامله وبكل معطياته وخصوصية نمطه بالتعبير، وسحبه إلى عصر آخر ذي معطيات مغايرة ونمط تعبيري مختلف؟، في الواقع إن كل حركة وسكنة وكل جزئية في لاميّة العرب تفصح بشكل قوي لا يقبل اللبس عن أخلاقيات العصر الجاهلي ونمطه التعبيري، ومزاجه اللغوي والبلاغي، والقيم والأعراف السائدة فيه، وما يتسم به من طابع البداوة، وهذا بحد ذاته يبعد عنها تهمة الانتحال التي يتكئ جميع من نادى بها على مصدر واحد هو كتاب "الأمالي" للشيخ أبي علي القالي الذي روى فيه عن شيخه ابن دريد[183]على أنها لخلف الأحمر.

---

[182] – تذكر المصادر أن خلف الأحمر وكذلك نظيره حماد الراوية قد بلغا من التمكن أنهما اختلقا أشعارًا ونسباها للقدماء، وهو ما يُعرف في الأدب بالوضع والانتحال.و كانا يهدفان بذلك الحصول على عطايا الخلفاء.

[183] – هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد في البصرة في خلافة المعتصم عام 223 هجرية وكان أبوه وجيهاً من وجهاء البصرة، وقرأ ابن دريد على علمائها وعلى عمه "الحسين بن دريد"، وعند ظهور الزنج في البصرة أنتقل مع عمه إلى عُمان وذلك في شهر شوال عام 257 هجرية، وأقام فيها اثنتي عشرة عاماً، ثم رجع إلى البصرة وأقام فيها زمناً، ثم خرج إلى الأحواز وقد ولاه الخليفة المقتدر العباسي أعمال الأحواز، ودخل ابن دريد بغداد شيخاً سنة 308 هجرية وأقام بها حتى وفاته سنة 321 هجرية.

وهناك حقيقة دامغة غفل عنها الكثير من الباحثين، هي أن الشيخ أبا علي عبد القادر القالي نفسه قد دحض رواية النحل هذه، وعاد ونسب اللاميّة إلى الشنفرى وكذلك على لسان أستاذه ابن دريد، وذلك في كتابه النوادر[184] والذي كان قد كتبه بعد كتاب الأمالي، وبهذا الصدد يؤكد الدكتور عبد اللطيف الطائي في كتابه الموسوم إشكالية الرواية والرواة (دراسة في الشعر العربي قبل الإسلام): "إن رأي أبي علي القالي المعمول عليه هو الأخير، وليس الأول – إذا صح الرأي الأول للقالي – وبذلك يكون خبر الأمالي موضوعاً عليه".[185]

ويؤكد الدكتور الطائي في كتابه المذكور وفي نفس الصفحة على حقيقة مهمة هي أن كتاب الأمالي كتب من قبل تلاميذ أبي علي القالي وليس بخط يده، علماً أن الأمالي هو من كتابة تلامذته، ولو رجعنا إلى مفردة "الأمالي" اسم الكتاب المذكور فهي جمع مفردة "أُملية" وتعني أقوال وملخصات ما يمليه الشيخ لتلاميذه، وهناك كتب أمالي كثيرة في التراث العربي بأسماء علماء كثر تتوزع على اختصاصات مختلفة، وكتاب "النوادر" كتبه القالي بخط يده، وما يؤخذ من الرجل من فمه أو بخط يده، وبطريق مباشر أصدق مما يؤخذ من غيره، وبطريق غير مباشر، وإذا لم نقر بعدم دقة الأمالي، ونقول أن القالي قد أملى ذلك حقاً لتلاميذه، فإنه لابد وقد حدثتْ أشبه بصحوة ضمير عند القالي في أواخر عمره، فصحح ما أملاه سابقاً، وعاد فنسب اللاميّة للشنفرى، ولم يقل صنعها خلف الأحمر.

---

184 – كتاب خطه الشيخ أبو علي القالي بيده ولم يمله لتلامذته على طريقة كتاب الأمالي إلّا أنه يلحق دائماً هو وذيل الأمالي بكتاب واحد تعرف بمجموعها بكتاب "الأمالي" ولم أعثر على نسخة مستقلة لكتاب النوادر.

185 – كتاب إشكالية الرواية والرواة (دراسة في الشعر العربي قبل الإسلام) تأليف الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي، الصادر عن دار الكتب العلمية للنشر الصفحة 184.

لقد حظي كتاب النوادر لأبي علي القادر باهتمام واحترام العلماء على مر العصور وقد ذكر ذلك الحميدي[186]في كتابه (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس)[187]ما يلي: "قال لنا أبو محمد علي بن أحمد – يعني ابن حزم –، وقد ذكر كتاب أبي علي المسمى بالنوادر في الأخبار والأشعار، فقال: وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه أبو العباس المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعراً."، هذا بالإضافة إلى ما جاء من توكيد نسبة لاميّة العرب للشنفرى من قبل عشرات الكتب التي تخصصت بشرحها وإعرابها، وكذلك ما جاء في كتب النحو والأدب التي نستشهد بها تجمع على نسبتها للشنفرى ناهيك عن العديد من المستشرقين الذين اهتموا بها ولم يترددوا في نسبتها للشنفرى، وخصوصاً المستشرق الألماني جورج ياكوب الذي أطلق عليها اسم "نشيد الصحراء" كما مر في مبحث سابق.

ويمكننا الاستئناس بما أورده الدكتور إميل بديع يعقوب في تحقيقه لديوان الشنفرى من أسباب تؤكد نسبة اللاميّة للشنفرى بشكل صارخ يفحم كل من شكك بعائديتها ومن هذه الأسباب:

- كثرة العلماء القدامى والمحدثين الذين نسبوا اللاميّة للشنفرى.
- تصوير اللامية للبيئة العربية الصحراوية القاحلة.
- اللامية جاهلية العواطف والقالب.
- ورود اسم "الشنفرى" في القصيدة في البيت التالي:

---

[186] – هو أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَميدي ولد عام 420 هجرية وتوفى عام 488 هجرية، تلميذ بن حزم الأندلسي، وكان موصوفا بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع.

[187] – كتاب: (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) تأليف: محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، تحقيق: بشار عواد معروف – محمد بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: 1429 – 2008 الجزء الأول الصفحة 60.

فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ

لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ

- **إبدال "مفاعلن" الأولى أو الثالثة من البحر الطويل بـ "فاعيلن"، وهو جواز لا نجده في الشعر الإسلامي لتحولهم عن طريقة الجاهليين في الإنشاد.**
- **عدم التصريع في البيت الأول منها، وهذا ما يعزز كون هذه القصيدة من قصلئد الشعر الجاهلي القديمة.**

❖ **المبحث السادس:**

الخلط بين شعر الشنفرى وشعر تأبّط شرّاً:

من الإشكاليات الفادحة التي وقع بها بعض المؤرخين والرواة هي مسألة الخلط بين شخصية الشنفرى وشخصية تأبط شراً وشمل الخلط في بعض الأحيان نتاجيهما الشعري، كما حصل عند حماد الراوية وخلف الأحمر اللذين لم يتمكنا من الفرز الواضح بين شعر الشنفرى وشعر تأبط شرّاً، على الرغم من تباين الأسلوب لديهما ووجود ميزات خاصة في القدرات الإبداعية واللغة الشعرية لكل واحد منهما، والإشكالية الأكبر أن هناك من دمجهما ببعض وزعم أنهما شخصية واحدة، وهذا بطلان بيّن وخبط عشواء في الحقائق التاريخية.

هناك حدود وملامح واضحة لكلا الشخصيتين، وهناك بون شاسع بين تفاصيل حياة كل من الشنفرى وحياة تأبط شراً، على الرغم من وجود قواسم مشتركة كثيرة تخص البيئة والانتماء لحركة الصعاليك، وصلة القربى والصداقة المستحكمة بينهما، وبعض الصفات المشتركة بينهما كالسرعة في الجري، وإن

كانت كتب السير قد حملت لنا الكثير من الأخبار والقصص الخاصة عن كل واحد منهما، كما أن لكل واحد منهما أسلوبه المتميز في الشعر.

توجد صلة القربى بين الشنفرى وتأبط شراً من جهة الأم وقد ذكرت الكثير من المصادر أن أم الشنفرى هي أخت تأبط شراً، أي أن الثاني خال الأول، وهذا يدلل على أنها عربية الأرومة، ويعود نسبها إلى بني سعد بن فهم، قبيلة تأبط شراً، وهذه الجزئية بحاجة إلى بحث عميق وتحقيق وتدقيق مناسبين، وذلك لوجود التضارب البيّن في أقوال الباحثين، ومما زاد الطين بلة، هو أن الشنفرى ذاته قد ساهم في تضبيب الرؤية من خلال ما جاء في شعره من وصفه لأمه بأنها "ابنة الأحرار" وكأنه كان يريد أن ينفي عن أمه عرقها الحبشي وإن كانت أمة، وذلك كما جاء في البيت الذي مر ذكره سابقاً عندما صفعته الفتاة السلامانية حيث قال:

أنا ابنُ خِيارِ الحِجْرِ بيتاً ومَنْصباً

وأُمّي ابنةُ الأحرارِ لو تَعْرِفينها

والعرب في الجاهلية ينعتون الفرس بالأحرار وهذا رأي ضعيف السند، وإن ما يؤكد عروبتها ما قاله ابن حزم[188]في جمهرته[189]أن أمه من بني سعد بن فهم وأنهم أخوال الشنفرى، ولكن دون أن يذكر كونها أخت تأبط شراً تحديداً، ورغم قوة هذا السند إلّا أن حالة من التخبط حول نسبه تظل قائمة، لاسيما أن كثيراً من الروايات تصر على أن الشنفرى من أغربة العرب، وهذا التصنيف فيه إشارة على أن أمه أمة سوداء حبشية، ولكن يمكن الجمع بين هذه الروايات المتباينة إذا اعتبرنا أن نسب أمه عربي كما ذكرنا وأنها أمة في نفس الوقت، لأن المرأة إذا استعبدت في العصر الجاهلي تنعت بأنها أمة، بصرف النظر إذا كانت عربية أو أعجمية، بيضاء أم سوداء، حبشية أم فارسية، ويصح كذلك أن تنعت أمة إذا كانت إحدى أمهاتها قد استعبدت من قبل، وهذا يؤكد أنه خِلاسي[190]أو أمه خلاسية، عموماً يوجد هناك ضعة في نسب أم الشنفرى من جهة أمها، لأن كثيراً من المصادر تشير إلى أن أم تأبط شراً حبشية وبالتالي فهي نفسها جدة الشنفرى لأمه.

هناك الكثير من الكتب التراثية اعتنت بسيرة كل من الشنفرى وتأبط شراً كلاً على انفراد، وذكرت قصصهم بشكل واضح وجلي مع الإشارة إلى قرب الشخصيتين من بعضهما البعض، وفي نفس الوقت

---

[188] – هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، ولد في قرطبة في 30 رمضان عام 384 هجرية الموافق لـ 7 تشرين الثاني 994 ميلادية، أديب كبير ومتكلم وشاعر ونسابة وعالم برجال الحديث وناقد محلل، وقد وصفه البعض بالفيلسوف كما أنه من أوائل من قال بكروية الأرض، وهو من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، توفي قرطبة في 28 شعبان عام 456 هجرية الموافق لـ 15 آب عام 1064 ميلادية.

[189] – كتاب (جمهرة أنساب العرب)، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1403/ 1983.

[190] – الخِلاَسيُّ: وَلَدٌ خلاَسِيّ: أي وُلِدَ بيْنَ أَبويْنِ أَبيَضَ وأَسْوَد.

هناك بعض كتب التاريخ والأخبار فيها الكثير من القصص التي تجمع الشنفرى مع تأبط شراً، منها القصة التي أوردها زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه الموسوم بـ "آثار البلاد وأخبار العباد" عندما أسرت بجيلة[191]تأبط شراً، واحتال عليهم حيلة عجيبة، وذاك أن تأبط شراً وعمرو بن براق والشنفرى خرجوا يريدون بجيلة، فبدرت بهم بجيلة فابتدر ستة عشر غلاماً من سرعانهم وقعدوا على ماء لهم، وأنذر تأبط شراً بخروج القوم لطلبه، فشاور صاحبيه فرجعوا إلى قلة هذا الجبل (جبل الحديد) وإنه شاهق مشمخر، وأقاموا حتى يضجر القوم وينصرفوا.. إلى نهاية القصة والغرض من ذكرها هو أن الشنفرى وتأبط شراً كانا قريبين من بعض وقد اشتركا بكثير من الصفات وجمعتهما الكثير من المواقف.

ومن طرائف تأبط شراً ما ذكره ابن حمدون في التذكرة الحمدونية: أن ثابت بن جابر الشاعر المعروف بتأبط شراً لقي ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له أبو وهب، وكان أبو وهب جباناً أهوج، وعليه حلة جيدة، فقال أبو وهب لتأبط شراً: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دميم ضئيل!!؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ألقى الرجل: أنا تأبط شراً، فينخلع قلبه، حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقفي: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبتاعه؟ قال: بهذه الحلة وكنيتي، قال: إفعل، ففعل، وقال له: لك اسمي، ولي اسمك، وأخذ حلته، وأعطاه طمريه، ثم انصرف، وقال في ذلك أبياتاً يخاطب بها زوجة الثقفي قائلاً:

أَلا هَل أَتى الحَسناءَ أنَّ حَليلَهَا

[191] – قبيلة بجيلة الأنمارية القحطانية وبعض المصادر تنسبها إلى عدنان. من أشهر بطون قبيلة بجيلة هم بنو مالك، وبجيلة هي بنت صعب بن علي بن سعد العشيرة، امرأة تزوّجها أنمار فولدت له أولاداً أطلق عليهم اسم أمهم، منهم: عبقر، وصُهَيبة، والغَوث، وأشهل، وطريف.

تَأَبَّطَ شَرًّا وَاكْتَنَيْتُ أَبَا وَهْبِ

فَهَبْهُ تَسَمَّى اسْمِي وَسَمَّانِي باسْمِهِ

فَأَيْنَ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الخَطْبِ

وأينَ لهُ بأسٌ كبأسي وَسَورَتِي

وأينَ لَهُ في كُلِّ فَادِحةٍ قَلبِي

وقد مدح تأبط شراً نفسه في بعض قصائده منها قوله:

سَبّاقُ عاديةٍ، فكّاكُ عانيةٍ

قَطّاعُ أوديةٍ، جَوّابُ آفاقِ

إضافة إلى قصص وطرائف كثيرة لكل من الشخصيتين، وباعتقادي إن الخلط بين الشخصيتين في الوقت الذي كانا علمين معروفين في عصرهما، إما يدل على ضعف الدراية وعدم التحقق من الأخبار من قبل الباحثين، أو يراد به تضبيب الرؤية وتعمية الأبصار من باب خلط الأوراق كاحتمال يفضي إلى الحط من مكانة التاريخ الأدبي العربي.

من المعروف أن تأبط شراً كان أكبر سناً من الشنفرى، وقد مارس الصعلكة وعرف مزاغلها، وكان الشنفرى لازال غضاً غريراً، وبعد مقتل أبي الشنفرى اضطرت والدته إلى الارتحال به وبأخ له أصغر منه من قبيلتها بعدما يأست منها بأخذ الثأر لزوجها، وقد جاورت قبيلة فهم، غير أن الشنفرى لم يستطع أن ينسجم مع أحد في المكان الجديد وفق تفاصيل الروايات التي مرت، فالتحق بخاله تأبط

شراً ولازمه وكان الخال خير معلم لابن أخته الذي أخذ عنه فنون الصعلكة فأتقنها وبرع بها وذاع صيته، فكانا متشابهان في كثير من الخصائل لتوافق العوامل البيئية والمكتسبة، وقد بقيا قريبين من بعضهما البعض طيلة حياة الشنفرى إلى أن قتل، فرثاه خاله ورفيق رحلته الحياتية تأبط شراً بقصيدة جميلة أشاد فيها ببطولاته وشجاعته الفائقة وصفاته النادرة بقوله:

على الشَّنْفَرَى ساري الغمام ورائحٌ

غزيرُ الكُلى وَصَيِّبُ الماء باكرُ

عليكَ جَزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبَا

وقَد أُرعِفتْ مِنكَ السُّيوفُ البواترُ

لئن ضحكت منك الإماء لقد بكتْ

عليك فأعولنَ النســاءُ الحرائرُ

ويومِكَ يوم العَيْكَتَيْن وعطفةٍ

عطفْتَ وقد مَسَّ القلُوبَ الحناجِرُ

تُجيلُ سِلاحَ الموتِ فيهِم كأنّهُمْ

لِشوْكتكَ الحُدّى ضَئينٌ نوَافرُ[192]

[192] – الحُدّى: البتّارة

وطعنةِ خَلسٍ قد طعنتَ مُرِشّةٍ

لَهَا نفَذٌ تَضِلُّ فيها المسَابِرُ

يظلُّ لها الآسِي أمِيماً كأنّهُ

نزيفٌ هرَاقتْ لُبّهُ الخَمرُ سَاكرُ[193]

فإنَّكَ لو لاقَيتني بَعدمَا تَرى

وهَل يُلقَيْن مَنْ غَيَّبته المقابرُ؟[194]

لألفيتني في غارةٍ أنتمي بها

إليكَ وإمّا راجعاً أنا ثائِرُ

وإن تكُ مأْسوراً وظلْتْ مُخَيِّماً

وأبْليتَ حتى ما يكيدك واتِرُ

وحتى رماكَ الشَّيْبُ في الرأسِ عانساً

---

[193] – الأمِيم: الهاذي بالأمر، هراقت: أراقت، مثل مهراقة بمعنى مراقة وهي لغة من لغات العرب.

[194] – الاستفهام في مثل هذا الموضع لغة الموجوعين بالفقد على اختلاف أزمانهم، وعادة ما يكونوا يسهُون في خضم حزنهم ويحدثونهم كما يحدثون الأحياء، ثم يطلبون منهم العودة ليروا بأي حال تركوهم، ثم يأتي الاستفهام المنفي الإجابة دائما بطرق مختلفة عند كل شاعر أو راثي.

وخيرُك مبسوطٌ وزادك حَاضرُ[195]

وأجملُ موتِ المرء إذ كانَ ميّتاً

ولا بدَّ يوماً مَوتُه وهو صَابرُ

فلا يَبعَدنّ الشَّنْفَري وسِلاحُه

الْحَديدُ وَشدَّ خَطْوُه متواترُ[196]

إذا راع رَوْعُ الموت راعَ وإن حَمَى

حَمَى معه حُرٌّ كريم مُصابِرُ

هذه القصيدة محققة ويجمع عليها معظم المؤرخين، وهي توثق أن الشنفرى قد قتل قبل خاله تأبط شراً فرثاه بها، ولكن التناقض في الأخبار أبى إلّا أن يسجل حضوره في هذه الجزئية، فذهب البعض إلى ذكر أبيات للشنفرى يقولون أنها في رثاء خاله تأبط شراً في حين أن الحقيقة التاريخية تثبت العكس، ومن هذه الأبيات:

[195] – يشيد تأبط شراً بكرم الشنفرى وسخائه وهو ما لتشير إليه المصادر.

[196] – لايبعدنّ: دعاء من أدعية الجاهلية يطلق على كل مفارق بسبب الموت أو السفر بداعي رغبة البقاء في الأهل أو بقاء ذكره فلا ينسوه، متواتر: متتابع .

حَلَّتِ الخَمرُ وكانَت حَرَاماً[197]

وَبِلأيٍ ما أَلَمَّت تَحِلُّ

فاسقِنيها يا سَوادَ بنَ عَمرو

إِنَّ جِسمي بَعدَ خالِي لَخَلُّ

ولكن مما يعضد الحقيقة التاريخية الدامغة هو الذي قتل قبل مقتل خاله تأبط شراً أن هناك العديد من العلماء والباحثين من القدامى والمعاصرين قد بتوا بشكل قاطع في هذه الجزئية وسعوا لإزالةاللبس فيها، على سبيل المثال لا الحصر من القدامي الشريف المرتضى[198]في أماليه كتابه الموسوم بـ (أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد)، ومن المعاصرين العلامة محمود شكري الآلوسي البغدادي[199]في كتابه الموسوم (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) الذي حققه تلميذه العلّامة الكبير محمد بهجة

---

[197] – كان العرب يحرمون الخمر على أنفسهم مدة طلبهم للثأر لأنه يشغلهم عن تحقيق هدفهم المنشود ويبعدهم عن المروءة ومكارم الأخلاق.

[198] – هو علي بن حسين بن موسى المعروف بالشريف المرتضى ولد في بغداد عام 355 هجرية الموافق لعام 966 ميلادية، عالم إمامي وأخوه الشاعر الكبير الشريف الرضي، توفى عام 436 هجرية الموافق لعام 1044 ميلادية.

[199] – محمود شكري ابن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي، أديب ومؤرخ عراقي كبير، ولد في بغداد عام 1273 هجرية الموافق لعام 1856 ميلادية، أحد العلماء الأعلام لأهل السنة في العراق ورئيس حركة التصحيح البغدادية ويعد من أهم الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي.

الأثري[200]، وآخرين غيرهم أكدوا جميعاً على أن نسبة هذه الأبيات للشنفرى غير صحيحة، وبرأيي أن اللغة الشعرية لهذه الأبيات لا تجاري اللغة الفخمة المعهودة التي تميز بها الشنفرى، وشخصية قائل هذه الأبيات لا تمت بصلة إلى شخصية الشنفرى لا من قريب ولا من بعيد، كما أن الشنفرى حسب أغلب المصادر قُتل قبل خاله، وقصيدة رثاء تأبط شراً للشنفرى أشهر من هذه الأبيات وأوثق وقد رواها الكثير منهم أبو فرج الأصبهاني والأنباري.

* * *

[200] – محمد بهجة الأثري كاتب موسوعي وعالم لغة عربية عراقي ولد في بغداد عام 1904 ميلادية توسع في أبحاثه وكتاباته في مجالات عديدة كالتاريخ والعلوم الإسلامية وعلوم اللغة والأدب، رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو في مجمع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق، والأردن، توفي في بغداد عام 1996 ميلادية

الفَصْلُ الخَامِس

بَعْضُ سِمَاتِ شِعْرِ الصَّعَالِيك

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأوّل: البنية النمطية للقصيدة الجاهلية**
- **المبحث الثاني: تلازم البعد الاجتماعي والإبداعي في حركة الصعاليك**
- **المبحث الثالث: ملامح شعر الصعاليك**
- **المبحث الرابع: الشخصانية في شعر الصعاليك**

❖ المبحث الأوّل:

البنية النمطية للقصيدة الجاهلية:

المعنى اللغوي لكلمة "بِنية" بكسر الباء كما ورد في معظم معاجم اللغة العربية، هو قوام الشيء وتركيبه، فحينما نقول: شخص ذو بنية قوية: أي أن وضعه الصحي سليم وتركيبته قوية، أما في مفاهيم النقد الأدبي الحديث فقد باتت تعني صفات وخصائص القصيدة الناجزة، أو أي فعل إبداعي آخر كالقصة القصيرة أو الرواية أو المسرحية من خلال المكونات الأساسية لها التي ترتبط عادة مع بعض بوشائج وعلاقات، ومن خلال التمعن والتمحيص في المعاجم اللغوية يمكننا استخلاص دلالتين عامتين للبناء: الأولى تدل على الشيء المنجز، والمتحقق في الوجود، ويمكننا جمعه بمفردة أبنية،[201] وبهذا الفهم الأولي يقترب مفهوم البناء من مفهوم البنية التي أحد تعريفاتها: (المنظومة ذات العناصر المتفاعلة، حيث كل عنصر يؤدي وظيفة داخل المنظومة، وتحدد قيمته بهذه الوظيفه)،[202] في حين أن الدلالة الثانية لمفهوم البناء تحيلنا إلى معنى إجرائي، يقودنا معناه إلى اعتباره توصيفاً لعملية خلق النص وإنشائه، ومستلزمات صناعته.[203] وتجدر الإشار إلى وجود دراسات كثيرة تناولت بنية القصيدة الجاهلية وصفاً وتحليلاً واستقراءاً، وإن الذي لفت الانتباه لذلك هو كثرة الحديث عن الوحدة العضوية لهذه القصيدة.

---

[201] – كتاب (الادب وفنونه) تأليف الدكتور محمد مندور، الصادر عن دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثانية.

[202] – كتاب (البناء الفني للقصيدة العربية) تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الصادر عن مكتبة القاهرة.

[203] – كتاب (البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية) تأليف الدكتور سعيد حسون العنبكي، الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد، الطبغة الأولى عام 2008 م.

إن البنية في النقد الحديث مصطلح يحيلنا مضمونه إلى المعنى الإجرائي، الذي يعني التكوين والخلق، وقد زاد اهتمام النقاد المعاصرين بدراسة بنية القصيدة الحديثة مركزين في دراساتهم على عمليات الإنشاء والتكوين في بعدها الداخلي، وذلك يعود إلى تراصفهم مع ما يجب أن يكون عليه المضمون الجديد أولاً من حيث الأهمية، أكثر من المنجز الشكلي التقليدي في بناء القصيدة، وكما أن الأدباء عموماً والشعراء على وجه الخصوص قد سئموا الأشكال البنائية الجاهزة والقوالب الجامدة، ونزعوا نحو الحرية والانعتاق من القديم المستهلك، وسعوا إلى إبتكار أشكال حداثوية جديدة، والنقاد كذلك عزفوا بدورهم عن التعامل والتفاعل مع ماهو ستاتسكي؟ غير فاعل في العملية الإبداعية، ومن هنا حصل التوافق بالفهم على العناصر التكوينية الإبداعية للعمل الأدبي بشكل عام والشعري بشكل خاص التي ترتكز على المكونات الداخلية للنص، وأصبح بداهة أن البناء الداخلي هو المطلب العصري الأكثر ضرورة.

لقد أكثر النقّاد الأدبيين الغربيين المعاصرين وكذلك النقّاد في ساحة الأدب العربي من تشبيه القصيدة بالكائن الحي، وهو تشبيه جميل لاغبار عليه لأنه يستبطن دلالات عدة تسهم في فهم القصيدة فهماً صحيحاً، وإن كان الحاتمي[204]قد سبقهم إلى هذا التشبيه، وعزز مفهوم البعد الحياتي بالبعد الواقعي المنطقي بغية تقريب الفهم، وإظهار المعنى بشكل جلي في صورة مرئية، حينما اعتبر أن هذه الحيوية التي تنزع نحو التكامل، هي مقياسٌ لجودة القصيدة. ويمكننا أن نعدّ آراء الحاتمي حول القصيدة العربية

---

[204] – أبو علي محمد بن الحسن المُظفّر الملقب بالحاتمي نسبةً إلى أحد أجداده، وهو كاتب وشاعر عربي عاش في العصر العباسي، ولد في بغداد عام 310 هجرية الموافق لعام 922 ميلادية، التقى الحاتمي بأبي الطيب المتنبي في بغداد، وناظره في معاني شعره، وألّف بعدها رسالةً يعقد فيها مقارنةً بين معاني أبيات المتنبي والحكم المنسوبة إلى أرسطو. تُوفِّي أبو علي الحاتمي في السادس والعشرين من ربيع الآخر عام 388 هجرية الموافق لعام 998 ميلادية.

إشارات مبكرة إلى ما يصطلح عليه بوحدة القصيدة العضوية، هذه الوحدة العضوية التي تشبه إلى حد كبير جسد الإنسان الذي "إذا اشتكى منه عضوٌ"[205] تختل البنية العامة فيه ويلحقه الضرر العام الذي يشمل أسباب وجوده، وذلك بسبب الخلل الذي طرأ على مكون واحد من مكوناته وعضو واحد من أحد أجهزته المتعددة.

إن دراسة موضوع "بنية القصيدة" يكشف عن التباين القائم بين مدلول هذا المصطلح في النقد القديم، ومدلوله في النقد الحديث، ففي النقد الحديث لم يخرج المدلول عن النظرية البنيوية (Structuralism) والتي تعد مذهباً سيطر على جميع أبواب المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي، والبنيوية في الأدب تهتم بالعلاقات الداخلية للنص، والنظام العام الذي يعتمد على العناصر المكونة له، وتستبعد علاقة الأدب بالفلسفة والفكر والمجتمع. وتعرف أحياناً باسم البنائية، أو التركيبية،[206] أما مدلول هذا المصطلح في النقد القديم فهو أقرب ما يكون إلى معنى البناء، وضم الأجزاء إلى الأجزاء لأجل الوصول إلى القصيدة الناجزة، وهو بناء محدد التزم به الشعراء الجاهليون، ونظموا على منواله أشعارهم حتى بات هذا البناء جوازاً لقبول قصائدهم وتلقيها، وبات من الصعب بمكان إلغاؤه أو القفز عليه أبان تلك المرحلة.

---

[205] – الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

[206] – كتاب (النظرية البنائية في النقد الأدبي) تأليف: الدكتور صلاح فضل، الطبعة الثانية سنة 1980 صفحة 187 – 188، بتصرف.

وهذا الفهم يشير من طرف خفي إلى الجهد الصناعي الذي يترتب على الشاعر مزاولته في سالف العصور الأدبية قبل وأثناء بناء القصيدة، أي بمعنى أدق يتوجب عليه أن يدع المجال لوعيه أن يكون مشرفاً على النتاج الإبداعي، مهما كانت أبواب الإلهام الشعري مفتحة ومشرعة على مصراعيها، ومهما كانت منطقة اللاوعي خصبة عند الشاعر ومدرارة للصور الشعرية المنسابة والتراكيب الجزلة تنثال انثيالاً، ومهما كان الشاعر منقطعاً لحظة الابداع عن الماحول وعن كل ما يتعلق بمحيطه الحسي، ومهما كان الشاعر مطبوعاً متقد القريحة ويغرف من بحر[207] كما قيل عن بعض الشعراء، فإنه لابد أن يكون ملزماً ببناء محدد، وصيغة تركيبية قياسية مضطردة لا يمكن غض الطرف عنها أو تجاوزها، وهذا بحد ذاته إفصاح عن وجود مفترض وسابق لقصيدة نمطية قائمة في أذهان هؤلاء الشعراء والنقّاد إن وجدوا على حد سواء.

تعتبر بنية القصيدة دعامة أساسية من دعائم العملية الابداعية في الشعر في بعدها الفني باعتبارها عاكسة للرؤية التي يعتمدها الشاعر في تناول الأفكار، وكذلك تفصح عن طريقة معالجته للقضية أو القضايا المطروحة في القصيدة، في ذات الوقت فإنها تعكس بصورة معينة بعض الجوانب التي تتعلق بالحياة الإجتماعية للعصر الذي يعيش فيه الشاعر ومستوى نتاجه الذهني والعقلي. ومن الملاحظ أن معظم النظريات النقدية التي تعرضت لمصطلح "البنية" أو "البنيوية" أو الهيكل في العمل الشعري على

---

[207] – شاع في الأدب العربي أن جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت في حجر، وتعود هذه المقولة إلى مالك بن الأخطل الشاعر، وكان أبوه قد أرسله إلى العراق لكي يستعلم خبر الفرزدق وجرير بعدما سمع عن تهاجيهما، وعندما رجع مالك أخبر أباه قائلاً: "وجدت جريرًا يغرِف من بحر، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر." وقد وردت هذه القصة في الجزء الرابع من كتاب البيان والتبيين للجاحظ، صفحة 273، وكذلك في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الجزء الحادي عشر صفحة 64، بالإضافة إلى كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، الحزء الثالث صفحة 451.

اختلافها، اتفقت على أنه تطور ونمو في وحدة العمل الفني داخل العمل الشعري، ولا يوجد في جميع الدراسات أي خلاف على وجود "الوحدة الداخلية" في النص الشعري التي تعد توكيداً لتحديد سماته وإبراز خصائصه الفنية، وقد يكون "الجانب الشكلي" هو أقرب الدلالات الأدبية في تحديد مفهوم البناء أو البنية، فمن خلال الشكل الفني يتم التمييز بين مفهومي البناء والنسيج لأن كلاً منهما يعد مظهراً من مظاهر الشكل العام للنص الشعري.

مما لاشك فيه أن آراء المهتمين بشأن القصيدة العربية وبنيتها من القدامى قد تظافرت حول وحدة البيت في القصيدة، وكون استقلالية البيت إذا جازت التسمية لاتتعارض مع الوحدة البنائية العامة للقصيدة من خلال تماسك الأبيات فيما بينها وتأثر البيت الواحد بالبيت الذي قبله والبيت الذي يليه، في حين أن النقاد والأدباء العرب المحدثين طرحوا بقوة مصطلح الوحدة الموضوعية، خصوصاً جماعة أبولو الشعرية[208]التي اهتمت بالوحدة وضرورة انتظام القصيدة في وحدة فكرية وشعورية بغية تخليصها من روح المحاكاة وقيود الصنعة والتقليد، ولكن الأمر بحقيقته لا يخرج عن دائرة التأثر بما يطرحه الغرب في هذا الصدد، ويبدو ذلك واضحاً من خلال إيمانهم بالمرجع الغربي والفكر الرومانسي في مسألة الربط بين الخيال والوحدة العضوية.

---

[208] – جماعة أبوللو الشعرية هي إحدى المدارس الأدبية الهامة في الأدب العربي الحديث، ذات اتجاه رومانسي، ظهرت في العقد الرابع من القرن العشرين بعد أفول نجم مدرسة الديوان المحافظة، لفظ "أبوللو" مأخوذ من "أبوللون" وهو إله النور والفن والجمال عند الإغريق، وهذا دليل على التأثر بالثقافة الغربية، مؤسس الجماعة هو الشاعر أحمد زكي أبو شادي وقد ضمت الجماعة شعراء الوجدان في مصر والوطن العربي، أمثال: إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبي القاسم الشابي، ومحمد عبد المعطي الهمشري وصالح جودت، وجميلة العلايلي.

وللتركيز أكثر على هذه المسألة لابأس من تسليط الضوء على مفهوم الوحدة العضوية والذي يعني حالة الترابط بين أجزاء القصيدة، وتساوق جميع أبياتها في منحى واحد على الصعيد الفكري والشعوري، وهذا الأمر يحدده عنصران هما:

العنصر الأول: وحدة الموضوع: أي اقتصار القصيدة على موضوع واحد في جميع أبياتها.

العنصر الثاني: وحدة الجو النفسيّ: أي توافق وتناسب عاطفة الشاعر مع الموضوع، وعدم تقلبها أثناء كتابة النص.

وقد تناول الكثير من الباحثين مفهوم الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية، ولكن الإشكالية أن الحديث بهذا الصدد قد تبلورت ملامحه في ضوء نظرية "كولردج"[209]التي حققت شهرة واسعة في دراسة الأدب الجاهلي، خصوصاً في طرحها لمفهومي الخيال والتوهم، ومسألة خلق التوازن بين العام والخاص، واشتغالها على التوفيق بين الأضداد، وعلى دور الخيال الرئيسي في كل ذلك، ومن الملاحظ أن معظم الدراسات الاستشراقية التي تناولت بنية القصيدة الجاهلية كانت قد تناولتها وفق محددات نظرية صموئيل تيلر كولردج التي حسرت القصيدة الجاهلية ضمن إطار التوهم الذي كان يراه صاحب النظرية منسجماً مع طبيعة القدرات العقلية للشاعر الجاهلي، التي تتسم حسب رأيه بفقر الخيال، وضعف العاطفة وبساطة الإحساس، وعدم القدرة على التفكير المركّز في موضوع محدد، وبهذا يكون كولردج قد وحّد رؤية آراء غالبية المستشرقين حول الشعر الجاهلي ومواقفهم منها، لاسيما أولئك

---

[209] – صموئيل تيلر كولردج شاعر وناقد وفيلسوف إنكليزي ولد في 21 أكتوبر عام 1772 ميلادية وتوفي في 25 يوليو عام 1834 ميلادية، يعد أحد أبرز وجوه الحياة الثقافية الإنكليزية في الحقبة الإبداعية الموسومة بالرومانسية، وأحد أهم منظِّريها. وتعتبر بعض مؤلفاته من أهم الإنجازات اللإبداعية في تلك الحقبة وأنموذجاً يحتذى بها.

الذين اتبعوا منهجه وآمنوا بنظريته، واعتبروا أن الشعراء الجاهليين غير قادرين على توجيه تفكيرهم باتجاه خلق فكرة جديدة، أو بتعبير آخر عدم إمكانيتهم في صبّ أفكارهم في إطار محدد أو موضوع واحد جامع للقصيدة.

تجدر الإشارة إلى أن المستشرقين قد تفاوتوا بموقفهم من قضية الخيال في الشعر الجاهلي، فمنهم من نفى الخيال بالكلية عن الشعراء الجاهليين، ومنهم من قال بسطحية الخيال الشعري عند الشعراء الجاهليين، ومنهم من أقر بوجود أمثلة قليلة للخيال الخلاق في هذا الشعر، غير أن مشكلة هؤلاء المستشرقين والمطب الفكري الخطير الذي وقعوا فيه، أنهم لم ينظروا إلى الأدب الجاهلي باعتباره فناً وإبداعاً، وإنما اعتبروه مجرد وثائق تاريخية تعينهم في دراسة الحياة العربية آنذاك وتساعدهم في التعرف عليها، ولابد من الإشارة إلى أن نظرية كولردج قد نوهت إلى ضرورة دراسة الخيال بعيداً عن التوهم، وعلى النحو التالي:

الخيال عند كولردج في نظريته ينقسم إلى نوعين:

- **خيال أولي: ويتمثل بالقدرة الحيوية والقوة الأولية الخلّاقة التي من شأنها جعل الإدراك الإنساني ممكنا.**
- **خيال ثانوي: وعادة ما يكون صدى للخيال الأولي. قد يتشابه مع الخيال الأولي في الوظيفة غير أنه يختلف معه في طريقة نشاطه.**

ومن ميزات الخيال أنه ذو قدرة على تحطيم المكونات وإحداث تغيير جوهري فيها من أجل الوصول إلى خلق جديد، أو إذابة الأشياء والعناصر وصهرها في بوتقة واحدة وإعادة خلقها كائنات جديدة، وهو بهذا يسعى إلى إيجاد الوحدة العضوية، وإلى تحويل الواقعي إلى مثالي. في حين أن التوهم نقيض

للخيال لأن ميدانه محدود وغير قابل للتوسع، وهو لا يعدو – أي التوهم – عن كونه فعلاً ينجم عن الذاكرة بعد تحرره من قيود الزمان والمكان، والتوهم بحد ذاته يتشابه مع الذاكرة كونه يتعين عليه أن يحصل على مادته جاهزة في تجميع الصور وفق قانون تداعي المعاني.

ومن خلال هذا الطرح وضع كولردج حداً فاصلاً بين الخيال والتوهم، معتبراً أن لكل منهما مساحته الخاصة، وقد رهن عملية تحقيق الوحدة العضوية بالقدرة الخيالية لدى الشاعر، فالخيال يتحرك بحرية في مساحة مترامية الأطراف في الجانب الروحي، في حين أن التوهم لا يعدو عن كونه نظرة سلبية مادية ذات حركة محصورة في الثابت المحدد ولا يتعدى حدود الذاكرة العادية.

وباعتقادي أن أي حكم يعتمد على التعميم فإنه يجانب الحق والصواب، لذلك فإن التعميمات السائدة سواء في ما طرحه كولردج في نظريته، أو ما طرحه المستشرقون جميعاً الذين تراصفوا معه في آرائهم وتصويباتهم حول بنية القصيدة الجاهلية يعوزها الإنصاف والتعمق والتوسع في دراسة المنجز الشعري للعصر الجاهلي، وأنها بالنتيجة لا تعدو عن كونها تعميمات ذات مسحة انطباعية نمطية، وحكم مسبق في الغالب، لأنها لم تدرس سوى عدد محدود من القصائد.

ومن أوائل الأدباء العرب المعاصرين الذين نادوا بالوحدة العضوية للقصيدة هو الشاعر خليل مطران[210]إذ دعى إليها في مقدّمة ديوانه، وأشار إلى أنّه لم يجد في الشعر العربي ارتباطاً بين معاني القصيدة، ولا تلاحماً بين أجزائها، وبعد ذلك اهتم شعراء مدرسة الديوان في مصر بالوحدة العضوية

---

[210] – هو خليل بن عبده بن يوسف مطران ولد في الأول من يوليو عام 1872ميلادية في بعلبك بلبنان، يعد أحد أبرز رواد حركة التجديد في الشعر العربي، عاش معظم حياته في مصر، وجمع بين الثقافة العربية والأجنبية، عمل بالتاريخ والترجمة، وكان من كبار الكتاب، توفى في الأول من يونيو العام 1949ميلادية في مصر بعد أن اشتد عليه المرض.

في كتابهم الموسوم (الديوان في الأدب والنقد)[211]وقد برز العقّاد من بينهم بتشدده، وخصوصاً في نقده الحاد الذي وجهه لأحمد شوقي في قصيدته التي رثى فيها المناضل مصطفى كامل، وقد ركز العقّاد على تفكك القصيدة، معتبراً أن التفكك بحد ذاته ضعفاً خطيراً، ومنتقداً شوقي بمجاراته وتقليده للشعراء العرب القدامى الذين كانوا ينتقلون في القصيدة الواحدة من غرض إلى آخر دون رابط منطقيّ، وقد دعا العقّاد إلى ضرورة إحكام الصلة بين أجزاء القصيدة مع التشديد على شرط تكامل فكرة كليّة واحدة فيها.

وبعد شيوع هذه النظرية راح مصطلح الوحدة العضوية ينتقل رويداً رويداً إلى ساحة النقد العربي الحديث، وينتشر مثل الرماد في الهشيم، وقد صار شيئاً فشيئاً أساً مركزياً من أسس دراسة النتاج الشعري، سواءً في العصر الحديث أو العصور الأدبية الأخرى، وإن من أبرز الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بدراسة بنية القصيدة الجاهلية ووحدتها العضوية بشكل مكثف، هو الدكتور كمال أبو ديب[212]حيث قام بدراسة أكثر من مائة وخمسين نص جاهلي.

تجدر الإشارة إلى أن بعض النقاد الأدبيين سواء من المستشرقين أو العرب قد توهموا أن نظرية الوحدة العضوية هي من بنات الفكر الغربي ولم يلتفتوا إلى أن اللغوين العرب قد أشاروا إلى روح هذه النظرية

---

[211] – كتاب (الديوان في الادب والنقد) تأليف: محمود عباس العقاد وابراهيم عبد القادر المازني، من الكتب المهمة كونه يمثل البدايات النقدية في الأدب العربي الحديث، وثورة على الأساليب القديمة في الأدب، وتم اعتباره إطاراً نظرياً لتأسيس مدرسة ديوان في مصر مطلع القرن الماضي التي دعت إلى التجديد في شكل الشعر ومضمونه.

[212] – يعد الدكتور كمال أبوديب من أوائل النقاد العرب المتحمسين للبنيوية، وقد أعلن صراحة أنه اتخذها منهجاً نقدياً وقد حدد منهجه في كتابه الموسوم "جدلية الخفاء والتجلي . دراسات بنيوية في الشعر" الصادر عام **1979** م.

وضرورة العمل بها وخصوصاً ابن طباطبا العلوي الذي أكد في كتابه (عيار الشعر) على وجوب تناسق النص الشعري وانتظامه، بحيث يتسق أوله مع آخره، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل، وراح ابن طباطبا[213] إلى أبعد من ذلك في دعوته أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في دقة المعاني وصواب التأليف، وقد قدم نصيحة جديرة بالاهتمام للشعراء، مفادها أن يكون الخروج من معنى إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا كخروجه من الغزل إلى المدح مثلاً، وهذه النصيحة قريبة من مفهوم حُسن التخلص، وكذلك الحاتمي الذي عاش في القرن الرابع الهجري قال: "من حِكَم النسيب الذي يَفتتح به الشاعر كلامه، أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذمٍّ، متصلاً به، غير مُنفصل منه؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلْق الإنسان في اتِّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصَل واحد عن الآخر، وبايَنه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهةً تتخوَّن محاسنه، وتُعفِّي معالم جماله، ووجَدَ حُذَّاق الشعراء وأرباب الصناعة من المُحدثين، يَحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يَحميهم من شوائب النُّقصان، ويقف بهم على مَحجة الإحسان"[214].

تجدر الإشارة إلى أن الكثير من المستشرقين والباحثين الغربيين قد أساؤوا فهم البنية التقليدية للقصيدة الجاهلية وتقدير حرفيتها ومعاييرها الفنية، فاعتبروها شيئاً من الجمود أو التكرار غير المبرر، كما زعم

---

[213] – جاء ذكر ابن طباطبا في كتاب (الأعلام) للزركلي كما يلي: ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن: شاعر مفلق وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان. له كتب، منها (عيار الشعر) و (تهذيب الطبع) و (العروض) قيل: لم يسبق إلى مثله. وأكثر شعره في الغزل والآداب. لم يعرف تاريخ ولادته إلّا أن وفاته كانت في أصبهان عام 322 هجرية الموافق لعام 934 ميلادية.

[214] – ورد هذا النص في أكثر من كتاب منها كتاب "العمدة في صناعة الشعر ونقده" لابن رشيق الجزء الثاني صفحة 94، وكذلك في كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحُصري القيرواني.

نيكلسون[215]أن الشاعر الجاهلي لم يكن أمامه أيّ اختيار فيما يخص النظام الموسيقي للقصيدة العربية، أو في اختيار موضوعاته، وأسلوب معالجتها، ولم يكن يجرؤ على الخروج على شيء من ذلك. لكن هذا المستشرق عاد واستدرك فيما بعد وقام باستثناء بعض الحالات في خروجها عن "التقاليد الجامدة" حسب وصفه.

كما أن المستشرقين سواءاً بقصد أو من دون قصد لم يوجهوا اهتمامهم على البناء الداخلي للقصيدة العربية الكلاسيكية، ما حدى ببعض النقاد العرب إلى التركيز على هذا الجانب، معتبرين أن المكونات الداخلية للقصيدة العربية هي الوجه الآخر لبنائها الخارجي بحال من الأحوال، وفي هذا الصدد توسع الدكتور نوري حمودي القيسي[216]في رؤيته من خلال تشخيص عناصر تدخل ضمن البناء الداخلي تفضي إلى تعزيز وحدة القصيدة مثل:

- **الترابط العضوي بين الاغراض المتعددة التي يطرقها الشاعر**
- **وحدة الفكر التي هي عامل شد لأجزاء القصيدة**
- **وحدة الحدث**

---

[215] – جاء ذلك في كتاب المستشرق الانجليزي رينولد ألن نيكلسون الموسوم بـ (Litcrature A History of Arabic)

[216] – نوري حمودي القيسي، مؤرخ وأديب ومحقق عراقي شغل منصب عميد كلية الاداب بجامعة بغداد على مدى 20 عاما وعمل أستاذ في قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة بغداد، توفى في 1994/11/1 م عن عمر يناهز 62 عاماً أصدر خلالها 133 كتاباً في التحقيق والدراسات والأدب، وكتب المئات من البحوث والمقالات في الصحف والمجلات والدوريات، وقام بالإشرف على أكثر من 50 رسالة ماجستير وأطروحة دكتوراه، وشارك في العشرات من المؤتمرات العربية والعالمية، وكان عضواً بارزاً في أكثر من مجمع علمي في العراق والأردن والهند.

- **ترابط الحدث**
- **ترابط الأفعال وانسجامها وفق سياق محكم وتسلسل مترابط**

وباختصار شديد بعد تدوال هذه الأفكار، يمكن الإشارة إلى أن بنية القصيدة الجاهلية قد التزمت بوحدة الوزن ووحدة القافية ووحدة البيت الشعري، إلّا أنها أغفلت جانباً آخر تم الاصطلاح عليه في العصور المتأخرة بوحدة الموضوع، وهذا الحكم رغم واقعيته يداخله الغبن والتعسف، لأنه يسقط فرضيات عصر بعيد من حيث الزمن والمعطيات على عصر آخر، والحق يوجب أن نحاكم القصيدة الجاهلية بمنطلقاتها المعتبرة في عصرها، لأنها اعتمدت بدل وحدة الموضوع على سلسلة من البنى تبدأ مع استهلال القصيدة بالتغني بذكريات الشاعر مع حبيبته وبكاؤه على أطلال بيتها المهجور ومن ثم وصف رحلته وراحلته ومن ثم انتقاله بانسيابية وطواعية إلى مواضيع أخرى كالمدح أو الرثاء أو الهجاء وما إلى ذلك، وهذا كله يتم في مناخ يتيح له التنقل السلس والتدرج والتناسب والتكامل العضوي وحسن التخلص[217]وهذا كله يتم عبر التناسق في طرح الأفكار والمناخ الشعوري العام وتساوق التراكيب الشعرية والدقة في الخروج من جزء إلى الجزء الآخر دون أن يخدش تماسك القصيدة، بحيث يشعر المتلقي بالتحام الأجزاء بعضها مع البعض الآخر وبمتانة تماسكها وعدم وجود أي فتور أو حواجز بين تراتب أغراضها، وهذا باعتقادي يعزز خصوصية هذه القصيدة ولا ينال من مكانتها، وحسب رأيي أن الذي دعا المتقولين عليها، هو نسج الشعراء المعاصرين قصائدهم على منوالها ومحاكاتهم لها

[217] – حسن التخلص هو انتقال الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع أو القارئ بالانتقال من المعنى الأول إلا قد وقع في الثاني لشدة الالتئام بينهما.

ومبالغة البعض في تقليدها بحذافيرها وبنزعة ماضوية، دون الأخذ بنظر الاعتبار متطلبات التطور التي يفرضها العصر الراهن.

وقد لخص الدكتور شوقي ضيف في كتابه الموسوم "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"[218]سياق القصيدة الجاهلية المألوف والمتوارث بشيء من الدقة والإيجاز في وصفة لما حرص الشعراء الجاهليون على الالتزام به قائلاً: "كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها؛ إذ نراها تبتدئ عادةً بوصف الأطلال، وبكاء الدمن، ثم تنتقل إلى وصف رحلات الشاعر في الصحراء، وحينئذ يصف ناقته التي تملأ حسه ونفسه وصفًا دقيقًا فيه حذق ومهارة، ثم يخرج من ذلك إلى الموضوع المعين من مدح وهجاء أو غيرها، واستقرت تلك الطريقة التقليدية وثبتت أصولها في مطولاته الكبرى على مر العصور".

وبعد هذا العرض، أود التأكيد على أن تلك الطريقة التقليدية ليست مثلباً بل خصوصية وتميزاً، ويمكن اعتبارها بنيوية خاصة، وكان من الممكن أن يشار لها بالاعجاب من قبل المستشرقين لو بقيت تلك الطريقة ملكاً لعصرها ومبدعيه وعدم التجاء الشعراء المعاصرين إلى احتذاء مسارها حذو النعل بالنعل، هذا وقد وضع بعض النقاد والباحثين المعاصرين تمرحلاً زمنياً أو فهرسة زمنية للقصيدة الجاهلية تتلخص بالأتي:

أولاً: مرحلة الفراق: وتتضمن:

---

[218] – كتاب (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) تأليف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف المعروف بشوقي ضيف، عدد صفحاته 528 صفحة، الناشر: دار المعارف – القاهرة

- **صورة الأطلال أو الرسوم الدوارس**
- **صورة رحيل الظعائن**

ثانياً: مرحلة الرحيل والضياع: وتتضمن:

- **صورة الناقة أو الثور والبقر الوحشي**
- **صورة الليل**
- **صورة الصحراء**

ثالثاً: مرحلة البحث عن الذات: وتتضمن:

- **المرأة**
- **الماء**
- **الفرس**
- **الخمر**

وبهذا فإن القصيدة الجاهلية كانت قد طرحت خصوصيتها ولكننا نحن الذين تطفلنا على تلك الخصوصية منذ انقضاء عصرها إلى يومنا هذا، حين قلدناها تقليد الأعمى دون أن نطرح خصوصياتنا التي تمليها ظروف كل عصر من العصور ودون أن نعي متطلبات كل مرحلة زمنية مر بها تاريخ الأدب العربي.

❖ **المبحث الثاني**

تلازم البعد الاجتماعي والإبداعي في حركة الصعاليك:

رغم تميز النمط الشعري لدى شعراء حركة الصعاليك، وتميز شخوصهم بصفات شخصية استثنائية مختلفة عن صفات معظم مجايليهم وأقرانهم من الشعراء الجاهليين، غير أن معطى تجربتهم الفنية والإبداعية ليست بمعزل عن معطيات الأدب الجاهلي والشعر على وجه التحديد، بل إن تجربتهم الخاصة تثري النتاج الأدبي العام لذلك العصر وتمنحه عمقاً وتجذراً من خلال تنوع وتتعدد رؤى وتطلعات إنسان ذلك العصر وتوصلاته، ببعديها السلبي والإيجابي، والمشتملة على تناقضاته واختلافاته فضلاً عن ائتلافاته في البعدين الذاتي والموضوعي، وهذه النظرة الشاملة تساهم حتماً في إزالة بعض الغموض الذي يلف تفصيليات الواقع في العصر الجاهلي، وتساعد على إزاحة الغبار عن مكنون تناقضات ذلك المجتمع على كافة الصعد الإنسانية والاجتماعية والفكرية والإبداعية، ومما لا شك فيه إن ذلك لن يتأتى إلّا إذا توصلنا إلى الصورة الحقيقية لحياة الصعاليك بجميع أصعدتها الإنسانية والاجتماعية والفكرية والإبداعية، وتعرفنا على أسرار نمطهم السلوكي المغاير للمنحى الاجتماعي العام، وكذلك حل شفرة الفكرة السياسية الثورية التي حددت موقفهم من المجتمع الجاهلي، وإن كانت تلك الفكرة غير مؤطرة بإطار نظري آيدولوجي متكامل الأبعاد، عندها سنتمكن من إزالة القتام عن تلك الصورة النمطية شائعة الرواج عنهم وعن أسلوب حياتهم التي درج عليها الباحثون والنقّاد عبر جميع العصور التاريخية، والسبب الكامن وراء كل ذلك الغموض هو أن جل الذين كتبوا عن حركة الصعاليك كانوا غير متعاطفين معهم، بل كانوا في الخندق المقابل لحركتهم، الخندق الذي يتبنى الموقف السلطوي للقبيلة.

وهذا بطبيعة الحال يدعونا إلى إمعان النظر في نصوصهم، ووضع جميع الآراء التاريخية الجاهزة التي أجحفت حق الصّعاليك جانباً، والشروع بتقييم جذري لكل ما تم لصقه بحركتهم عنوة، وكذلك إعادة قراءة التهم الموجهة إليهم، والصادرة غالباً عن السلطة ومؤسساتها عبر التاريخ، وجزء من هذه المؤسسة

الساندة للسلطة، هم الشعراء المداحون الموالون للحاكم، المرتزقون بنتاجهم الإبداعي، ومن خلال ظاهرة الشعراء المداحين أعاب المستشرقون على أدبنا وأشكلوا عليه، معتبرين إياه أدب "سلطة"، تتراوح حركته بين مضامين الهجاء والمدح، وكذلك كون السلطة كانت في معظم الأحيان راعية له، وكانت تقربه وتقوم بتغذيته، وهذا ما شلّ حركته التّاريخية.

إن أهم ما يميز الفعل الإختراقي الذي قام به الصعاليك، هو جدارتهم في فض بكارة المحرّمات والتابوهات الطاغية في القبيلة، وما صاحب ذلك من عنفوان وتمرد على استبدادية سلطتها، وعدم الاعتراف بهيكليتها التنظيمية، ولا بمؤسسات مجتمعها، وكونهم استطاعوا إنزال مقدّساتها وطقوسها إلى المستوى العادي في التعامل اليومي، كل ذلك جعلهم دعاة مشروع مجتمعي جديد، من أبرز سماته عدم ذوبان فردية الإنسان وتلاشيها في النظام القبلي، وعدم اضمحلال شخصيته في رموز القبيلة المتسيدين والمستبدين فيها، من هنا نجد أن شعر الصعاليك قد عزف عن استخدام صيغة الجمع (نحن) ورغب عنها، وهذا يدلل على انتفاء ضمير القبيلة من قاموسهم الشعري واليومي، وليس ذلك فحسب، بل ابتعد شعرهم عن الضمير (هو) كذلك، وآثروا استخدام الضمير (أنا) بوعي عميق للتعبير عن الفردانية وتعزيز الشخصانية، وإن استُعمِل هذا الضمير في صيغة الجمع، فلا يعني الذوبان في بوتقة الجماعة بحال من الأحوال، بل كانت تعني (الأنا الجمعية) التي عبّرت عن تجمعهم ووحدة توجههم وموقفهم المبدئي الذي نبا وتسامى على رابطة القبيلة أو اللون أو العرق، ونبذ العلاقات غير المتكافئة فيها.

لم يأكل الصعاليك من فتات موائد الأغنياء، ولم تستطع السلطة (القبيلة) وضع ملحها في طعامهم، لذلك استعصوا على التدجين، ورفضوا بحبهم الفطري للحرية والانعتاق قيود القبيلة ومراسيم حياتها الرتيبة وطقوسها القسرية، فتقاطعوا مع النفاق والكذب وتعاملوا مع الحقائق والوقائع باسمائها الصريحة من دون مواربة أو تورية أو ترميز، لأنهم كانوا غير مبالين بما تتخذه السلطة المتمثلة بالقبيلة من موقف

تجاههم، وغير آبهين إن غضبت عليهم أم لم تغضب، لأن ديدنهم الحرية والانعتاق، وهدفهم أن يكونوا أحراراً ليس إلّا، ومن هذا المنطلق حري بالباحثين المهتمين بهذه الحركة أن لا يصوروا النزوع الإنساني نحو الحرية بأنه خروج عن الطاعة أو تمرد على أولي الأمر فحسب، كما علينا أن لا نضع هذه الحركة الخالدة في قالب فكري محدد كما فعل الكتاب الشيوعيون عند وصفهم حركة الصعاليك بأنها ترمز إلى اليسار العربي، أو أنها ذات إرهاصات شيوعية مبكرة أو نهج إشتراكي على الصعيد العملي، وكذا الحال بالنسبة لبعض الكتاب الملتزمين ببعض الحركات التحررية والتقدمية التقليدية الذين يخلعون سمة التمرد على الصعاليك فقط، فالصعاليك حركة سياسية اجتماعية إنسانية ثقافية لها سياقاتها المتفردة، وظاهرة نادرة في الأدب العربي تستحق الوقوف عندها ملياً، وتحتاج إلى دراسات ذات منهج علمي عميق وبروح طازجة ونفس جديد يغربل حركتها التاريخية لفرز الأكاذيب التي لفّقتها ماكنة السلطة الدعائية عليهم، ولم تفطن إلى سر الوجود الحقيقي للصعلكة وطبيعة الحقائق الناصعة التي لايمكن دحضها.

إن من أبرز معالم الخصوصية لهذه الحركة أنها كانت ثورة على أكثر من صعيد، فهي ثورة على الواقع الفاسد في الوقت الذي كانت فيه ثورة على الصعيد الإبداعي ورتابته، لدرجة لا يمكن البتة بمكان الفصل بين منطلقاتها الاجتماعية وإنجازاتها الثقافية والإبداعية، كونها مثلت خروجاً جريئاً على ربقة الاستعباد والتسلط، ونزوعاً إنسانياً صافياً نحو الحرية، في ذات اللحظة كانت خروجاً ومنعطفاً مهماً على صعيد سياقات القصيدة الجاهلية وموضوعاتها المتشابهة وتراكيبها المتكررة وبنيويتها المشتتة وإيقاعاتها الرتيبة وقوالبها الجاهزة.

❖ المبحث الثالث

ملامح شعر الصعاليك:

شعر الصعاليك بحد ذاته ظاهرة ذات منحى إبداعي اجتماعي نفسي فكري، نهض بها كوكبة من فحول شعراء العصر الجاهلي، الذين تم حصرهم بمصطلح الشعراء الصعاليك، وما يميز هؤلاء الشعراء أنهم خرجوا على كل ما هو مألوف وستاتيكي من تقاليد وشرائع موروثة، وقيم متعارف عليها على الصعيد الاجتماعي لدرجة التقاطع مع النظام القبلي القائم آنذاك من جهة، ومن جهة أخرى ارتقوا بالشعر وأبدعوا فيه لدرجة تجاوزا فيها كل السياقات الفنية النمطية المتبعة على صعيد البناء العضوي والموضوعي للقصيدة الشعرية التي ينتهجها شعراء تلك الحقبة من تاريخ الأدب العربي، فلم ينسجوا قصائدهم على ذات المنوال الشائع الذي يفتتح القصيدة بالتغني على الرسوم الدوارس ومناجاة الأطلال، وابتعدوا عن الإسفاف بالأسلوب الوصفي وذكر الأيام الخوالي، وتميزوا بالتعبير عن الغرضية والتفاعل الحيوي معها، وقد أعانهم على ذلك تركيزهم على تحليل الظواهر وتركيبها، وامتلاكهم ناصية اللغة، فأحسنوا استخدام بنى صرفية متنوعة أبعدتهم عن الرتابة، وبرّزت البعد الجمالي الطافح الخاص بشعرهم في معظم قصائدهم، كما أنهم أكثروا من استعمال الأدوات الشرطية، مثل لولا ولو، واستخدموا كذلك التشبيه والاستعارة بشكل سلس وتلقائي، وهذا ما جعل الطابع الشعري للصعاليك متفرداً كطبيعة سلوكهم ونمطهم الفكري والاجتماعي المتفرد والمغاير لكل ثوابت ذلك العصر ومرتكزاته الاجتماعية والإبداعية.

ورغم أن الصعاليك في جميع أشعارهم أكثروا من تصوير تفاصيل حياتهم التي تعتمد على الإغارة والثورة على ظلم الأغنياء وتعسفهم، إلّا أنهم قد أولوا قضايا المحرومين والمعدمين في ذلك العصر اهتماماً خاصاً، وأبدوا عناية بهم على صعيد التحرك الواقعي لإنقاذهم من براثن الفقر والجوع الناجم عن تفاقم الظلم، فأجازوا لأنفسهم إباحة السرقة والنهب من المتسلطين الفاسدين بهدف إعادة توزيع المقدرات

ولوازم الحياة توزيعاً عادلاً يضمن المساواة مع مبدأ الانحياز لصالح الفقراء، فكانوا جديرين بمناصرة الضعفاء، وتبني مشكلاتهم وفضح ما يعانونه من الظلم الاجتماعي وشظف العيش، من خلال التعبير عن هموم هذه الشريحة المعدمة بالشعر.

إن اللغة الشعرية والسمات الأسلوبية في شعر الصعاليك أخذت خصوصيتها من الخصائص الفنية المتميزة في قصائدهم، التي ارتبطت بشكل وثيق مع خصوصية ظرفهم الاجتماعي والسياسي الحساس، وخصوصية تجربتهم الحياتية، ومن هنا فقد برعوا في استخدام الألفاظ والتراكيب الجزلة وتوظيفها توظيفاً حسناً في البناء الشعري، وهذا بدوره خلق طاقة فنية دينامية حية عززت لحمة الانسجام بين العناصر المختلفة في قصائدهم ومستوياتها، وبالمقابل فإن هذا الانسجام بين مستويات القصيدة وعناصرها المختلفة قد حقق بدوره تأثيراً مباشراً على المتلقي، وبالتالي فإن الوجود المتحقق للغة الشعرية الناضجة لديهم لم يكن وجوداً اعتباطياً وإنما كان انعكاساً لشخصية الشاعر الصعلوك التي تبلورت وفق المعطيات العديدة والمتنوعة لعصره من جهة، ومدى استيعابه لثقافة ومفاهيم ذلك العصر من جهة أخرى، وبالنتيجة أصبحت القصيدة لديهم بناءاً لغوياً راسخاً ساهمت في إرساء لبناته الفنية وتشكيلها جمالياً الحواس المرهفة القلقة للشاعر الصعلوك، ومخياله الواسع، وملكته الثقافية، وجميع البواعث النفسية في دخيلته.

ومن خلال استقراء بسيط لمجمل قصائد الصعاليك، يمكننا أن نستخلص جملة من الملامح الفارقة في شعرهم من الناحية الإبداعية الفنية واللغوية من جهة، ومن الناحية البنيوية وافتراقها عن الطبيعة الستاتيكية والنمطية التي كانت سائدة في القصيدة العربية من جهة أخرى، كل ذلك يجعل من القصيدة عند الشعراء الصعاليك خروجًا جذريًا عن حاضنتها القصيدة الجاهلية، ويمكننا تحديد بعض تلك الملامح بما يلي:

1. لم يلجأ الصعاليك في قصائدهم إلى المقدمة النمطية المألوفة والمتمثلة في الوقوف على الأطلال والرسوم الدوارس والتغني بذكريات الحبيب، لأنهم قد خرجوا في الأصل عن البناء الاجتماعي للقبيلة وما ينجم عنه من ذكريات.
2. لم يعبأ الصعاليك بوصف الراحلة (الناقة) والرحلة في قصائدهم، لسبب بسيط هو أنهم لم يمارسوا ذلك على الصعيد العملي في واقعهم الفعلي.
3. استبدل الصعاليك النسيب التقليدي والغزل الحسي والتشبب بالحبيبة والحديث عن مواصفاتها، أو وصف المغامرات الغرامية التي أكثر منها الشعراء الجاهليون، بالحديث الواقعي الكيس العفيف مع زوجاتهم أو عنهنَّ، والذي لا يتعرض بالحتم إلى جمالهن ومفاتنهن الجسدية، وقد تفننوا برؤية البعد الآخر لجمال المرأة المتجسد بحميمية حنانها، ولطافة تعاملاتها، ومكارم خُلقها، ورهافة أحاسيسها، وميزات بنائها النفسي.
4. استطاع الشعراء الصعاليك أن يتوصلوا إلى نوع من الوحدة الموضوعية في قصائدهم وذلك لقصر تلك القصائد أولاً، وثانياً دخولهم في الغرض المطلوب من دون مقدمات أو أسهاب.
5. نزع الصعاليك في قصائدهم إلى الوصف الواقعي، وتصوير حياتهم وما يعتورها من أحداث بروح قصصية بعيدة عن الغزل المعتمد على الخيال والرمزية.
6. لم يأبه الصعاليك بقضية الارتباط بالأرض، ولم يولوها اهتمامهم، وقد استعاضوا عن ذلك بارتباطهم المبدئي مع بعضهم البعض، وألفتهم مع الضواري والسباع والحيوانات البرية، بحيث اعتبروها بديلاً عن الأهل والعشيرة، وعبر عن ذلك الشنفرى بقوله:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون، سِيدٌ عَمَلَّسٌ

وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

7. تميز شعر الصعاليك بالواقعية والشفافية والصدق وحرارة شعورهم بالظلم والفاقة.
8. تخطى موقف الصعاليك من المرأة ونظرتهم المتسامية لها نمطية التعامل الحسي المتمثل بوصف تفاصيل الجسد الأنثوي السائد في العصر الجاهلي.
9. امتاز شعر الصعاليك بخاصية التعبير عن الغرضية وبقدرته على التفاعل معها كونه انعكاس للعملية الاجتماعية.

أما على صعيد الخصائص الفنية التي تميز بها شعر الصعاليك إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن معظم نتاج الصعاليك كان مقطوعات قصيرة، ماعدا القليل من القصائد الطوال مثل "لاميّة العرب"، فيمكن تلخيصها بالآتي:

- الوحدة الموضوعية
- النزعة الواقعية
- الروح القصصية
- التخلص من الشخصية القبلية
- الابتعاد عن المقدمات الطللية
- السرعة الفنية
- الموسيقى الشعرية الطافحة

إن شعر الصعاليك قد شكّل منعطفاً في سيرورة الأعراف الثقافية القائمة آنذاك، وذلك لأنه لم يأبه بالتقاليد الفنية المتعارف عليها ولم يخضع لناموسها بشكل مطلق، فنجده لم يلتزم بالبنية الهيكلية للقصيدة المتبعة في العصر الجاهلي كما أشرت آنفاً، وعدم التزامه بالبنية الهيكلية للقصيدة الجاهلية

قاده أيضاً إلى عدم التصريع[219] في مطلع القصيدة، وكذلك عدم الحاجة إلى نسق الأغراض وترتيبها، ويمكننا القول بأن الصعاليك قد طرحوا أعرافهم الخاصة في الشعر وأرسوا قواعدهم وتقاليدهم الجديدة المغايرة بشكل نافر عما هو موجود، وقد اعتبروا أن أي بقعة تضمن إقامتهم وتأوي شعثهم وتصلح أن تكون منطلقاً لغاراتهم، هي الوطن، لذلك لم يعانِ الصعلوك من "النستالجيا" أو الحنين إلى ذكريات الأحبة، ولم يحاول المرور بديارهم يقبل "ذا الجدار وذا الجدارا" وهذا قد انعكس بشكل مباشر على شكل القصيدة التي يكتبونها.

❖ المبحث الرابع

الشخصانية في شعر الصعاليك:

ابتداءً لابد من التعريج على مفهوم الشخصانية وتعريفاتها الكثيرة، إذ يمكننا اعتبارها أشبه بسيرة تاريخية واجتماعية للإنسان تأخذ بنظر الاعتبار تطوره من شخصية إلى أخرى، مع مراعاة الاعتبار الذي يتحلى به الفرد من أصالة في التفكير، وإبداع في التصورات وقدرة على التخيل، ودقة في الأحاسيس، ورسوخ في التعبير، ويمكننا القول بأن من أهم اشتراطات الشخصانية الأخذ بنظر الاعتبار جميع الميزات والسمات التي يتميز بها أي إنسان وقدرته في تشكيل وتبيان رأيه الخاص بكل التفاصيل التي تحيطه، وبالتالي تمكنه من إبراز هويته الخاصة التي تميزه عن غيره وتعكس أسلوبه الشخصي في جميع مناحي الحياة.

---

[219] – التصريع هو أحد المحسنات اللفظية في الشعر يكون باتّفاق قافية الشّطر الأوّل مع قافية الشّطر الثّاني من البيت الأوّل من القصيدة الشّعريّة، والتّصريع يفرض اتّباع عروض البيت لضربه زيادةً ونقصانًا، وأصله أن يبتدر الشاعر القافية ليعلم من أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، أما إذا كان التصريع في غير البيت الأوّل فعندئذ يسمّى تقفية داخليّة.

تعتبر الشخصانية تيار فلسفي مثالي انتشر في الفلسفتين الأمريكية والفرنسية في بداية القرن العشرين. ويعبر جوهره عن مذهب أخلاقي واجتماعي مبني على القول: إن للشخص الإنساني قيمة مطلقة، من حيث اتصافه بصفات تمكّنه من المشاركة العقلية والوجدانية في العلاقات الإنسانية، وتهدف إلى تحقيق وجوده كفرد، ويشار إلى أن مصطلح الشخصانية (Personalism)، في بعده الفلسفي استخدم لأول مرة في عام 1799 ميلادية من قبل العالم والفيلسوف الألماني شلايرماخر[220]الذي أكد في كتاباته التنويرية أن الشخصانية هي المؤثر المباشر على بناء الفكر الفلسفي، مشيراً إلى الدور المحوري لها في النتاج الفلسفي.

وقد تم تداول الشخصانية كفلسفة، بشكل ملحوظ وشائع في مطلع القرن العشرين، وقد أستعملت على وجه التحديد في عام 1903 من قبل رونوفيي Renouvier الذي اهتم في فلسفته بالشخص على العكس من الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر الذي أعطى الأسبقية للكائن، ثم ظهرت من جديد في فرنسا حوالي 1930 م لكي تعين الأبحاث الأولى لمجلة "الروح Esprit "، التي تأسست سنة 1932 م، وتعرّف الشخصانية بأنها النظرة الواقعية نحو الأشياء التي تمنحها صفة الشخصية في بعدها المتكامل، أي بتعبير آخر أن يتم التعامل معها بصفة وجودها الواقعي، ويمكننا القول أن الشخصانية لا تتقاطع مع النسيج الاجتماعي، فهي بحد ذاتها تسمو بنا إلى التواصل الإنساني، وتجعل الـ (أنا) يتضامن مع الـ (نحن).

---

220 – هو الفيلسوف واللاهوتي الألماني فريدريش دانييل شلايرماخر ولد في 21 تشرين الثاني عام 1768 من عائلة بروتستانتية، عرف بمحاولته التوفيق بين الانتقادات الموجهة إلى التنوير مع المسيحية البروتستانتية التقليدية، وقد أصبح مؤثرا في تطور النقد العالي، كما أن فلسفته تعتبر جزءً أساسياً في مجال علم التأويل الحديث، ويطلق عليه "أب علم اللاهوت الحديث"، توفي في 12 شباط عام 1834 ميلادية.

إن المجال الرحب لتجسيد الشخصانية هو تجسيد الكرامة الشخصية التي تنطلق من احترام الصفة الإنسانية للإنسان ابتداءًا، وإحقاق كافة حقوقه التي تعزز وجوده الإنساني في كافة مجالات الحياة وفي جميع الأحوال ومختلف الظروف، وهذا يعتمد بدون شك على استقلال شخصية الانسان ووعيه العميق بذاته واستقلالية قراراته، وهي بحد ذاتها دعوة للتحرّر تقوم معطياتها على مبدأ أخلاقي، أساس مضمونه احترام الشخص الإنساني واعتباره قيمة مطلقة تسمو على عالم المؤسسات السياسية والاقتصادية المتعارف عليها في الوقت الحاضر والتي كانت تتمثل جميعها في السابق بالقبيلة، ومن المفروض أن جميع هذه المؤسسات ليست سوى وسائل مهمتها الأساسية خدمة الشخص وتوفير أسباب الحياة الحرة الكريمة له، وخلاصة القول إن جوهر الشخصانية يكمن في تأكيدها على وجود شخص حر وخلّاق.

ومن خلال هذا الفهم العام والمختصر للشخصانية نجد أن مشروع الصعاليك الرافض لمؤسسة الحكم الظالمة المتمثلة بالقبيلة كان يحتاج إلى عاملين، الأول: روح قوية ذات إرادة صلبة تستطيع الوقوف أمام قوة السلطة، وثانياً: قوة تعبيرية تفصح عن أفكارهم ومشاعرهم وتكون لسان حالهم، وقد توفر لدى الصعاليك هذان العاملان، إذ أن أغلبهم كانوا يمتلكون قوى جسمانية استثنائية خارقة تعززها شجاعة فائقة وإقدام منقطع النظير، إلى جانب ذلك كانوا شعراءاً مفلقين مفوهين وكانت قصائدهم مؤهلة للتصدي الإعلامي لهذا المشروع إذا جازت التسمية، وكذلك لطرح البديل المطلوب الذي يلغي واقع الظلم الذي ثاروا عليه ولو بشكل فطري بدائي، ومن خلال ذلك كان لابد من ابتكار صيغ وتراكيب جديدة في التعبير، أبرزها استخدام ضمير الـ (أنا) كخاصية أملتها عليهم ظروف الموقف السياسي العام المحتدم جراء موقفهم المتمثل بالرفض القطعي للجماعة (المتسلطة)، لذلك نراهم يسعون إلى فرز موقفهم النافر عن الصبغة العمومية.

لقد تميز شعر الصعاليك بالتعبير عن جوهر الشخصانية، لأن كل صعلوك كان يحتاج لإثبات شخصانيته التي أصبحت جزءًا أساسياً من الهوية الفارقة لهم، إلى التعبير بصيغة (الأنا)، وبالمقابل لم تكن صيغة (الأنا) تعبيراً عن روح أنانية منكفئة على ذاتها، لأنها تستبطن في طياتها روحاً وهمّاً يتراصف مع (الآخرون) خصوصاً الذين يجمعهم ذات الموقف من بقية الصعاليك، وهذا ما كان يمنح الصعلوك شعوراً بالاعتداد بالنفس يدعوه إلى التفاخر بالخصائص الفردية، وقد تجلت ملامح هذه الخاصية بشكل واضح مقابل الـ (نحن) التي كانت تمثل القبيلة، والتي كان يستخدمها جميع الشعراء المرتبطين بنظام القبيلة أو الموالين له بوعي أو من غير وعي.

إن استخدام الشاعر الصعلوك للضمير (أنا) قد أصبح المادة الفنية لشعره، وهي مشتقة من مقومات شخصيته التي يسعى لتدعيمها بالثقة بالنفس والاعتداد بها، لكي ترتقي إلى مستوى الـ (شخصنة) القادرة على الوقوف أمام شخصية القبيلة الطاغية. في حين أن شخصية بقية الشعراء أصحاب المذهب القبلي في الشعر الجاهلي، كانت ذائبة في شخصية القبيلة في ظاهرة يطلق عليها "ظاهرة الفناء الفني" لشخصية الشاعر الجاهلي في شخصية قبيلته، في المقابل نجد أن الشعراء الصعاليك قد اختفت لديهم هذه الظاهرة وحلّت محلها ظاهرة أخرى أطلق عليها الكثيرون اسم "ظاهرة الوضوح الفني لشخصية الشاعر الصعلوك"[221]

ولنا أن نتسائل: هل أن هذه الـ (أنا) التي عند الصعاليك مجرد أنوية عادية أو بتعبير آخر هل هي نرجسية فجة؟ أو بتعبير أدق هل أن استخدام ضمير الـ (أنا) من قبل الشعراء الصعاليك كان خالٍ من أي معنىً يسمو على معناه العادي؟ في هذا المضمار يؤكد الدكتور كمال أبو ديب أنَّ هذه الـ (أنا)

[221] – كتاب "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي"، ليوسف خليف صفحة 277.

"قلقة تبحث لا من أجل أنويتها، بل من أجل تغيير العالم من أجل تدمير آثار التركيبة الطبقية للقبيلة، من أجل أن تنقذ المسحوقين والمحرومين"[222]وغالباً ما كانت المواجهة بين القبيلة من جهة وشخصانية الصعلوك من جهة أخرى تفضي إلى غلبة وتفوق الطرف الثاني لامتلاكها الإرادة الواثقة والإصرار الواعي في التحدي، ومصداق هذا ما قاله عروة بن الورد مخاطباً بني ناشب:

فإنْ شئتُمُ حاربتُموني إلى مَدى

فيجهدكم شأوُ الكِظاظِ المغرّبِ[223]

نلاحظ الدقة في اختيار الشاعر للمفردات المؤثرة والموحية للتأثير المباشر على معنويات المقابل من أجل جعله في دوامة التفكير والبلبلة، فاستخدم كلمة "الكظاظ" ذات التأثير الإيحائي وعززها بصفة توحي بالبعد، وتجدر الإشارة إلى أن هذا لا يعنى بحال من الأحوال أن الشعراء الصعاليك لا يقيمون على الإطلاق أي تعارض بين الـ (أنا) والـ (أنا الآخر)، بل كانوا يراعون ذلك ويقيمونه من منظور مختلف، يستند إلى منظومة قيمية وأخلاقية ويتكيء على مقومات التمرد والتحدي، وهذا يتضح من خلال إبراز روح التضحية والإيثار ونكران الذات التي يتحلى بها الصعلوك عادة، وهذا بدوره يتعارض مع الأثرة والروح الأنانية لدى الآخر، كما أن التعارض الحدي بين قيم الصعلوك الحاملة للمعاني الإنسانية الإيجابية وتصرفات الآخرين التي لاتتعدى حدود الذات والكسب الشخصي، هو بنفس

[222] – كتاب "الرؤى المقنعة.. نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي" لكمال أبو ديب صفحة 582 – 583.

[223] – الكظاظ: الهم الذي يملأ القلب، المغرّب: البعيد.

درجة التعارض بين الإيثار والأثرة[224] في المعنى اللغوي، ونفس درجة التعارض بين حالة الظالم وحالة المظلوم، وفي هذا الصدد نستشهد بأبيات قد مر ذكرها لأمير الصعاليك[225]:

إني امرؤ عافي إنائي شركةٌ

وأنتَ امرؤ عافي إنائِكَ واحدُ[226]

أهَزأُ مني أن سَمِنتَ وأن ترى

بوجهي شحوبَ الحقِّ والحقُ جاهدُ

أقسّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ

وأحسو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ

نتلمس في هذه الأبيات أنموذجاً واضحاً لمستوى التعارض الحاد بين سلوك الصعلوك المستند إلى منظومة قيمية ذات بعد إنساني راقٍ وبين تصرفات الآخرين الناجمة عن نظرة أنانية ضيقة، والشاعر هنا قد استخدم الكناية في وصف وتوضيح هذا التعارض من خلال استخدامه لصورة (إناء الزاد) الذي يعرضه الصعلوك بكرم وإيثار ونكران ذات أمام الجميع خصوصاً المحتاجين منهم وبين الإناء الذي

---

[224] – جاء تعريف الأثرة في معجم المعاني وكثير من المعاجم الأخرى بمعنى: الأنانيَّة وحُبّ النَّفس، وتطلق على من لا يهدف إلاّ إلى نفعه الخاصّ، عكسها الإيثار.

[225] – أمير الصعاليك هوعروة بن الورد، والأبيات في "ديوان عروة بن الورد" صفحة 29. وقد ورد ذكرها في مبحث سابق.

[226] – عافي إنائي شركة: بمعنى يأتيني من يشاركني فيه.

لا يدنو منه غير صاحبه بحرص وشَرَهٍ وشُح، وكنتيجة منطقية فإن صاحب الإناء المبذول للآخرين يعتريه النحول والضعف والشحوب، ومن ثم الهزال لأنه يمنح حصة جسده من الغذاء لأجساد الآخرين، كأنه يقسم جسمه في أجسام كثيرة وإذا تناول شيئاً فإنه لايتعدى الماء القراح البارد الذي لا يخالجه شيء وغير المطبوخ بالطبع، أي أنه لا يتناول الحساء والأدم والهبر كما الآخرون، في المقابل فإن صاحب الإناء الذي لا يخرج عن نطاقه الخاص، ولا يقترب منه أحد لشحه وغل يديه فإنه سيصاب حتماً بالترهل والبطنة ويزداد سمنة.

وكأنموذج آخر لقوة الشخصانية هو الشنفرى الذي طرح منظومة قيمية كبرى في لاميته الشهيرة، عبرت عن فرادة تركيبته النفسية وشخصانيته النادرة، يؤكد في الأبيات الآتية على قوة مقومات شخصيته التي يتحدى بها الآخرين حتى في نوع مركبه الذي يميز فحولته وتفرده الذي عزّ نظيره، ولأجل إبراز ذلك يركز على استخدام الضمير (أنا) فيقول:

وأَنا امرؤٌ إِن يَأخُذوني عنوةً

أقرَنْ إِلى سَنَنِ الرِّكابِ وأُجنَبِ

ويكونُ مركبُكِ القَعودَ وحدجَهُ

وابنُ النعامةِ يومَ ذلكَ مَركَبي

فيعيب في هذه الأبيات على المقابل ركوب "القَعودَ وحدجَهُ" والقعود هي الإبل، والحدج: مَركَب من مراكب النساء كالهَوْدج والمِحَفَّة، لا يمكن للرجال ركوبها، في حين أن مركبه ابن النعامة وفي هذا الصدد

يقول أبو عمر الشيباني[227]"ابن النعامة مقدم رجله مما يلي الأصابع" فكأنما يقول لا مركب لي سوى رجلي وهو ما يتفرد به عن سواه.

ونخلص إلى القول إن الشاعر الموالي للنظام القبلي لا يكون مهمشاً أو بعيداً عن مركز التسلط بل عادة له دور حيوي في حياة القبيلة، فيغالي في تصوير فروسيته وفحولته لأن ذلك كله يصب في مصلحة القبيلة، وكأنه رمز للبطل الملحمي فيها، إضافة إلى إبرازه القوة والمنعة ذات الإطار الجماعي المتمثل بقبيلته، في حين أن الشاعر الصعلوك يطرح نفسه كإنسان عادي بلغة واقعية تخلو من المبالغات والزهو ومن خلال شخصانيته العالية، فلا يتحدث إلّا عما يقوم به من أعمال ولا يصف إلّا دوره الواقعي في الحياة.

*** * ***

227 – هو إسحاق بن مِرار الشيباني المعروف بـ "أبي عمرو الشيباني" ولد في الكوفة عام 110 هـ الموافق لعام 728 م وعاش وتوفي فيها عام 206 هـ الموافق لعام 821م، وهو نحوي كبير وعالم لغة عربية، عُدَّ من الثقات وروى الحديث، وكان له اهتمام بالشعر حيث جمع أشعاراً لأكثر من ثمانين قبيلة.

الفَصْلُ السادس

في مدار
قصيدة "لاميّة العرب"

لأمة العرب

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: لمحة سريعة عن قصيدة "لاميّة العرب"**
- **المبحث الثاني: خصوصية المعيار الوظيفي في "لاميّة العرب"**
- **المبحث الثالث: أبرز الآراء التي تناولت "لامية العرب"**

لأمة العرب

❖ المبحث الأول:

لمحة سريعة عن قصيدة "لاميّة العرب":

لم تقف قصيدة "لاميّة العرب" عند حدود السياق الإخباري والسياقات التوثيقية لحركة التاريخ في ذلك المقطع الزمني المهم والحساس من التاريخ العربي، كما يتعامل معها المستشرقون، بل تعدتها إلى خصائص لغوية مختلفة منها ذات دوافع نفسية وأخرى ذات دوافع فنية، أما على صعيد الدوافع النفسية فقد ركز الشاعر على المعاني ذات الحس العالي والطابع الشعوي الجياش، التي أفصحت عن نفسها في الموقف الشعري ذاته، وهذا ما يميز هذا العنصر بالفاعلية والأداء المتقن أكثر من غيره من العناصر الأخرى، بحيث نجح الشاعر في جعل هذا الدافع يؤدي وظيفة مزدوجة تجمعه مع المتلقي في شراكة حقيقية، أما على صعيد الدوافع الفنية فقد ابتدع الشاعر في هذه القصيدة رموزه الخاصة وجعلها ذات قدرة إيحائية تتحقق من خلال الجو النغمي والإيقاعي والمناخ الروحي المعنوي داخل القصيدة، وهذه الخصائص هي السر الحقيقي للوظيفة الحيوية للشعر وجوهر أزليته وروحه المستديمة، وقد أبدع في ذلك الشنفرى واستطاع أن يكثفه من خلال التأثير الجمالي لهذه القصيدة على روحية المتلقي، وهذا بحد ذاته حسب رأيي، سبب كافٍ لخلودها، بصرف النظر عن المؤثرات الأخرى الفكرية والاجتماعية والبيئية.

قصيدة "لامية العرب" تميزت عن سواها بكمال خصائصها اللفظية، فعبارتها تستوفي أبعاد مداليلها من دون قصور وتثريها من دون أن تقع بما يعيبها من الإطناب والإسهاب أو البوهيميّة، كما أن تراكيبها متكاملة تامّة ذات رصيد غني بالمداليل، وهي بهذا تقف في مقدمة القصائد الكبرى في العصر الجاهلي، بل تتعداه إلى العصور الأدبية الأخرى بروعة تشكيلاتها اللغوية وتراكيبها البلاغية التي

جسدت سمواً تعبيرياً ورقياً شعرياً سامقاً، بحيث أن الشاعر عندما يتحدث عن ذاته أو حين يصور واقعه وماحوله من مفردات البيئة والطبيعة كان ديدنه الوضوح والبساطة والعمق، ولم يلجأ إلى الإغراق والتكلّف والرمزية، والأهمُّ من ذلك أن جميع الألفاظ قد وضعت في مكانها الصحيح بدقة لا متناهية، والعبارات قد أدت غرضها المطلوب وأفضت إلى غاياتها، وإن جميع التراكيب كانت منسجمة مع بعضها البعض، سليمة البناء، أبياتها متساوقة بشكل عبقري، وقد أفصحت عن معانيها من دون ارتباك أو اضطراب أو خلل.

إن سر فخامة قصيدة "لاميّة العرب" نابع من كونها استبطنت العديد من العناصر والمكونات المختلفة والمتنوعة في مؤالفة ومواءمة وملاءمة قلَّ نظيرها داخل بنية النص الشعري، لدرجة يصعب الفصل بين مكوناتها، وذلك أمر بالغ الصعوبة إلى درجة عالية لا يتسنى لأي أحد بلوغها، أما إيقاع القصيدة فإنه منساب بشكل رصين لحد يجعل المتلقي رازحاً تحت وطأته غارقاً في مناخه الموسيقي، بحيث يستشعر تلك الانسيابية في الجملة والتفصيل، كما أنَّ الموسيقى الخارجية[228]للقصيدة تتناغم وتتفاعل مع الموسيقى الداخلية[229] لها بشكل عبقري راسخ.

يصور الشنفرى في لاميته المشهورة اعتداده بنفسه بأسلوب بياني رفيع المستوى، ويطرح تجربته الشخصية بثقة واعتداد، فنراه مفتخراً بانفراده وابتعاده عن قومه، متلذذاً بوحشة عيشه في البراري، وكأنه لم يأنس أحداً ولم يعاشر إلّا الضواري والسباع، لذا فلاغرو أن يصرح بانتسابه للذئب والنمر والضبع، أو يعلن عن اتخاذهم أصدقاء له، يستودعهم سره، لأنه يراهم مساندين مؤازرين لا يؤاخذ

[228] – البحر الشعري أو الوزن العروضي إضافة إلى القافية.

[229] – الجناس والنبر والتكرار والقافية الداخلية والبنية العامة للأصوات.

ولايخذل الجاني منهم بشيء فعله، وكأنه يستعيض بهم عن أهله وقومه الخاذلين له النابذين وجوده، والملاحظ أن ما ذكره عن أهليه الجدد من الضواري البرية ليس كما كان يفعله شعراء الجاهلية في الوصف كغرض شعري مقصود لذاته، وإنما ذكرهم كونه يعلن ارتباطه بهم وانتماءه إليهم، وهذا أسلوب مغاير عما كان مألوفاً عند الشعراء.

وفي لوحة فنية أخرى من القصيدة يصور لنا الشنفرى بحرفية عالية إحدى ليالي الشتاء القارس في دوامة الصحراء، حيث المطر المنهمر بغزارة من السماء فتفتح الأرض مساماتها له وهو ينقّع دخيلتها، فتشربته بنهم وتتمازج رمالها وأديمها معه حتى غدت الفيافي وحلاً، وفي تلك الأنواء التي يتغول بها القر الشديد والبرد القاسي، يظهر لنا نفسه في هذه اللوحة الجميلة فرداً صعلوكاً جلداً يقاسي برباطة جأش ذلك البرد البالغ التأثير على الجسد النحيل ويقارع ذلك الأذى الناجم من غزارة مطر السماء وشدة وحل الأرض في ظلال وحشة الليل، واستبداد الجوع بأحشائه وبلوغه منه مبلغاً لايطاق، وبعد اجتماع كل تلك العوامل والقوى البيئية والكونية على محاصرته وتطويق أس حياته، إذ جسمه يرتعد من الزمهرير وقسوته واستهتار البرد القارس في المكان وسطوة الظلام على الأفق واستفحال الجوع في بدنه، وعلى الرغم مما به من قوة وشكيمة وجلد، بات لا خيار لديه ولا مناص أمامه سوى تحطيم قوسه مع نبلها التي يعتز بها لأنه كم دافع بها عن حياته وكم دفع بها الوحوش والمخاطر عن حياضه، وبلحظة استثنائية راح يضرم النار فيها لكي يصطلي بها ويتدفأ بقبسها ووهجها ويصد بدفئها المنبعث ذلك البرد الفضيع.

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها

وَأَقْطُعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ[230]

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي

سُعَارٌ وإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ[231]

"لاميّة العرب" قصيدة في غاية الروعة والجمال والحبكة الفنية، تتجلى قوة التعبير فيها عند كل جزئية وكل حركة وسكنة فيها، وهي تستحق التتويج بهذا اللقب من دون سواها من القصائد اللامية الكبيرة في العصر الجاهلي مثل لامية امرؤ القيس، ولاميّة زهير بن أبي سلمى، ولاميّة عنترة بن شداد، ولاميّة كعب بن زهير، وغيرها من اللاميّات الكثيرة، وإذا تتبعنا التعبيرات المبنية بإتقان وحرفية التي استخدمها الشنفرى وما بثه من خلالها من تصوير شعري رفيع المستوى ومن أحاسيس عميقة، تعكس ما يدور في دخيلته من تصورات ومشاعر وما يعتصر فؤاده من آلام وشعور بالغربة، فسنتلمس الدرجة السامقة التي وصل إليها الشنفرى من النضج الفني، ونجده أحياناً يؤكد حنكته من خلال الاكتفاء بالإشارات السريعة التي تجعلنا نقاسمه الموقف ونعيش معه من خلال إعمال الذهن لاستحضار تلك اللحظات واستخلاص طبيعة شعوره وأحاسيسه وتفاصيل الحالة التي كان يمر بها، وهذا كله يعزز القيمة الفنية التي تستبطنها هذه القصيدة، وباختصار يمكن أن نقول عنها أنها صورة متقنة لحياة العرب في الجزيرة العربية في ذلك المقطع الزمني.

---

[230] – النَحْس: البرد الشديد. يصطلي: يستدفىء بالنار. ربّها: صاحبها. الأقطع: جمع قِطْع، وهو نصل السّهم. يتنبَّل: يتخذ منها النّبل للرمي.

[231] – دعست: مشيت. أو وطئت. الغَطْش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. السّعار: شدّة الجوع، الإرزيز: البرد. والوجر: الخوف. والأفكل: الرعدة والارتعاش.

لقد شغلت قصيدة "لاميّة العرب" الكثير من العلماء والمهتمين بالأدب العربي على مدى عصور عديدة. وراح كل عالم أو محقق يدلو بدلوه في جانب معين من جوانب هذه القصيدة سواء على الصعيد الفني منها أو الصعيد اللغوي والنحوي أو التاريخي أو الاجتماعي ولم يختلف أحد منهم على أهمية هذه القصيدة ومكانتها السامية بين القصائد. وقد نالت "لاميّة العرب" من الشهرة ومن اهتمام العلماء درجة لا تضاهيها كبريات القصائد في الشعر العربي بما فيها لامية كعب بن زهير الموسومة بـ (البردة)، ما عدا أن لامية كعب فاقتها في اهتمام الشعراء أنفسهم بها، ومعارضتهم إياها لما تتضمنه من قيمة اعتبارية وأهمية دينية، ذلك لأنها ألقيت بين يدي الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ونالت استحسانه وعفا من خلالها عن كعب تكريماً لقصيدته.[232]

ومن فرط أهمية "لاميّة العرب" نجد أن الباحثين والشارحين والمحققين قد انصرف كل واحد منهم في البحث في جانب معين منها، فالباحثون وعلماء اللغة العرب بشكل عام صبوا جلَّ اهتمامهم على الأغراض اللغوية التي تستبطنها هذه القصيدة، وسعوا إلى تحري الكنوز الفنية والقيم الجمالية التي تكتنزها، وعملوا على إبراز ما تحتويه من صور شعرية بارعة التصوير، ومن وصف مرهف التعبير ورؤى جمالية نادرة، إضافة إلى الأبعاد الإبداعيّة الأخرى، سواء ما يتعلق منها بالمشاعر والأحاسيس والعواطف الصادقة للشاعر، أو ما يتعلق بالأسرار البلاغيّة والبيانيّة وما تخللتها من الانزياحات اللغويّة،

[232] – كان الشاعر كعب بن زهير ممن ذاع صيته في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وراح يتغزل بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، غير أن كعباً جاءه مستأمناً بمعية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي ذكرنا مطلعها، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته.

ومن اشتغال على البنية اللغوية بحرفيّة عالية خصوصاً استخدام المفردات والتراكيب والجمل الشعرية المحبوكة في غاية الدقة والفخامة والجمال.

إن اعتناء الباحثين القدامى وعلماء العربية بلاميّة العرب كان اعتناءً فائقاً إذ صبّوا اهتماماً بالغاً بروايتها ولم يقتصروا على ذلك بل حفظوها وألزموا المتأدبين وطلبة علوم اللغة العربية وآدابها بحفظها، والغريب أنهم رغم هذا الاهتمام الفريد من نوعه بهذه القصيدة، إلّا أنهم لم يضبطوا اسم شاعرها ولا تفاصيل حياته ولا حتى مماته.

أما المستشرقون فقد تعاملوا مع "لاميّة العرب" بروح العقل والمنهج العلمي، فبعد أن قاموا بدراستها وترجمتها إلى اللغات الأوروبية المختلفة، عكفوا على دراستها من الناحية التاريخية والاجتماعية، وقد وجدوا فيها وثيقة متقنة ودقيقة تسلط الضوء على جوانب كثيرة من الحياة التي يحياها العرب في الجزيرة العربية بشكل عام وحياة الأعراب على وجه الخصوص خلال العصر الجاهلي الذي لا تتوفر فيه وثائق تحريرية مدونة، فلم يكن اهتمامهم أدبياً ولغوياً كما فعل علماء العربية، بل كان مختلفاً من حيث التوجه والهدف، فقد سعوا من خلالها إلى إيجاد تفسيرات دقيقة للأحداث التاريخية، واكتشاف القوانين المحركة التي كانت تحكم الواقع العربي في ذلك المقطع الزمني، من خلال شواهدها الناطقة بتفاصيل الحياة، وكذلك لكونها تزخر بالتصوير المتقن لطبيعة الحياة السائدة آنذاك في شبه الجزيرة العربية، هذه البقعة المهمة على سطح المعمورة.

والشيء الملفت للنظر في هذه القصيدة أنها جاءت على غير السياق المعهود لشعر الصعاليك الذي كان لا يتعدى الأبيات المعدودة والمقطوعات المتناثرة، كما أنها لا تعتدُّ بالسياقات الفنية التي كان يلتزم بها الشعراء في عصر ما قبل الاسلام، من حيث الوقوف على الأطلال والتشبب على الرسوم

الدوارس، وذكر الأيام الخوالي للأحبة، إضافة إلى وصف الراحلة وتفاصيل الرحلة وما إلى ذلك صعوداً إلى الغرض الأساسي للقصيدة.

"لاميّة العرب" من خلال كونها تنتمي لشعر الصعاليك تعتبر طويلة إلى حد ما، حيث بلغت تسعاً وستين بيتاً[233]، وهي متكاملة الأبعاد من الناحية الفنية، بحيث استطاعت أن تحتل مكانتها المتميزة والمتقدمة من بين أقوى القصائد في الشعر الجاهلي بما فيها المعلقات. كما استطاعت لاميّة الشنفرى أن تستحوذ على اسمها الاستثنائي هذا – لامية العرب – لأنها فذّةٌ في التعبير عن حياة العرب في العصر الجاهلي وكل ما يتعلق به من ظروف وتقاليد ومزاج وأخلاق.

وهنا يتبادر إلى الذهن كيف أنَّ قصيدة "لامية العرب" – التي هي محور الكتاب – للشاعر الشنفرى استدعت الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول بحقها: "علّموا أولادكم لاميَّة العرب، فأنها تعلمهم مكارم الأخلاق"[234]إذا لم تكن دليلاً قاطعاً على أن رسالة الصعاليك مثلما تخبرنا عنها أشعارهم التي هي لسان حالهم، كانت في جانب كبير منها، تجسيد عيني واقعي لمكارم الأخلاق التي بعث نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ليتممها،[235]لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الشعر هو

---

233 – إتخذ بعض الباحثين من هذه النقطة منطلقاً للتشكيك في نسبة قصيدة لامية العرب للشنفرى.

234 – مقولة مشهورة متواترة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وردت في كتب كثيرة منها كتاب (اشكالية الرواية والرواة، دراسة في الشعر العربي قبل الإسلام) تأليف عبد اللطيف حمودي الطائي صفحة 182. وتروى بسند ضعيف كحديث للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم

235 – الحديث الشريف: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) أخرجه أحمد 2/ 381 (8939) قال: حدثنا سعيد بن منصور. و «البخاري» في «الأدب المفرد» (273) قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس وكلاهما (سعيد، وإسماعيل) عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح السمان.

انعكاس لشخصية الشاعر ومبادئه، وناموس ناطق عن منطلقاته الأخلاقية، وما يختلج في سريرته من مشاعر وأحاسيس وعواطف ورؤى، وإن أصدق حالات الشاعر وتجلياته الحسية والقيمية تكون في لحظة الابداع.

ونظراً لبناء "لاميّة العرب" الشعري المحكم من حيث القالب الخارجي للقصيدة، والمحتوى المضموني على حد سواء، ونظراً لثرائها اللغوي ومعانيها الغنية وبنيويتها التي اشتملت على عوالم عديدة وصفحات مختلفة من حياة العرب، فقد تم تقسيمها عند بعض المفسرين والشرّاح إلى ست وحدات نصية بغية البلورة المنهجية لشرحها وهذه الوحدات هي:

الوحدة الاولى: (وحدة الرحيل) تضم مجموعة أبيات يصور الشاعر فيها انسلاخه عن واقعه القبلي ورفضه له وعدم التكيف مع محدداته القاسية.

الوحدة الثانية: (وحدة الذات) ويصور الشاعر في عدة أبيات من هذه الوحدة روحه المتمردة على سلبيات الواقع وخاصية الإباء المر التي يتمتع بها.

الوحدة الثالثة: (وحدة الذئب) وهي مجموعة أبيات يصور الشاعر فيها حالة الألم المرير الذي يعتريه وقدرته الفائقة على التغلب عليه والانتصار على جميع الكوابح النفسية والاجتماعية.

الوحدة الرابعة: (وحدة الصبر) يجسد الشاعر في الأبيات التي تتشكل منها هذه الوحدة ما يتمتع به من امكانيات مذهلة في الجلد، والصمود في الشدائد وتحمل المشاق والمصاعب.

الوحدة الخامسة: (وحدة الشؤم) يتفاقم عند الشاعر الاحساس بالتذمر والتشاؤم حداً يجعله يثور ثورته القاتلة المدمرة ويصور ذلك في عدة أبيات.

الوحدة السادسة: (وحدة الختام) وهي الخاتمة التي يخلص بها في قصيدته ومعالمها تتوضح في توصله إلى المجتمع البديل الذي يصبو إليه وتستقر نفسه فيه.

وبعد هذه اللمحة السريعة التي تناولت بعض التلمسات البسيطة حول قصيدة "لامية العرب" التي تعد من أشهر القصائد في تاريخ الأدب العربي ومن عيون الشعر العربي بات من الضروري بمكان أن أشير إلى أن من أهم أسباب اندفاع الباحثين والدارسين والمتخصصين بالأدب العربي من القدامى والمحدثين ومن العرب والمستشرقين على اختلاف مشاربهم وتفرق اتجاهاتهم وتنوع مصادر معارفهم ونزوعهم إلى العناية والاهتمام بشعر الشنفرى بشكل عام واللاميّة بشكل خاص، أنهم وجدوا في شعره كنزاً ومعيناً مهماً للمفردات العربية الفصحى ما رفع سقف اهتمامهم بها وعنوا بجمع الكلمات الموجودة في شعره والاستشهاد بها[236] لاسيما أنها تنتمي إلى عصور الاحتجاج[237].

ولابد من الإشارة إلى أن من أهم ميزات "لاميّة العرب" هي حيويتها البائنة التي تتجلى بتراكيبها التي أدت وظيفتها كما شاءها الشاعر أن تكون، وكذلك التراكيب الوصفية في النعت ذي خاصية التكثيف اللغوي، وهذا يدل على اختيار الشنفرى الذكي والمقصود للألفاظ المثقلة

---

[236] – استشهد صاحب "اللسان" وحده بثمانية وعشرين شاهداً من شعر الشنفرى في المواد: (عجج، سمر، شفر، شنفر، عمر، سجس، حبض، وفض، وسلع، ربغ، سحف، طنف، عرف، بسل، حسل، خلل، أمم، جنن، عقه، حلا، كها، ها، نسا، سرب، غرب، بلت، شمت، حثر).

[237] – هناك تعريفات وتحديدات عديدة لعصر الاحتجاج اللغوي أوضحها أنه يمتد على مدى ثلاثة قرون قرن ونصف قبل الإسلام ومثله بعده، ويبدأ تقريباً من عصر المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس، وينتهي بعصر الشعراء الإسلاميين ومنهم الفرزدق وجرير وذو الرمة وخُتم بإبراهيم بن هرمه الذي توفي عام 176 هـ. أما المولدون المحدثون كبشار بن برد وأبي نواس ومن أتى بعدهم فلا يحتج بأشعارهم.

بالمدلولات المختلفة الحمالة لمعاني عميقة، ولم يقف عند هذا الحد بل نجد أن التركيب الوصفي في شعر الشنفرى وبالذات في "لاميّة العرب" مرتبطاً بشكل وثيق بالتشبيه، فهو غالباً ما يعمق الوصف في الصورة التي يراها وبعد ذلك يقوم بتعزيزها بصورة ساندة من خلال استخدامه البارع والموفق للتشبيه.

❖ **المبحث الثاني**

خصوصية المعيار الوظيفي في لاميّة العرب:

الوظيفة علّة الجمال، وإن المعيار الوظيفي عنصر جمالي مهم، وكل شيء يؤدي وظيفته بشكل جيد ومتقن فهو جميل بالضرورة، هذا ما يعتقده منظروا علم الجمال، وهناك حلقتان يرتكز عليهما المعيار الوظيفي في جميع الأشياء، ويمكننا سحبها إلى الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام وخصوصاً شعر الصعاليك، وشعر الشنفرى الأزدي على وجه التحديد، وفي هذا المبحث سنسحبها بالذات إلى قصيدته الخالدة "لاميّة العرب" وهاتان الحلقتان هما:

1. **المعيار الذاتي: وهذا المعيار يمثل جملة الخواص التي لاتقبل الدحض أو التغيير ومن خلالها يكون الشيء موجوداً، على سبيل المثال: خاصية الضياء والإشراق في الشمس، خاصية الصلابة في الحديد أو الصخر، خاصية الحركة في الريح، خاصية العتمة والظلام في الليل، خاصية السيولة في الماء، وهكذا.**
2. **المعيار الاستعمالي: يرتكز هذا المعيار على السمات التي يكتسبها الشيء في السياق، ومن عناصر الجمال الوظيفي المهمة الأخرى، ومن عنصر الحيوية في التراكيب في الشعر.**

ولقد أولى جميع الشعراء الجاهليين عنايتهم بهذا العنصر، وتأتي هذه العنانية كانعكاس لحبهم للحياة وتمسكهم بكل ما يرتبط بحركتها، أما الشاعر الشنفرى على وجه التحديد فإن الحيوية عنده تظهر بشكل جلي في أغلب قصائده من خلال التراكيب التي تؤدي وظيفتها ببراعة طافحة، كونه ذا قدرة كبيرة على التصوير الرائع في جميع العوالم والبيئات، فنجد ذالك متجسداً في الصور التي تعبر عن العلاقات الإنسانية أو عالمي الحيوان والنبات على حد سواء.

أما في لاميّة العرب نجد أن الشنفرى كان حريصاً بشكل ملفت للنظر على الأداء الوظيفي للتراكيب بدءًا من تصوير أدق التفاصيل وأبسط المشاهد، وصولاً إلى تصوير الحياة بكل حركاتها وسكناتها، فعلى سبيل المثال تصوير لوحة الذئب في لاميّة العرب كانت على درجة عالية من البراعة والروعة، ومثل هذه اللوحات موجودة في الشعر الجاهلي مثل لوحة العقاب والثعلب في قصيدة عبيد بن الأبرص، ولوحة الناقة في معلقة طرفة ابن العبد، ولوحة الفرس في معلقتي كل من امرئ القيس وعنترة بن شداد، ولوحة الأتان يتبعها الحمار الوحشي في معلقة لبيد، غير أن لوحة الذئب في لاميّة العرب كانت متميزة في دقة تصويرها وعمق إحساسها.

ولو أخذنا أنموذجاً آخراً لكي نتعرف من خلاله على الطاقة التعبيرية الكبيرة للشنفرى، ونقف أمام قدرة الشنفرى الفذة على إبراز حسن الأداء الوظيفي للتراكيب، وجعله معياراً متقناً لسلامة وصحة الصياغة وعنصراً مهماً من عناصر الجمال فيها، ولأجل تبيان ذلك نستعرض مشهد الذئاب الذي وصفه الشنفرى في لاميته وصفاً مذهلاً، إذ يقول:

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها

شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها

وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ به

مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ

وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها

على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

يجمع الباحثون أن هذه الصورة التي أجاد فيها الشنفرى وصف الذئاب أيما إجادة تعكس من جانب آخر حالة الانسجام الكبير مع ذاته وصلحه مع نفسه على الصعيد الحقيقي الواقعي، فلو تلمسنا هذا الوصف نجده يقول: إن هذه الذئاب على ضعفها وهزالها، كانت شديدة السرعة وهي تشبه يعسوب النحل، الذي يقوم برعاية من في معيته في جميع الاتجاهات يميناً وشمالاً ولا يتركها مطلقاً دون وافر عنايته خوفاً عليها من أي طارئ قد يعرضها للهلاك، وهذه الذئاب كما يصفها مفتحة الأفواه وأشداقها واسعة وذلك من شدة الجوع، وقد عوت وصاحت وضجت صياحاً وجزعاً في الأرض الواسعة بحثاً عما يسد رمقهم من طعام، ولكن من دون جدوى إذ ليس هناك من طعام تجده، وليس

أمامها إلا العويل كالنساء اللاتي فقدن آباءهن أو أبناءهن. حقاً إنها صورة مركبة رائعة قد انتزعها الشنفرى من بيئته فأحسن التصوير.[238]

❖ المبحث الثالث

أبرز الآراء التي تناولت "لامية العرب":

سأكتفي في هذا المبحث بذكر بعض ما قيل عن اللاميّة من آراء ووجهات نظر لأبرز الباحثين والمحققين في تاريخ الأدب العربي من القدامى والمعاصرين العرب منهم وغير العرب وكذلك آراء المستشرقين الذين اهتموا بدراسة "لاميّة العرب" اهتماماً بالغاً، بصرف النظر عن أساليب الدراسة والتحقيق التي اعتمدوها وطبيعة الغايات والنوايا المتعلقة بغرض الدراسة.

وأستفتح برأي المستشرق الألماني الشهير كارل بروكلمان[239]الذي يقول فيه: (أما في لاميّة الشنفرى فيواجهنا مذهب شعري مستقل، فقد اتخذ الشاعر الوصف بمثابة المنظر الأساسي لتصوير الإنسان نفسه وأعماله).

---

[238] – بتصرف عن كتاب (الشنفرى شاعر الحب والصحراء)، للدكتور محمود حسن أبو ناجي الصفحة 138 الطبعة الثالثة 1984 مؤسسة علوم القرآن. دمشق–سوريا

[239] – كارل بروكلمان ولد في 17 سبتمبر 1868 في مدينة روستوك، وكان مستشرق ألماني قد بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، وكانت أشد أمانيه العيش فيما وراء البحار، وذلك بسبب انحدار حياة الأعمال في روستوك، وتطلع العديد من التجار إلى العمل فيما وراء البحار. وهو لا يزال في الثانوي، بدأ يدرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية. درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق ثيودور نولدكه. وقد كلفه نولدكه بالقيام بدراسة عن العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وقد استطاع الحصول على الدكتوراه الأولى عام 1890. وقد انتخب بروكلمان في المجامع العلمية في كل من: برلين وليبزيج

أما عالم الدراسات الشرقية الألماني جورج ياكوب[240]فيقول: (إن اللاميّة تنتهج مذهباً شعرياً ممتازاً لدرجة تنبئ عن صاحب اللامية).

ويقول المستشرق الإيطالي كارلو نَلّينُو[241]: (أما الشنفرى الأزدي فصاحب اللاميّة المشهورة التي يفتخر فيها بانفراده من قومه ووحشة عيشه في البراري كأنه لم يعاشر إلا السباع، وهي قصيدة غاية في الجمال تنطق بلسان حال الشاعر).

ومن آراء العرب والمسلمين يقول أبو علي القالي[242]عن اللاميّة: (فيها من مقومات الحسن والفصاحة والطول).

وبودابست وبون ودمشق، وغيرها.اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية)، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. ومن أشهر مؤلفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها. كما أنه أول من نشر كتابًا عربيًا قديمًا مجهولًا عن فنون المعاشرة ونسبه زورًا للإمام السيوطي، غير أن هذا الكتاب غير مذكور في فهرست.

240 – مرت ترجمته.

241 –كارلو ألفونسو نَلّينُو مستشرق إيطالي ولد عام 1872 م وتوفي عام 1938 م طبعت محاضراته بالعبرية عن "تاريخ علم الفلك عند العرب" في روما عام 1911 م، كما طبعت محاضراته عن "تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية" بعد وفاته.

242 – أبو علي القالي هو إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ولد عام 288 هـ وتوفي عام 356 هـ. لغوي نشأ في المشرق ثم انتقل إلى الأندلس. ألف القالي العديد من التصانيف أشهرها "الأمالي" وهو كتاب في نوادر الأخبار والأشعار، و"البارع في اللغة" و"المقصور والممدود والمهموز" و"الأمثال" و"الإبل ونتاجها" و"مقاتل الفرسان" و "في حلي الإنسان والخيل وشياتها" و"فعلت وأفعلت" وكتاب في شرح المعلقات، و"تفسير السبع الطوال".

أما صاحب "معجم البلدان" ياقوت الحموي[243]فهو يفضل شعر الشنفرى لأن: (قول الشنفرى أبلغ، لأنه نزه نفسه عن ذي الطول).

في حين أن العالم اللغوي الكبير أبو هلال العسكري[244]يقول: (ومما هو فصيح في لفظه، جيد في وصفه قول الشنفرى:

أطيلُ مطالَ الجوعِ حتّى أميتَهُ

وأضربُ عنه القلب صفحاً فيذهلُ

أما أبو العباس المبرد[245] بخصوص البيت التالي:

ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ

---

[243] – هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ولد في عام 574 هـ وتوفي عام 626 هـ.أديب ومؤلف موسوعات وخطّاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، وقد سمى نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب (معجم البلدان) الذي ترجم وطبع عدة مرات. وهو رحالة جغرافي وأديب وشاعر وخطاط ولغوي ولد في الروم وقيل في اليونان عام، ويلقب بالحموي نسبة لسيده الذي اشتراه عندما أسر وبيع في بغداد.

[244] – هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحي بن مهران اللغوي العسكري. عالم لغوي رائد، له جهد محفوظ في مجالات البلاغة والنقد والأدب. له مجموعة كتب منها: كتاب جمهرة الأمثال، ديوان المعالي ومعاني الأدب، وكتاب في شرح الحماسة، وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر وله ديوان شعر؛ وكتاب الصناعتين الشعر والنثر.

[245] – هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المعروف بالمبرد، ولد في البصرة في 10 ذو الحجة عام 210 هـ الموافق لعام 825 م وتوفي عام 286 هـ الموافق لعام 899 م، عالم جِهْبِذ في علوم البلاغة والنحو والنقد ومن أكبر علماء البصرة شغل مكانة مهمة في التاريخ النحوي لأن رياسة النحو البصري انتهت إليه، من أبرز مؤلفاته (الكامل في اللغة والأدب).

وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

يقول: لا أعلم أحداً وصف القوس بهذه الصفة غيره. (يقصد وصفه للقوس صفراء عيطل)

* * *

لامية العرب

الفَصْلُ السابع

نصُّ "لاميّة العرب"

مع شرح موجز

لأمة العرب

يشتمل هذا الفصل على مبحثين هما:

- **المبحث الأوّل: إضاءات على شرح اللاميّة**
- **المبحث الثاني: النص مع الشرح**

لأمة العرب

❖ المبحث الأوّل

إضاءات على شرح اللاميّة:

بعد العرض السريع الذي دار على هامش لاميّة العرب، وبحث كل ما له علاقة بهذه القصيدة الكبرى في الفصول السابقة، وبعد دراسة أبرز المتعلقات ذات الصلة بالقصيدة وأهم الظواهر الموضوعية المحيطة بها من جهة، وطبيعة العلاقات الإنسانية والهموم الاجتماعية والتوصلات الرؤيوية الخاصة التي صدرت على شكل زفرات حرى من دخيلة الشاعر من جهة أخرى، وبعد هذه السياحة الماتعة في أروقة التراث الأدبي العربي بمختلف عصوره، بات من الضروري بمكان أن نرخي أعنة ركابنا ونريحها عند واحة متن لاميّة العرب لنستفيء في ظلالها وظلال الشروح التي تناولتها بغية التعرف عن كثب على هذه القصيدة العملاقة التي عكست مدى علاقة الشاعر بالمنظومة القيمية والاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

لقد حددت "لاميّة العرب" معالم وجود شاعرها في ظل مجتمع معقد مطبوع بالأنفة والحمية والغلظة، كما أفصحت من جانب آخر عن قدرة الشاعر على الانتقال من عالم قاسٍ عانى منه وذاق الأمرين تحت وطأته، إلى عالم يتسم بالمثالية ومكارم الأخلاق، ما جعله يعبر خير تعبير عن وجوده الإنساني وعلاقاته بالماحول من موجودات حياتية وعينية ومعنوية، وهذا بحد ذاته انعكاس لعمق شخصية الشاعر وخبرته الكبيرة المتكأة على تجاربه المريرة والكثيرة التي اكتسبها في مشوار حياته الاستثنائية والتي قد تمثلت أمام عينيه متجسدة، فراح يصورها بحرفية وبراعة وجمال في لحظة إبداعية نادرة عبر كمية الحقائق التي فرضت نفسها ونوعية المواقف التي استوجب اتخاذها تجاه الحياة بشكل عام والمجتمع الذي عاش فيه بشكل خاص.

إن حصيلة معرفية بمقدار معرفة الشنفرى بحركة واقع العصر الجاهلي وقوانينه، وخبرة بحجم خبرته بالأشياء والظروف القائمة آنذاك، تمكنه كشاعر من طرح رؤيته الخاصة، والتعبير بثقة ورسوخ عن الحياة بمعناها الشامل الأوسع، ومثل هذا التعبير بطبيعة الحال لا يمكن أن يتحقق ضمن المجال اللغوي للقصيدة فقط، بل لابد أن تكون له امتدادات متجذرة في تجربة الشاعر الإنسانية، والمناخ الشعوري المصاحب للحظة الإبداعية الخلّاقة، ومن خلال ذلك كله استطاع أن يتجلّى بالحقيقة كما يشاء وحقق ذاته إبداعياً ووجودياً وفق تصوراته وأفكاره وتوصلاته ورؤاه الخاصة، وبذلك تمكن من إحالة نص القصيدة من بعده الإبداعي اللغوي المحدود، إلى تجربة وجودية لا تقف عند حدود الأطر الذاتية والموضوعية المجردة، بل تتعداها إلى رحبة أوسع من التنظير المعرفي، وإلى أرضية خصبة من الحراك التأملي والفكري.

إن تهافت الشراح عبر العصور على شرح لاميّة العرب لم يكن تهافتاً إعتباطياً، فهي بالإضافة إلى جزالة اللفظ فيها، ورصانة بنائها اللغوي وصياغة تراكيبها المحكمة، فيها من الأسرار والخصائص ما يجعل أعناق الباحثين تشرئب نحوها، ومن هذه الخصائص مستواها البلاغي العالي ودقتها اللامتناهية في نقل الجزئيات بمقدار مناسب دون أن يقع الشاعر في الإطناب أو الإخلال، إضافة إلى تدرجها المتقن في الصور، وقدرتها الوصفية التفصيلية المعتمدة على حرفية عالية، بحيث لا تخالج صورها أي فجوة، ولايقف أي حاجز معيق أمام توصلاتها الرؤيوية والفكرية الكبيرة، ويكفي أنها قد حظيت بآراء كثيرة ومتعددة تثني عليها من مشارب مختلفة وعلى مدى عصور طويلة، لدرجة قيل عن شاعرها أنه يبحث في هذا الشعر عن مدينة فاضلة تعتمد على أصول إنسانية[246].

---

[246] – الشعر العربي قبل الاسلام. تأليف: حسون الراوي، الصفحة 71. بتصرف

ولكي نفهم أجواء هذه القصيدة بشكل أوسع مما جاء في الشروح العادية العديدة لها، علينا أن نتصور كيف أن الشنفرى استطاع أن يعايش الكائنات الموجودة في الطبيعة ويدخل إلى عالمها ويقوم بتحليل سلوكياتها ويتعمق في تفسير طبائعها لدرجة الفهم السايكولوجي العميق والخبير إذا جازت التسمية لجميع تلك الكائنات، فهو يعرف ما فيها من غرائز ويفسر ما تروم إليه في حركاتها وسكناتها، ويحاول التلاحم والممازجة بينه ككيان إنساني، وبين كل ما يحيط به من موجودات بيئية وطبيعية، وكأنه قد اندمج بشكل تام مع تلك الكائنات وشكّل معها وحدة وجودية منسجمة لا يمكن فك عراها، كما أنه من خلال خبرته الكبيرة والراسخة في البيئة الصحراوية يحاول صهر تلك الطبيعة بكل أبعادها وكائناتها مع حالته النفسية المحتدمة وباستخدام قدراته الذهنية الفائقة ليظهر لنا مقدرته النادرة الوجود على رسم الصورة الشعرية الفريدة.

ومن أجل الاستمتاع بهذه القصيدة والتنعم بظلال دوحتها اللغوية الغناء وجماليات التراكيب والصور، كان لابد من إرفاق شرح مكثف غير مخل لكل بيت من أبياتها. وقبل ذلك أود أن أشير إلى أن "لامية العرب" تتألف من تسع وستين بيتاً على وزن البحر الطويل، والبحرُ الطويل وزنه القياسي حسب الدائرة العروضية هو:

فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ

فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ

وفي هذا الفصل سوف أطرح النص بشكله الكامل المحقق والمشكل بالحركات الإعرابية الدقيقة والمنقحة والتي تحققت منها من مضانها، وسيكون الشرح معتمداً على شرح الأديب واللغوي محمد أسامة البهائي مع تصرف استمده من قرائتي للشروح المتعددة الأخرى، مبتعداً بذلك عن الإطالة والإسهاب

التي قد تشغل القارئ أو تتعبه، فيجد مبرراً لعدم المتابعة، ولابد من الإشارة إلى وجود عشرات الشروح التفصيلية لكل حيثيات قصيدة "لاميّة العرب" لذلك سأكتفي بالشرح المقتضب، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد الحليم حنفي في كتابه "شرح ودراسة لاميّة العرب للشنفرى" إلى وجود بعض الاختلافات في الألفاظ بين الروايات التي نقلت عن اللامية، وبخاصة ما بين روايتي الزمخشري وأبو علي القالي. وهذا الاختلاف منصب على الألفاظ، أما المعاني فقد احتفظت بجوهرها في جميع الروايات[247].

❖ المبحث الثاني

النص مع الشرح:

لقد آليت أن يكون الشرح مرفق بكل بيت من أبيات القصيدة على حدة بطريق الهامش أسفل كل صفحة، وإليكم النص الكامل مع الشرح:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ

فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ[248]

---

[247] – كتاب "شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى" الطبعة الأولى الذي نشرته مكتبة الآداب في القاهرة سنة 1429 هـ الموافق لسنة 2008 م. الصفحة 7.

[248] – بنو الأم: الأشقاء أو غيرهم ما دامت تجمعهم الأم، واختار هذه الصِّلة لأنَّها أقرب الصِّلات إلى العاطفة والمودَّة. وقد خصّ بالنداء بني أمّه، لأن رابطة الأمومة هي أقوى الوشائج الإنسانية من الناحية العاطفية، وأقواها وداً وأكثرها قرباً وحميمية، وهو بهذا كأنه يريد الابتعاد عن النزعة القبلية والعشائرية الذكورية التي تغمط حقوق النساء. والمطيّ: كل ما يُمتَطى من الحيوان، والمقصود بها، هنا، الإبل. أما قصده بإقامة صدورها: فهو التهيؤ للرحيل. والشاعر يريد استعداد قومه لرحيله هو عنهم وليس رحيلهم عنه، وربما أشار بقوله هذا إلى أنَّهم لا مقام لهم بعد رحيله، فمن الخير لهم أن يرحلوا.

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقمرٌ

وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ[249]

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى

وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ[250]

لَعَمرُك مَا الأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ

سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ[251]

[249] – حُمَّت: قُدِّرتْ ودُبِّرت. والطِّيَّات: جمع الطِّيَّة، وهي الحاجة، وقيل: الجهة التي يقصد إليها المسافر. وتقول العرب: مضَى فلان لطيَّته، أي لنيّته التي أرادها. الأرْحل: جمع الرحل، وهو ما يوضَع على ظهر البعير. وقوله: "واللَيل مقمِرٌ" كناية عن تفكيره بالرحيل في هدوء ووضوح، ولا يريد أن يكون قرار رحليه مخفياً على أحد. ومعنى البيت: لقد قُدِّر رحيلي عنكم، فلا مفرّ منه، فعليكم بالتهيؤ له.

[250] – المَنأى: المكان البعيد. القِلى: البغض والكراهية. ومتعزّل: مكان لمن يريد اعتزال الناس. ومعناه أن الكريم يستطيع أن يتجنب الذلّ، فيهاجر إلى مكان بعيد عمَّن يُنتظر منهم الذلّ، كما أن اعتزال الناس أفضل من احتمال أذيتهم.

[251] – لعمرك: قَسَم بالعمر. سرى: مشى في الليل. راغباً: أي تحدوه رغبة. راهباً: يقصد مرتهباً أي خائفاً. والبيت تأكيد لمفاد البيت السابق، ومعناه أن الأرض واسعة سواء لصاحب الحاجات والآمال أم للخائف.

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون، سِيدٌ عَمَلَّسٌ

وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[252]

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ

لَدَيْهِمْ، وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[253]

وَكُلُّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي

إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أبْسَلُ[254]

---

[252] – دونكم: غيركم. الأهلون: جمع أهل وهو جمع شاذ ملحق بجمع المذكر السالم، لأن (أهل) اسم جنس جامد لايستوفي شروط هذا الجمع. السِّيد: الذئب. العَملَّس: القويّ السَّريع. الأرقط: الذي فيه سواد وبياض. زُهلول: خفيف. العرفاء: الضبع الطويلة العُرف. جَيْئَل: من أسماء الضبع. والمعنى أن الشاعر اختار مجتمعاً غير مجتمع أهله، كلّه من الوحوش، وهذا هو اختيار تفرد به الصعاليك والشنفرى على وجه الخصوص.

[253] – هم الأهل أي إن الوحوش هم أهله، فقد عامل الشاعِرُ الوحوشَ معاملة العقلاء، وهو جائز. وقوله: "هم الأهل" بتعريف المسنَد، فيه قَصر، ولم يقل هم أهلٌ، وكأنَه قال: هم الأهل الحقيقيّون لا أنتم. والباء في "بما" للسببية. والجاني: المقْترف الجناية أي الذنب. جرَّ: جنى. يُخْذَل: يُتَخلّى عن نصرته. والشاعر في هذا البيت يقارن بين مجتمع أهله ومجتمع الوحوش، فيفضل الثاني على الأول، وذلك لأن مجتمع الوحوش لا يُفْشِي الأسرار، ولا يخذل بعضه بعضاً بخلاف مجتمع أهله الأول.

[254] – وكلٌّ: أي كل وحش من الوحوش التي ذكرتها. أبيّ: يأبى الذّلَّ والضيم. باسلٌ: شجاع بطل. الطرائد: جمع طريدة، وهي كل ما يُطارد فيصاد من الوحوش والطيور. أبْسَل: أشَدّ بسالَةً. والشاعر يتابع في هذا البيت مدح الوحوش فيصفها بالبسالة، لكنه في النهاية يفتخر بإنّه أبسل وأكثر شجاعة منها أي أن لجوءه إليها ليس من باب ضعفه وافتقاره لقوتهم.

وَإنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أكُنْ

بأَعْجَلِهِمْ، إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ[255]

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ

عَلَيْهِمْ، وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[256]

وَإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً

بِحُسْنَى، ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ[257]

ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ

وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ[258]

---

[255] – الجَشع: النَّهم وشدَّة الحرص. وفي هذا البيت يفتخر الشاعر بقناعته وعدم جشعه، فهو، وإنْ كان يزاحم في صيد الطرائد، فإنه لا يزاحم الآخرين في أكلها تعففاً وكرماً وتأكيداً على الكاريزما واللياقة الشخصية التي يتمتع بها.

[256] – ذاك: كناية عن أخلاقه التي شرحها. البسطة: السعة. التفضُّل: ادّعاء الفضل على الغير، والمعنى أنَّ الشاعر يلتزم هذه الأخلاق طلباً للفضل والرِّفعة من باب اعتداده بنفسه.

[257] – التعلّل: التلهّي، والمعنى: ليس في قربه سلوى لي، يريد: أني فقدتُ أهلًا لا خير في مكوثي قربهم، لأنهم لا يقدِّرون المعروف، ولا يجزون عليه خيراً، وليس في قربهم أدنى خير يمكن أن يُتَعلّل به.

[258] – المُشيَّع: الشجاع. كأنَّه في شيعة كبيرة من الناس. الإصليت: السَّيف المُجرَّد من غمده. الصفراء: القوس من شجر النَّبع. العيطل: الطويلة. والمعنى أن عزاء الشاعر عن فقد أهله ثلاثة أشياء يكمل بعضها البعض: قلبه القويّ الشجاع، وسيفه الأبيض

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُونِ تَزِينُها

رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ[259]

إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها

مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرنُّ وَتُعْوِلُ[260]

وَأغْدو خَمِيصَ البَطْن لا يَسْتَفِزُّنِي

إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤادٌ مُوَكَّلُ[261]

الصارم المسلول، وقوسه الطويلة العنق المصنوعة من شجر النبع ذي العود الأصفر الذي تصنع القسي منه، ويكثر هذا الشجر جنوب المملكة العربية السعودية، وبهذا الصدد يقول أبو العباس المبرد: لا أعلم أحداً وصف القوس بهذه الصفة غيره.

[259] – هَتوفٌ: مُصَوِّتة التي تصدر صوتاً عند الرمي. الملس: جمع ملساء، وهي التي لا عُقَد فيها. المُتون: جمع المتن، وهو الصُّلب. والرصائع: جمع الرصيعة، وهي ما يُرصَّع أي يُحلَّى به. نيطت: عُلِّقت. المِحْمَل: ما يُعلَّق به السيف أو القوس على الكتف. والشاعر في هذا البيت يصف القوس بأنّ لها صوتاً عند إطلاقها السهم، وبأنَّها ملساء لا عُقد فيها تؤذي اليد، وهي مزيَّنة ببعض ما يُحلَّى بها، بالإضافة إلى المحمل الذي تُعلَّق به.

[260] – زلّ: خرج. حنين القوس: صوت وترها. مُرزَّأة: كثيرة الرزايا (المصائب). عَجْلى: سريعة. تُرنّ: تصوِّت برنين. تُعول: ترفع صوتها بالبكاء والعويل. والمعنى أن صوت هذه القوس عند انطلاق السهم منها يشبه صوت أمرأة تعاني من مصيبة، موجوعة وحزنها شديد، حين تبكي تصرخ وتولول.

[261] – خميص البطن ضامره من شدة الجوع، لا يستفزّني: لا يثيرني. الحِرْص: الشَّرَه والجشع والتلهف الغير متزن إلى الشيء والتمسّك به، وهو بهذا البيت قد مدح نفسه المتعففة.

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَه

مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ[262]

ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ

يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ[263]

وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فؤادَهُ

يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ[264]

---

[262] – المهياف: الذي يبعد بإبله طالباً المرعى على غير علم، فيعطش. السوام: الماشية التي ترعى. مجدَّعة: سيئة الغذاء. السُّقبان: جمع سقْب وهو ولد الناقة الذكَر. بُهَّل: جمع باهل وباهلة وهي التي لا صرار عليها (الصِّرار: ما يُصَرّ به ضرع الناقة لئلا تُرضَع). يقول: لستُ كالراعي الأحمق الذي لا يُحسن تغذية سوامه، فيعود بها عشاءً وأولادها جائعة رغم أنها مصرورة. وجوع أولادها كناية عن جوعها هي، لأنها، من جوعها، لا لبن فيها، فيغتذي أولادها منه.

[263] – الجُبَّأ: الجبان. والأكهى: الكدِر الأخلاق الذي لا خير فيه، والبليد. مُربّ: مقيم، ملازم . عرِسه: امرأته. وملازمة الزوج يدلّ على الكسل والانصراف عن الكسب والتماس الرزق. وفي هذا البيت ينفي الشاعر عن نفسه الجبن، وسوء الخلق، والكسل، كما ينفي أن يكون منعدم الرأي والشخصية فيعتمد على رأي زوجه ومشورتها.

[264] – الخرق: ذو الوحشة من الخوف أو الحياء والمراد، هنا، الخوف. والهيق: الظّليم (ذكَر النعام)، ويُعرف بشدّة نفوره وخوفه. والمُكّاء: ضرب من الطيور. والمعنى: لست مِمَّن يخاف فيقلقل فؤاده ويصبح كأنّه معلّق في طائر يعلو به وينخفض.

ولا خَالِفٍ داريَّةٍ مُتَغَزِّلٍ

يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ[265]

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ

أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أعْزَلُ[266]

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتحَتْ

هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هؤجَلُ[267]

---

[265] – الخالف: الذي لا خير فيه. يقال: فلان خالفة (أو خالف) أهل بيته إذا لم يكن عنده خير. والدَّاريّ والداريّة: المقيم في داره لا يبرحها. المتغزّل: المتفرّغ لمغازلة النساء. يروح: يسير في وقت الرواح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى اللَّيل. يغدو: يسير في الغداة، وهو الوقت من الصباح إلى الظهر. والداهن: الذي يتزيَّن ويدهن نفسه وشعره. يتكحّل: يضع الكحل على عينيه. والمعنى أن الشاعر ينفي عن نفسه الكسل، ومغازلة النساء، والتشبّه بهنّ في التزيّن والتكحّل. وهو يثبت لنفسه، ضمناً، الرجولة.

[266] – العَلّ: الذي لا خير عنده، والصَّغير الجسم يشبه القُراد. ألفّ: عاجز ضعيف. رعتَه: أخفْتَه. اهتاج: خاف. الأعزل: الذي لا سلاح لديه.

[267] – المِحْيار: المتحيّر. انْتَحَتْ: قصدت واعترضَتْ. الهدى: الهداية، والمقصود هداية الطريق في الصحراء. الهوجل: الرجل الطويل الذي فيه حمق. العِسّيف: الماشي على غير هدى. اليَهْماء: الصحراء. الهَوْجَل: الشديد المسلك المَهول. وفي البيت تقديم وتأخير. والأصل: لست بمحيار الظلام إذا انتحت يهماء هوجل هدى الهوجل العسيف. والمعنى: لا أتحيّر في الوقت الذي يتحير فيه غيري.

إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي

تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ[268]

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ

وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ[269]

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ

عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ[270]

---

[268] – الأمعز: المكان الصّلب الكثير الحصى. الصَّوّان: الحجارة الملس. المناسم: جمع المنسم، وهو خفّ البعير. شبّه قدميه بأخفاف الإبل. القادح: الذي تخرج النار من قدمه. مفلَّل: متكسِّر. والمعنى أنه حين يعدو تتطاير الحجارة الصغيرة من حول قدميه، فيضرب بعضها بحجارة أخرى فيقدح ويتطاير شرر نار وتتكسَّر.

[269] – أُديم: من المداومة، وهي الاستمرار. المطال: المماطلة. أضرب عند الذِّكْر صَفْحاً: أتناساه. فأذهل: أنساه. يقول: أتناسى الجوع، فيذهب عنّي. وهذه الصورة تعكس شظف العيش وحياة الصَّعْلَكَة.

[270] – الطَّوْل: المَنّ. امرؤ متطوِّل: الشخص المنّان. والمعنى أنه يفضل أن يستفَّ ويأكل تراب الأرض على أن يمدّ أحد إليه يده بفضل أو لقمة يمنّ بها عليه.

ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ

يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ[271]

وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي

على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ[272]

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ

خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ[273]

---

[271] – الذَّأم والذَّام: العيب الذي يُذمّ به. يُلفى: يوجد. والمعنى: لولا تجنُّبي ما أذمّ به، لحصلت على ما أريده من مأكل ومشرب بطرق غير كريمة.

[272] – مُرَّة: صعبة أبيّة. الذَّام: العيب. وفي هذا البيت استدراك، فبعد أن ذكر الشاعر أنّه لولا اجتناب الذمّ لحصل على ما يريده من مأكل ومشرب، قال مستدركاً إن نفسه لا تقبل العيب قَطّ والموت دون ذلك.

[273] – الخَمص: الجوع، والخُمص: الضُّمر. الحوايا: جمع الحويَّة، وهي الأمعاء. الخيوطة: الخيوط. ماريّ فاتل، وقيل: اسم رجل اشتُهر بصناعة الحبال وفتلها. تغَارُ: يُحكم فتلها. والمعنى. أطوي أمعائي على الجوع، فتصبح، لخلوّها من الطعام، يابسة ينطوي بعضها على بعض كأنها حبال أُتقن فتلها.

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا

أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ[274]

غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً

يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ[275]

فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ

دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ[276]

---

[274] – أغدو: أذهب في الغداة. القوت: الطعام. الزهيد: القليل. الأزلّ: صفة للذئب القليل اللحم. تهاداه: تتناقله وتتداوله. التنائف: الأرضون، واحدتها تنوفة، وقيل: هي المفازة في الصحراء. الأطحل: الذي في لونه كدرة. يشبه الشاعر نفسه بذئب نحيل الجسم جائع يتنقل بين الفلوات بحثاً عن الطعام ويكفيه منه القليل.

[275] – الطاوي: الجائع. يعارض الريح: يستقبلها. أي: يكون عكس اتجاهها. وهذا الوضع يساعده على شمّ رائحة الفريسة واتّباعها. الهافي: الذي يذهب يميناً وشمالاً من شدَّة الجوع، وقيل معنى الهافي: السريع في العدو. يخوت. يختطف وينقض. أذناب: أطراف. الشِّعاب: جمع الشِّعب، وهو الطريق في الجبل. يعسل: يمر مَرَّاً سَهْلاً. وفي هذا البيت تتمة لما في البيت السابق من وصف للذئب.

[276] – لواه: دفعه، وقيل: مطله وامتنع عليه. أَمَّه: قصده. النظائر: الأشباه التي يشبه بعضها بعضاً. نُحَّل: جمع ناحِل، وهو الهزيل الضامِر. يقول: بعد أن يئس هذا الذئب من العثور على الطعام، استغاث بجماعته، فأجابته الذئاب رغم كونها جائعة ضامرة مثل حاله.

مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنَّها

قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ[277]

أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ

مَحَابِيضُ أرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ[278]

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها

شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ[279]

---

[277] – مُهَلَّلة: رقيقة اللحم، وهي صفة لـ "نظائر" التي في البيت السابق. شِيب: جمع أَشْيَب وشيباء. القِداح: جمع قِدْح، وهو السَّهْم قبل بريه وتركيب نصله، وهو، أيضاً، أداة للقمار. الياسر: المقامِر. تتقلقل: تتحرك وتضطرب. وفي هذا البيت يصف الشاعر الذئاب الجائعة الباحثة عن الطعام، فإذا هي نحيلة من شدة الجوع، شعر وجوهها أبيض، مضطربة كسهام القمار.

[278] – "أو" للعطف إمّا على الذئب الأزلّ في البيت الذي سبق قبل ثلاثة أبيات، وإمَّا على، " قداح " التي في البيت السابق، وجاز عطف المعرفة على النكرة لأنه أراد بـ "الخشرم" الجنس إبهاماً، و"قداح" وإن كان نكرةً، فقد وُصف، فاقترب من المعرفة. والخشرم: رئيس النحل. حَثْحَثَ: حرك وأزعج. الدَّبْر: جماعة النَحْل. المحابيض: جمع المحبض، وهو العود مع مشتار العسل. أرداهُنَّ: أهلكهنّ. السامي: الذي يسمو لطلب العسل. المعَسَّل: طالب العسل وجامعه.

[279] – المُهَرَّتة: الواسعة الأشداق. الفُوه: جمع "الأفوه " للمذكَّر، والفوهاء للمؤنث، ومعناه المفتوحة الفم. الشدوق: جمع الشّدق، وهو جانب الفم. كالحات: مكشرة في عبوس. البُسَّل: الكريهة المنظر. والشاعر في هذا البيت يعود إلى وصف الذئاب التي تجمّعت حول ذلك الذي دعاها لإنجاده بالطعام، فيصفها بأنها فاتحة أفواهها، واسعة الشدوق، كئيبة كريهة المنظر.

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها

وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ[280]

وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ به

مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ[281]

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ

وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ[282]

---

[280] – ضجَّ: صاح. البراح: الأرض الواسعة. النوح: النساء النوائح. العلياء: المكان المرتفع. الثكَّل: جمع الثَّكْلى، وهي المرأة التي فقدت زوجها أو ولدها أو حبيباً. والمعنى أن الذئب عوى فعوتِ الذئاب من حوله، فأصبح وإيّاها كأنَّهن في مأتم تنوح فيه الثكالى فوق أرض عالية.

[281] – أغْضى: كفّ عن العواء. اتَّسَى، بالتشديد: افتعل من "الأسوة "وهي الاقتداء، وكان الأصل فيه الهمزة، فأبدلت الهمزة ياء لسكونها وكسر همزة الوصل قبلها، ثُم أُبدلت الياء تاء، وأُدغمت في تاء الافتعال. ويروى بالهمزة فيهما من غير تشديد، وهو أجود من الأوّل، لأن همزة الوصل حذفت لحرف العطف، فعادت الهمزة الأصليّة إلى موضعها، كقولك: وائتمنه، والذي ائتمن. والمراميل: جمع المرمل، وهو الذي لا قوت له. والمعنى أن الذئب وجماعته وجدا حالهما متّفقين يجمعهما البؤس والجوع، فأخذ كل منهما يعزّي الآخر ويتأسَّى به.

[282] – شكا: أظهر حاله من الجوع. ارعوى: كفَّ ورجع. الشكو: الشَّكوى. وعجز هذا البيت حكمة، ومفادها أنَّ الصبر أفضل من الشكوى إن كانت غير نافعة.

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها

على نَكَظٍ مَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ[283]

وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما

سَرَتْ قَرَباً أحْنَاؤها تَتَصَلْصَلُ[284]

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ

وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ[285]

---

[283] – فَاءَ: رجع. بادرات: مسرعات، وبادره بالشيء أسرع به إليه. النكظ: شدَّة الجوع. يكاتم: يكتم ما في نفسه. مُجْمِل. صانع للجميل. وفي هذا البيت يتابع الشاعر وصف الذئاب، فيقول إنهنَّ بعد يأسهن من الحصول على الطعام، عدن إلى مأواهنَّ ، وفي نفوسهن الحسرة والمرارة.

[284] – الأسآر: جمع سؤر، وهو البقيَّة في الإناء من الشراب. القطا: نوع من الطيور مشهور بالسرعة. الكدر: جمع أكدر للمذكَّر وكدراء للمؤنَّث، والكُدرة: اللَّون ينحو إلى السواد. القَرَب: السير إلى الماء وبينك وبينه ليلة. الأحناء: جمع الحنو، وهو الجانب. تتصلصل تصوّت. والمعنى أنِّي أريد الماء إذا سايرت القطا في طلبه، فأسبقها إليه لسرعتي، فترد بعدي، فتشرب سُؤري.

[285] – هَمَمْتُ بالأمر: عزمتُ على القيام به ولم أفعله. والتاء في "هَمَّتْ" تعود إلى القطا، والمعنى: أنا وإيَّاها قصدنا الماء. ابتدرنا: سابق كلٌّ منّا الآخر. أسدلت: أرخت أجنحتها كناية عن التعب. الفارط: المتقدِّم، وفارط القوم: المتقدِّم ليصلح لهم الموضع الذي يقصدونه. يقول: ظهر التعب على القطا، وبقيت في قمَّة نشاطي، فأصبحت متقدِّماً عليها دون أن أبذل كلَّ جهدي، بل كنتُ أعدو متمهِّلاً لأنني واثق من السبق.

فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ

يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ[286]

كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ

أضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ[287]

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا

كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ[288]

---

[286] – ولَّيت: انصرفت. تكبو: تسقط. العُقْر: مقام السَّاقي من الحوض يكون فيه ماء يتساقط من الماء عند أخذه من الحوض. الذّقون: جمع الذقن، وهو منها ما تحت حلقومها. الحَوْصل: جمع الحوصلة، وهي معدة الطائر. يقول: سبقت القطا بزمن غير قصير حتى إنّي شربت وانصرفت عن الماء قبل وصولها مجهدةً تتساقط حول الماء ملتمسةً الماء بذقونها وحواصلها.

[287] – وغاها: أصواتها. حَجْرتاه: ناحيتاه، والضمير يعود على الماء. والأضاميم: جمع الإضمامة، وهي القوم ينضمّ بعضهم إلى بعض في السَّفَر. السَّفْر: المسافرون. نزَّل: جمع نازل، وهو المسافر الذي حطَّ رحله، ونزل بمكان معيَّن، وحوله جماعات من المسافرين حطَّت الرحال محدثةً صخباً كبيراً، والمعنى أن أصوات القطا حول الماء كثيرة حتى كأنَّها أَلَّفت جانبي الماء.

[288] – توافين: توافدن وتجمَّعن، والضمير يعود إلى القطا. شتَّى: متفرِّقة، والمقصود متفرّقة. الأذْواد: جمع ذود، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل. ومن أمثال العرب: "الذَّود إلى الذَّودِ إبل"، وهو يُضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتّى يؤدِّي إلى الكثير. الأصاريم: جمع الصرمة، وهي العدد من الإبل نحو الثلاثين. والمَنْهل: الماء. والمعنى أنَّ أسراب القطا حول الماء تشبه أعداداً كثيرة من الإبل تتزاحم حول الماء.

فَغَبَّ غِشَاشَاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها

مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ[289]

وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتَرَاشِها

بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ[290]

وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كأنَّ فُصُوصَهُ

كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ[291]

---

[289] – الغَبّ والعَبّ: شرب الماء من غير مصّ. الغشاش: العجلة. والركب خاصّ بركبان الإبل. أحاظة: قبيلة من اليمن، وقيل: من الأزد. المُجْفل: المنزعج، أو المسرع. والمعنى أن القطا لفرط عطشها شربت الماء غبا، ثمّ تفرقت بسرعة.

[290] – آلف: أتعوَّد. الأهدأ: الشديد الثبات. تنبيه: تجفيه وترفعه. السناسن: فقار العمود الفقري. قُحَّل: جافة يابسة. يقول: ألفتُ افتراش الأرض بظهر ظاهرة عظامه، حتَّى إنَّ هذه العظام هي التي تستقبل الأرض، فيرتفع الجسم عنها، وهذا كناية عن شدَّة هزاله.

[291] – أعدل: أتوسَّد ذراعاً، أي: أسوّي تحت رأسي ذراعاً. المنحوض: الذي قد ذهب لحمه. الفصوص: مفاصل العظام. الكعاب: ما بين الأنبوبين من القصب، والمقصود به هنا شيء يُلعب به. دهاها: بسطها. مُثَّل: جمع ماثل، وهو المنتصب. والمعنى أن ذراعه خالية من اللحم لا تبدو فيها إلاَّ مفاصل صلبة كأنها من حديد.

فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ

لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ[292]

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ

عَقِيرتُهُ لِأيِّها حُمَّ أَوَّلُ[293]

تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها

حِثَاثاً إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ[294]

وإلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ

عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ[295]

---

[292] – تبتئس: تلقى بؤساً من فراقه. القسطل: الغبار. وأمّ قسطل: الحرب. و"ما"، في "لما" بمعنى الذي. اغتبطت: سرَّت. والمعنى أنَّ الحرب إذا حزنت لفراق الشنفرى إيَّاها، فطالما سرَّت بإثارته لها.

[293] – طريد: مطرود. الجنايات: المقصود بها غاراته في الصعلكة. تياسرن لحمه: اقتسمنه. عقيرته: نفسه. حُمَّ: نزل، ولم يؤنَّث "حُمَّ " لأنَّه لـ "أيّ"، ولفظها مذكَّر. والمعنى أنَّه مطارد ممَّن أغار عليهم، وهؤلاء يتنافسون للقبض عليه والانتقام منه.

[294] – تنام: أي الجنايات، وعبَّر بها عن مستحقِّيها. حثاثاً: سراعاً. تتغلغل: تتوغَّل وتتعمَّق. يقول: إنَّ أصحاب الجنايات في غاية اليقظة للانتقام مني، وهم إنْ ناموا، فإنَّ عيونهم تظل يقظى تترصَّدني للإيقاع بي. وقيل: المعنى أنَّه إذا قصَّر الطالبون عنه بالأوتار لم تقصَّر الجنايات.

[295] – الإلف: الاعتياد، وهنا بمعنى المعتاد. والربع في الحمّى أن تأخذ يوماً، وتدع يومين، ثمّ تجيء في اليوم الرابع. و"هي": ضمير يعود على "الهموم"، يعني الهموم أثقل عنده من حُمَّى الربع.

إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها

تَثُوبُ فَتَأتِي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ[296]

فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيَاً

على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ[297]

فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ

على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ[298]

وأُعْدِمُ أَحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما

يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ[299]

---

[296] – وردت: حضرت، والضمير يعود للهموم. والورد خلاف الصَّدر. وأصدرتها: رددتها. تثوب: تعود. تُحيت: تصغير "تحت". عَلُ: مكان عالٍ. والمعنى أنَّ الشاعر كلَّما صرف الهموم، عادت إليه من كلّ جانب، فهي، أبداً، ملازمة له.

[297] – ابنة الرمل: الحية، وقيل: هي البقرة الوحشية. ضاحياً: بارزاً للحرّ والقرّ. رقّة: يريد رقّة الحال، وهي الفقر. وأحفى: من الحفاء وهو عدم لبس النعل. وفي هذا البيت يتخيَّل الشاعر امرأةً، كعادة الشعراء القدماء، فيخاطبها قائلاً لها إنه فقير لا يملك ما يستر به جسده من لفح الحرّ والقرّ، ودون نعل ينتعله فيحمي رجليه.

[298] – مولى الصبر: وليّه. أجتاب: أقطع. البزّ: الثياب. السِّمع: ولد الذّئب من الضّبع. أنعل: أتخذه نعلاً. يقول إنّه صبور، شجاع، حازم.

[299] – أُعدِم: أفتقر. البعدة، بضمّ الباء وكسرها، اسم للبعد. المتبذّل: المُسِفّ الذي يقترف ما يُعاب عليه. يقول إنه يفتقر حيناً ويغتني حيناً آخر، ولا ينال الغنى إلا الذي يقصر نفسه على غاية الاغتناء.

فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ

ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّلُ[300]

ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى

سَؤُولاً بأعْقَاب الأقَاويلِ أُنْمِلُ[301]

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها

وَأقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ[302]

---

[300] – الجزِع: الخائف أو عديم الصبر عند وقوع المكروه. الخَلَّة: الفقر والحاجة. المتكَشِّف: الذي يكشف فقره للناس. المَرِح: شديد الفرح. المُتخَيِّل: المختال بغناه. يقول: لا الفقر يجعلني أبتئس مظهراً ضعفي، ولا الغنى يجعلني أفرح وأختال.

[301] – تزدهي: تستخفّ. الأجهال: جمع الجَهْل، والمقصود الحمق والسفاهة. سؤول: كثير السؤال، أو ملحّ فيه. الأعقاب: جمع العقب، وهو الآخر. أنمل: أنمّ، والنملة، بفتح النون وضمّها، النميمة. والمعنى أنّ الشاعر حليم لا يستخفه الجهلاء، متعفِّف عن سؤال الناس، بعيد عن النميمة وإثارة الفتن بين الناس.

[302] – النَحْس: البرد. يصطلي: يستدفىء. ربّها: صاحبها. الأقطع: جمع قِطْع، وهو نصل السّهم. يتنبَّل: يتخذ منها النّبل للرمي. والمعنى: ربَّ ليلةٍ شديدة البرد يُشعل فيها صاحب القوسِ قوسَه ونصال سهامه، فيجازف بفقد أهمّ ما يحتاج إليه، ليستدفىء، وقد مر شرح هذا البيت بتفصيل أكثر في الفصل السابق.

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي

سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ[303]

فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً

وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ[304]

وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً

فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْألُ[305]

---

[303] – دعست: دفعت بشدّة وإسراع، وقيل: معناه مشيت. أو وطئت. الغَطْش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. صحبتي: أصحابي. السّعار: شدّة الجوع، وأصله حرّ النار، فاستُعير لشدّة الجوع، وكأنّ الجوع يُحدث حرًّا في جوف الإنسان. الإرزيز: البرد. والوجر: الخوف. والأفكل: الرعدة والارتعاش.

[304] – أيَّمت نسواناً: جعلتُهن أيامى، أي بلا أزواج. والأيِّم: من لا زوج له من الرجال والنساء على حدٍّ سواء. الإلدة: الأولاد. وأيتمتُ إلدة: جعلتهم بلا آباء. أبدأت: بدأت. أليل: شديد الظلمة.

[305] – أصبح: فعل ماض ناقص، اسمه "فريقان"، وخبره "جالساً". ويجوز أن يكون فعلاً تامًّاً فاعله "فريقان"، و"جالساً"، حال. والغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة. والجَلْس. اسم لبلاد نجد. يقال: جلس الرجل إذا أتى الجَلْس، فهو جالس، كما يقال: أتْهَمَ، إذ أتى تهامة. يقول: كان من نتائج غارتي اللّيليّة، التي وصفها في الأبيات الثلاثة السابقة، أنه عند الصباح أخذ الذين غرت عليهم يسأل بعضهم بعضاً، وهم بنجد، عن آثار غارتي متعجّبين من شدّتها وآثارها الأليمة.

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا

فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ[306]

فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ

فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ[307]

فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارِقاً

وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ[308]

---

[306] – هَرَّت: نبحت نباحاً ضعيفاً. عَسَّ: طاف باللَّيل، ومنه العَسَس، وهم حرَّاس الأمن في اللَّيل. الفُرعُل: ولد الضبع. يقول: إن القوم الذين أغرت عليهم يقولون: لم نسمع إلّا هرير الكلاب، والهرير هو صوت الكلب دون النباح، وكان هذا الهرير بفعل إحساسها بذئب أو بفرعل.

[307] – النبأة: الصوت، والمقصود صوت صدر مرّةً واحدة ضعيفاً. هوَّمت: نامت، والضمير في هذا الفعل يعود على الكلاب. القطاة: نوع من الطيور، يسكن الصحراء خاصَّةً. رِيع: خاف. وفاعله "قطاة"، ولذلك كان على الشاعر أن يقول "ريعتْ"، ولم يؤنث لوجهين: أحدهما على الشذوذ، والثاني أنَّه حمل القطاة على جنس الطائر، فكأنَّه قال: طائر ريع. والأجدل: الصَّقْر. وهمزة الاستفهام محذوفة، والتقدير: أقطاة ريعت أم ريع أجَدَلُ. وهذا البيت استدراك للبيت السابق، فقد استدرك القوم الذين أغار عليهم، فقالوا: إن هرير الكلاب لم يستمرّ، وإنَّما كان صوتاً واحداً ضعيفاً، ثم نامت الكلاب، فقالوا، عندئذ، لعل الذي أحسَّت به الكلاب قطاة أو صقر.

[308] – أبرح: أتى البَرَح، وهو الشِّدَّة، وقيل: هو أفعل تفضيل من البرح، وهو الشِّدَّة والقوَّة. الطارق: القادم باللَّيل. والكاف في "كها" للتشبيه. والمعنى أن الذين أغار عليهم تعجَّبوا وتَحيَّروا، فقد تعوَّدوا أن يقوم بالغارة جماعة من الرجال لا فرد واحد، وأن يشعروا بها فيدافعوا عن أنفسهم وحريمهم، أمَّا أن تكون بهذه الصورة الخاطفة فهذا الأمر غير مألوف، ولعل الذين قاموا بها من الجنّ لا من الإنس. وهذا البيت شاهد للنحاة على جر الكاف للضمير في "كها" شذوذاً.

وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ

أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ[309]

نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ

ولا سِتْرَ إلاَّ الأتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ[310]

وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ

لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ[311]

---

[309] – الشِّعرى: كوكب يطلع في فترة الحر الشَّديد، ويوم من الشِّعرى: يوم من أيام الحرّ الشديد. واللّواب (كما في بعض الروايات): اللعاب، والمقصود به ما ينتشر في الحر كخيوط العنكبوت في الفضاء، وإنما يكون ذلك حين يكون الحز مصحوباً بالرطوبة، الأفاعي: الحيَّات. الرمضاء: شدَّة الحرّ. تتململ: تتحرك وتضطرب. يقول: ربَّ يومٍ شديد الحرارة تضطرب فيه الأفاعي رغم اعتيادها على شدَّة الحر.

[310] – نصبت له وجهي: أقمته بمواجهته. الكِنّ؛ السِّتر. الأتحميّ: نوع من الثياب كالعباءة. المرعبل: المُمَزَّق. وهذا البيت مرتبط بسابقه، ومعناهما: ربَّ يوم شديد الحرارة تضطرب فيه الأفاعي رغم اعتيادها شدَّة الحرّ، واجهت لفح حرِّه دون أيّ ستر على وجهي، وعليّ ثوب ممزّق لا يردّ من الحرِّ شيئاً قليلاً.

[311] – الضافي: السابغ المسترسِل، ويعني شَعره. اللبائد: جمع اللبيدة، وهي الشَّعر المتراكب بين كتفيه، المتلبِّد لا يُغْسَل ولا يُمشَّط. الأعطاف: جمع العَطف، وهو الجانب. ترجَّل: تسرَّح وتمشَّط. والمعنى: أنَّه لا يستر وجهه وجسمه إلا الثوب الممزَّق، وشعر رأسه، لأنه سابغ. إذا هبّت الريح لا تفرِّقه لأنّه ليس بِمسرَّح، فقد تلبَّد واتَّسخ لأنَّه في قفر ولا أدوات لديه ليقوم بتسريحه والعناية به.

بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ

له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْل مُحْوِلُ[312]

وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ[313]

فأَلْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُوفِيَاً

عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثُلُ[314]

---

[312] – بعيد بمسّ الدهن والفلي أي منذ زمن بعيد لم يعرف الدهن والفَلْي (الفلي: إخراج الحشرات من الشَّعر. العَبَس: ما يتعلَّق بأذناب الإبل والضّأن من الرَّوث والبول فيجف عليها، ويصبح وسخاً. عافٍ: كثير. مُحْوِل: أتى عليه حول (سنة). والأصل: محوِل من الغَسْل. والبيت بكامله وصف لشعره.

[313] – الخَرْق: الأرض الواسعة تتخرَّق فيها الرياح. كظهر الترس: يعني أنَّها مستوية. قَفْر: خالية، مقفرة، ليس بها أحد. العاملتان: رجلاه. والضمير في "ظهره" يعود على الخرق. ليس يُعمل: ليس مِمَّا تعمل فيها الركاب.

[314] – ألحقت أولاه بأخراه: جمعت بينهما بسيري فيه، قطعته. والضمير في "أولاه" و"أخراه " يعود على (الخرق) المذكور في البيت السابق. والمعنى: لشدَّة سرعتي لحق أوّله بآخره. موفياً: مشرفاً. القُنَّة: أعلى الجبل، مثل القلَّه. الإقعاء: أن يلصق الرجل أَلْيَتَيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويتساند ظهره. أمثل: أنتصب قائماً. يقول: وربَّ أرض واسعة قطعتها مشرفاً من على قمَّة جبل، جالساً حيناً، وسائراً حيناً آخر.

تَرُودُ الأرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأنّها

عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ[315]

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني

مِنَ العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ[316]

وبعد قراءتنا للاميّة العرب، يتضح لنا أن الشنفرى قد أبى إلّا أن يكون غزالاً برياً نافراً، أو جواداً أصيلاً شامِساً جامحاً، رافضاً أن يكون حصاناً مروضاً في حضيرة القبيلة، لذلك قد نأى بنفسه وشعره عن سلطتها، وحرر نفسه من الانقياد لمواضيعها التي تحدد وظيفة الشعر وتحوله إلى وسيلة لخدمة غايات غير شعرية.

* * *

[315] – ترود: تذهب وتجيء الأراوي: جمع الأرويَّة، وهي أنثى التيس البريّ. الصُّحْم: جمع أصحم للمذكر، وصحماء للمؤنث، وهي السوداء الضارب لونها إلى الصفرة، وقيل: الحمراء الضارب لونها إلى السواد. العذارى: جمع العذراء، وهي البكر من الإناث. الملاء: نوع من الثياب. المُذَيَّل: الطويل الذيل.

[316] – يركُدْن: يثبتن. الآصال: جمع الأصيل، وهو الوقت من العصر إلى المغرب. العُصم: جمع الأعصم، وهو الذي في ذراعيه بياض، وقيل: الذي بإحدى يديه بياض. الأدفى من الوعول: الذي طال قرنه جداً. ينتحي: يقصد. الكِيحَ: عرض الجبل وجانبه. الأعقل: الممتنع في الجبل العالي لا يُتوصَّل إليه. والمعنى أن الوعول آنستني، فهي تثبت في مكانها عند رؤيتي، وكأن الشاعر أصبح جزءاً من بيئة الوحوش، وإن كان أخطر وحوشها.

الخاتمة

إن أهم ما يميز قصيدة "لاميّة العرب"، هي أنها قد عبّرت أحسن تعبير عن منظومة القيم والمبادئ العامة للعرب في العصر الجاهلي، وصورت المناخ العام لهذه المرحلة الحساسة من التاريخ بكل ظروفها وتعقيداتها وشبكة تقاليدها وأعرافها، كما أنها تعد من عيون الشعر العربي الذي ينتمي إلى عصور الاحتجاج، التي يمكن أن تكون من المصادر الموثوق بها في علم النحو وعلم الصرف وعلوم اللغة الأخرى، ما يجعلها بوصلة متقنة لتقويم اللسان ونحو ذلك.

وقد استطاع الشنفرى بزخم إبداعي عارم وضاج بالحيوية والدينامية على مرِّ أبيات هذه القصيدة، وبتشكيله لهذا الكم الهائل من الصور الفنية المرسومة بدقة وبراعة، أن يعبر بشكل عبقري عن الفكرة التي أراد إيصالها وقد أجاد بذلك أيّما إجادة، في الوقت ذاته استطاع أن يوضح رؤاه العامة للحياة بنحو إجمالي جميل.

وإذا كنَّا نحب تراثنا الأدبي العريق ولا شك في ذلك، فإن الحب وحده لايكفي، وإذا كنا حريصين على ذلك التراث فإن الحرص وحده غير كافٍ كذلك ما لم يتم تعزيز ذلك الحب والحرص بالدراسات المعمقة ذات النزعة الحديثة، كما يجب إعادة تقييمه وإبراز مكامن الجمال الفني فيه سواء في الشكل أو المضمون. وقد أثبتت التجارب العالمية أن انتشار أدب ما وخلوده لا يتم إلّا إذا كان ذا سجل حافلٍ بالنصوص الكبرى التي تتوفر فيها أسباب الخلود على مر الزمن والعصور فنيّاً وفكرياً، ولا شك أن تراثنا الأدبي يحظى كماً ونوعاً بأعمال خالدة لم تستطع كل الحركات التجديدية والنزعات التحديثية طمس مكانتها أو تحييد حيويتها، كما لم تأخذ من بريقها شيئاً، وما لاميّة العرب إلاّ أنموذجاً راقياً لتلك

النصوص الخالدة، ولهذا آليت أن أجعل هذا الكتاب يحوم حولها ويسلط الضوء على كل ما يتعلق بها ويعزز وجودها، فضلاً عن متنها وشرحه.

وقد لاحظت في الآونة الأخيرة إعراض الغالبية العظمى من شبابنا العربي عن كنوز هذا التراث العظيم وعدم الالتفات إليه، متحججين بتطلعهم لكل ما هو جديد وانشغالهم بالتجديد، ولم تتزود الأجيال الصاعدة من ثقافتنا الأصيلة وتراثنا الفكري والإبداعي الفخم بما يكفي، كما لاحظت كذلك تنامي إعراض الطلبة خصوصاً في مرحلتي الثانوية والجامعية عن دراسة الأدب العربي القديم وعدم تذوقه، ويعود أحد الأسباب في نظري إلى التناول السطحي لمادة الأدب العربي، والاكتفاء بالشروح الركيكة والأساليب الرتيبة، التي مبلغ همها توضيح وشرح ما يجدونه من ألفاظ وحشية أو عبارات غريبة في نظر مؤلفي تلك المناهج، من دون الالتفات إلى الكنوز التي يستبطنها التراث ودون الاكتراث بما يحفل به من عمق وجودة.

وأخيراً وليس آخراً أستميح القارئ العذر إن لم يجد في هذا الكتاب ما يلبي طموحه، وعذري بذلك أنه لا يعدو عن كونه جهد المقل، وما الكمال إلّا لله سبحانه وتعالى، وحسبي أنني بذلت فيه استطاعتي وقصارى جهدي، راجياً من الله التوفيق والسداد فإن تحقق الصواب فذلك ما أصبو له، وإن عدمته فأحتسب عند الله نيتي وصدق محاولتي.

* * *

المصادر

1. آثار البلاد وأخبار العباد. تأليف: زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، تحقيق حماه الله ولد السالم / دار الكتب العلمية.
2. الأدب وفنونه، دراسة ونقد. تأليف: د. محمد مندور، الصادر عن دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثانية.
3. أعجب العجب في شرح لامية العرب. تأليف: الزمخشري، تحقيق محمد حور (دار سعد الدين، دمشق 1987).
4. الأغاني تأليف: أبو فرج الأصبهاني
5. الأمالي. تأليف: أبو علي القالي اسماعيل بن القاسم الجزء الثاني.
6. أمالي السيد المرتضى. تأليف الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صادر عن دار إحياء الكتب العربية عام 1954 ميلادية.
7. أنساب زهران من الحجاز إلى عمان. تأليف أحمد علي أحمد الزهراني الصادر عن مكتبة علوم النسب عام 1431 هجرية الموافق لعام 2010 ميلادية.
8. إرتشاف العجب من لامية العرب للشنفرى، قراءة تحليلية نقدية. إعداد: الدكتور صبري فوزي أبوحسين
9. إشكالية الرواية والرواة.. دراسة في الشعر العربي قبل الإسلام. تأليف عبد اللطيف حمودي الطائي، الصادر عن دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

10. إعراب لامية الشنفرى. تأليف أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي.

11. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. تأليف: محمود شكري الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، صادر عن: دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان.

12. البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية. تأليف: الدكتور سعيد حسون العنبكي، الصادر عن دار الشؤون الثقافية، بغداد / جمهورية العراق عام 2008 ميلادية.

13. البناء الفني للقصيدة العربية. تأليف: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الصادر عن مكتبة القاهرة، /جمهورية مصر العربية.

14. تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي). تأليف: الدكتور شوقي ضيف.

15. تاريخ آداب العرب. تأليف: محمد صادق الرافعي، الصادر عن دار الكتب العلمية للنشر/ بيروت عام 1970 ميلادية.

16. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. تأليف: محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، تحقيق: بشار عواد معروف – محمد بشار عواد، الصادر عن: دار الغرب الإسلامي، عام 1429 هجرية الموافق لعام 2008 ميلادية.

17. جمهرة أشعار العرب. تأليف: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي الصادر عن: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

18. جمهرة أنساب العرب، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، تحقيق: لجنة من العلماء، الصادر عن: دار الكتب العلمية/ بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، عام 1403 هجرية الموافق لعام 1983 ميلادية.

19. الحماسة لأبي تمام. تأليف: حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، تحقيق: أحمد حسن بسج، الصادر عن: دار الكتب العلمية عام 1418 هجرية الموافق لعام 1998 ميلادية.

20. الحماسة للبحتري. تأليف: أبو عبادة الوليد بن عبيد التنوخي الطائي البحتري، تحقيق: د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، الصادر عن: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث عام 2007 ميلادية.

21. حياة الحيوان الكبرى. تأليف: كمال الدين محمد الدميري، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الصادر عن دار البشائر / دمشق.

22. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي/ القاهرة.

23. ديوان الصعاليك. تأليف وشرح: د. يوسف شكري فرحات، الصادر عن دار الجيل/ بيروت – لبنان.

24. الديوان في الأدب والنقد. تأليف: محمود عباس العقاد وابراهيم عبد القادر المازني، الطبعة الرابعة، الصادر عن: نهضة مصر للطباعة والنشر/ القاهرة.

25. زهر الآداب وثمر الألباب. تأليف إبراهيم بن علي الأنصاري الحُصري القيرواني، تحقيق: د. زكي مبارك، الصادر عن مكتبة الجيل/ بيروت – لبنان.

26. سليمان الشاوي ودوره السياسي في تاريخ العراق الحديث. تأليف: عطية مساهر.

27. شرح اختيارات المفضل. تأليف: الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قباوة، الصادر عن: دار الكتب العلمية / بيروت عام 2002.

28. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. تأليف: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي. (ط. العلمية).

29. شرح القصائد التسع المشهورات. تأليف: أحمد ابن محمد النحاس، تحقيق: أحمد خطاب، الصادر عن دار الحرية للطباعة والنشر بغداد/ جمهورية العراق عام 1393 هجرية الموافق لعام 1973 ميلادية.

30. شرح شعر الشنفرى الأزدي. تأليف: محاسن بن إسماعيل الحلبي، تحقيق: د. خالد عبد الرؤوف الجبر / الطبعة الأولى 2004 م دار الينابيع ـ الأردن.

31. الشعراء الصعاليك في الاسلام. تأليف: د. يوسف خليف.

32. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. تأليف: د. يوسف خليف.

33. شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظر شراحها، دراسة نقدية. رسالة لنيل شهادة الدكتواراه للباحثة أحلام عبد العالي غالي الصاعدي.

34. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه. تأليف: د. عبد الحليم حنفي.

35. الشعر العربي قبل الاسلام. تأليف: حسون الراوي.

36. شعرنا القديم والنقد الجديد. تأليف: د. وهب أحمد رومية صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة الطبعة الأولى.

37. الشنفرى شاعر الحب والصحراء. تأليف: د. محمود حسن أبو ناجي/ الطبعة الثالثة 1984 مؤسسة علوم القرآن. دمشق ـ سوريا.

38. الصِّحاحِ تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ود. محمد نبيل طريفي.

39. طبقات الشعراء. تأليف: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: 29هـ)ا تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف – القاهرة الطبعة: الثالثة.

40. طرائف الأصفهاني في كتاب الأغاني. إعداد عبد.أ. علي مهنا / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان عام 2016 ميلادية.

41. العمدة في صناعة الشعر ونقده. تأليف: الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د.النبوي عبد الواحد شعلان، الصادر عن مكتبة الخانجي/ القاهرة.

42. الغيث المسجم في شرح لامية العرب.

43. الفن ومذاهبه في الشعر العربي. تأليف: د. شوقي ضيف، الصادر عن دار المعارف/ القاهرة – مصر.

44. الكامل في اللغة والأدب. تأليف: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الجزء الأول.

45. لامية العرب للشنفرى، معجم ودراسة دلالية. تأليف: د. ندى عبد الرحمن الشايع.

46. لامية العرب للشنفرى. تأليف: د. عبد الحليم حفني / مكتبة الأدب ـ القاهرة

47. لسان العرب، قاموس. تأليف: ابن منظور المؤلف: عبد الغني أبو العزم.

48. المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة. تأليف: أبي الفتح عثمان ابن جني الموصلي المعروف بـ "ابن جني"/ دار آفاق ثقافية ــ القاهرة.

49. معجم الغني

50. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. تأليف: مجدي وهبة وكامل المهندس، الصادر عن مكتبة لبنان، الصبعة الثانية، بيروت، 1984م.

51. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. تأليف: د. جواد علي، يقع في عشرة أجزاء (أحدها مخصص للفهرس)، ويعتبر أضخم عمل أكاديمي في تاريخ العرب والجزيرة العربية في فترة ما قبل ظهور الإسلام.

52. المفضليات. تأليف: المفضل بن محمد بن يعلي الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر أبو الأشبال وعبد السلام محمد هارون، الصادر عن: دار المعارف

53. موسوعة الشعراء الصعاليك. تأليف: د. حسين جعفر نور الدين

54. موقع معاجم صخر

55. المنهج التكاملي بكل مناحيه. الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد، الطبعة الأولى عام 2008 م.

56. نهاية الأرب في شرح لامية العرب. تأليف: عطاء الله بن أحمد، تحقيق عبد الله الغزالي (حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، 1991– 1992م).

* * *

فهرس أعلام العرب والمسلمين

1. أبو النشناش النهشلى التميمى
2. أحماد بن محمدو بن أبا الديماني، المعروف بـ (أحماد بن أبا الأبهمي).
3. أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد (الجعفي الكندي الكوفي) كنيته أبو الطيب ولقبه المتنبي، المعروف بـ (أبو الطيب المتنبي).
4. أحمد بن علي بن قاسم الزقاق التجيبي الفاسي
5. أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
6. أحمد بن محمد بن إسماعيل المعافى، الضحوي التهامي
7. أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، كنيته أبو جعفر ويلقب بـ "ابن النَّحَّاس".
8. أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، الشيباني البغدادي النحوي. المعروف بـ (ثعلب).
9. أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف.
10. أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي
11. إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحُصري القيرواني
12. إسحاق بن عيسى الطباع
13. إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ابن علي بن عطية بن علي الشاوري الزبيدي اليمني الحسيني الشافعي. المعروف بـ (ابن المقري).
14. إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَري
15. البرّاض بن قيس الضَّمْري الكناني.

16. الحسن بن أحمد بن عبد الله، المعروف بـ (عاكش اليمني).
17. الحسن بن رشيق القيرواني.
18. الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين المعروف بـ (الطغرائي).
19. الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي المعروف بـ (أبو فراس الحمداني).
20. السُّلَيْك بن عمير بن يثربي بن سنان التميمي السعدي، المعروف بـ (السُّلَيْك بن السُّلَكَة).
21. السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث (الأزدي).
22. المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم، من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة.
23. المؤيد بن عبد اللطيف النجحواني.
24. المفضل بن محمد بن يعلي الضبي. المعروف بـ (المفضل الضبي)
25. النمر بن تولب بن زهير العكلي
26. امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث (الكندي).
27. إلياس بن عبد الله بن إلياس بن فرج بن طعمة (أبو الفضل الوليد).
28. بديع الزمان مهي السنندجي بكر بن النطاح الحنفي البصري
29. بشامة بن عمرو، من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان
30. ثابت بن جابر، المعروف بـ (تأبَّط شراً)
31. حاتم بن عبد الله بن سعد (الطّائيّ)
32. جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي المعروف بـ (أبو الإخلاص)
33. جرول بن أوس بن مالك العبسي المعروف بـ (الحطيئة)

34. جرير بن عطية الكلبي اليربوعي (التميمي).

35. جمال الدين عبد الله بن الحسين بن مرعي البغدادي الشافعي الملقب بالسويدي، المعروف بـ (أبو البركات).

36. حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم. المعروف بـ (حاجز الأزدي)

37. حبيب بن أوس بن الحارث (الطائي)، المعروف بـ (أَبو تَمّام).

38. الحسين بن محمد المنبجي المعروف بـ (دوقلة المنبجي).

39. حماد بن أبي ليلى بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي، المعروف بـ (حماد الراوية).

40. خلف بن حيان الأحمر البصري المعروف بـ (خلف الأحمر).

41. خليل بن عبدة بن يوسف مطران، المعروف بـ (خليل مطران).

42. خُوَيْلد بن مُرّة بن عَمرو الهذلي. المشهور بـ (أبو خراش الهذلي)

43. زكريا بن محمد بن محمود القزويني

44. زُهير بن أبي سُلْمى (المزني).

45. زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني الغطفاني المعروف بـ (النابغة الذبياني)

46. زين العابدين البرزنجي

47. سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المراكشي، المعروف بـ (أبي جمعة أو ابن أبي جمعة الصنهاجي).

48. سعيد حسون العنبكي

49. سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي. المشهور بلقبه (الأصمعي)

50. سيف ابن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك

51. سليمان بك بن عبد الله العبيدي الحميري البغدادي، المعروف بـ (الشاوي).
52. سليم التختي.
53. صبري فوزي أبو حسين.
54. صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الفاري الصَّفديّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ، المعروف بـ (صلاح الدين الصَّفديّ).
55. ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بـ (ابن الشجري).
56. عامر بن الأخنس الفهمي.
57. عبد الحليم حنفي.
58. عبد الحميد العرفان السنندجي.
59. عبد الرحمن بدوي
60. عبد الرحمن بن محمد، (الحضرمي الإشبيلي)، المعروف بـ (ابن خلدون).
61. عبد السلام محمد هارون.
62. عبد الشارق بن عبد العزى الجهني.
63. عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي المعروف بـ (صفي الدين الحلي).
64. عبد القادر بن عمر البغدادي.
65. عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي. المعروف بـ (أبي البقاء العكبري).
66. عبد اللطيف الناصري الساقي.
67. عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.
68. عبد المناف بن عبد المطلب بن هاشم المعروف بـ (أبو طالب).

69. عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشريحي (الكندي).
70. عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي.
71. عبد الملك بن مروان بن الحكم.
72. عثمان أبو الفتح بن جني الموصلي المشهور بـ (ابن جني).
73. عدي بن ربيعة بن الحارث التغلبي المعروف بـ (المهلهل بن ربيعة).
74. عدي بن وداع بن العِقْي بن الحارث بن مالك بن فَهْم الدوسي.
75. عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله المصري الأزهري المكي، المعروف بـ (عطاء الله بن أحمد الأزهري).
76. علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس المعروف بـ (علقمة الفحل).
77. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي، المعروف بـ (ابن حزم).
78. علي بن حسين بن موسى المعروف بـ (الشريف المرتضى
79. عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه الخليفة الراشدي الثاني
80. عمرو بن برّاق بن عمرو بن منبه النهميّ، المعروف بـ (عمرو بن برّاق).
81. عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف، المعروف بـ (أبو حفص الفاسي)
82. عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، المعرّي الكندي المعروف بـ (ابن الوردي).
83. عنترة بن شداد بن قراد العبسي
84. قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر الخزاعي المعروف بـ (قيس بن الحدادية).
85. كعب بن زهير بن أبي سلمى، (المزني).

86. كمال أبو ديب

87. محمد أسامة البهائي

88. محمد بن أحمد الأزهري.

89. محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي المعروف بـ (ابن طباطبا).

90. محمد بابا الصحراوي الشنقيطي.

91. محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري. الملقب بـ (ابن دريد)

92. محمد بن الحسن، المعروف بـ (ابن ايلجك التركي).

93. محمد بن الخطاب البري القُرَشِيّ، المعروف بـ (أبو زيد القُرَشِيّ).

94. محمد بن الحنفي الحلبي.

95. محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي.

96. محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي، المعروف بـ (بن زاكور الفاسي).

97. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي.

98. محمد بن محمد بن علي ابن عبد الرحمن الشرشالي البطاوري، المعروف بـ (أبو حامد محمد المكي).

99. محمد بن مكرم بن عليّ الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المعروف بـ (ابن منظور).

100. محمد بهجة الأثري.

101. محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بـ (المبرد).

102. محمد عبد المنعم خفاجي.

103. محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي، المعروف بـ (ولد التلاميد) أو (ابن التلاميد).

104. محمد مندور.

105. محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، المعروف بـ (الزمخشري).

106. محمود شكري الآلوسي البغدادي.

107. معاوية بن أبي سفيان.

108. المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي، المعروف بـ (المفضل الضبي).

109. ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد المعروف بـ (أعشى قيس)

110. ندى عبد الرحمن الشايع.

111. هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي، المعروف بـ (ابن الشجري).

112. الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، المعروف بـ (البحتري).

113. يحيى بن محمد ابن أبي طي يحيى بن حميدة بن ظافر بن علي بن عبد الله الغساني، المعروف بـ (يحيى ابن أبي طي الحلبي).

114. يوسف خليف أديب.

115. يوسف شكري فرحات.

* * *

فهرس الأعلام الغربيين

1. أنطوان إيزاك سِلفستر دي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy ويلفظ أحياناً (دو ساسي).
2. ثيودور نولدكه Theodor Nöldeke
3. جورج ياكُبْ Georg Jacob أويلفظ أحياناً جورج جاكوب
4. جيمس ردهوس (J. W. Redhouse).
5. رونوفيي Renouvier
6. صموئيل تيلر كولردج
7. فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure
8. فرنشسكو غابريلّي Francesco Gabrieli.
9. فريدريش دانييل شلايرماخر
10. فريتس كْرِنْكُو Fritz Krenkow ويسمى أيضاً فرتس كرنكوف.
11. مارتن هيدجر.

* * *

فهرس المحتويات

1. الإهداء
2. الشكر
3. مقدمة
4. ملخص الكتاب
5. أهمية الكتاب
6. أسباب اختيار موضوع الكتاب
7. منهجية البحث
8. الفَصْلُ الأَوّل: أَهَمُ الكتبِ والمَخطُوطاتِ التي تناولتْ "لاميّة العرب" بالشرحِ والإِعراب
9. المبحث الأول: مكانة "لامية العرب" في التراث العربي والعالمي.
10. المبحث الثاني: أهم الكتب التي تناولت اللاميّة شرحاً وإعراباً.
11. المبحث الثالث: أهم المخطوطات التي تناولت لاميّة العرب.
12. الفصلُ الثّاني: ظَاهرةُ الصَّعاليك، أَضواءٌ على نشأتهم وحركتِهم الاجتماعيّة والسياسيّةِ.
13. المبحث الأول: المعنى اللغوي والإصطلاحي لمفردة "صعاليك".
14. المبحث الثاني: نشوء حركة الصعاليك.
15. الفئة الأولى: الخلعاء والشذاذ.
16. الفئة الثانية: المهجنون والمنبوذون.
17. الفئة الثالثة: الصعاليك المحترفون.

18. المبحث الثالث: التقسيم الفئوي للصعاليك.
19. المبحث الرابع: عوامل تكوين حركة الصعاليك.
20. العامل السياسي.
21. العامل الاقتصادي.
22. العامل الاجتماعي.
23. طبقات المجتمع القبلي.
24. الطبقة الأولى: طبقة الأسياد.
25. الطبقة الثانية: طبقة المستجيرين.
26. الطبقة الثالثة: طبقة العبيد.
27. العامل البيئي.
28. المبحث الخامس: أضواء كاشفة على حركة الصعاليك الاجتماعية والسياسية.
29. المبحث السادس: زعامة الحركة التغييرية والتنظير لها.
30. زعامة الحركة التغييرية.
31. لمحة عن الهوية الشخصية لعروة بن الورد.
32. المبحث السابع: حركة الصعاليك تجاوزت تسميتها.
33. الفَصْلُ الثَّالِث: القَصائدُ المسمّاةُ واللّامِيّاتُ الشَّائِعَةُ فِي الشِّعرِ العَرَبِي
34. المبحث الأول: تسمية القصائد في العصر الجاهلي.
35. المبحث الثاني: لمحة عن القصائد المسماة عبر تاريخ الأدب العربي.
36. المعلقات.

37. المنصفات.
38. تسميات أخرى.
39. أسماء محددة
40. قصائد تم إختيارها وتصنيفها منهجياً.
41. قصائد سميت بأسماء مطالعها.
42. قصائد سميت حسب قافيتها.
43. المبحث الثالث: تسمية لاميّة العرب.
44. المبحث الرابع: لمحة عن لاميّات الأمم.
45. المبحث الخامس: مرور سريع على لاميّات الشعراء الآخرين المشهورة.
46. الفَصْلُ الرَّابِع: الشَّنْفَرَى شَاعِرِ لَامِيَّةِ العَرَب
47. المبحث الأول: نبذة عن حياة الشنفرى كما وردت في كتب السير.
48. المبحث الثاني: الشنفرى وتوثيق الأماكن.
49. المبحث الثالث: المرأة في حياة الشنفرى وشعره.
50. البعد المعنوي والنفسي (السايكولوجي).
51. البعد الحسي (الجسمي).
52. البعد الإجتماعي (السوسيولوجي).
53. المبحث الرابع: الغبن التاريخي الذي طال شخص الشنفرى.
54. المبحث الخامس: تفنيد فكرة انتحال لاميّة العرب.
55. المبحث السادس: الخلط بين شعر الشنفرى وشعر تأبّط شرّاً.

56. الفَصْلُ الخَامِس: بَعْضُ سِمَاتِ شِعْرِ الصَّعَالِيك
57. المبحث الأوّل: البنية النمطية للقصيدة الجاهلية.
58. الخيال عند كولردج في نظريته.
59. الفهرسة الزمنية للقصيدة الجاهلية.
60. المبحث الثاني: تلازم البعد الاجتماعي والإبداعي في حركة الصعاليك.
61. المبحث الثالث: ملامح شعر الصعاليك.
62. تحديد بعض الملامح.
63. الخصائص الفنية لشعر الصعاليك.
64. المبحث الرابع: الشخصانية في شعر الصعاليك.
65. الفَصْلُ السادس: في مدار قصيدة "لاميّة العرب"
66. المبحث الأول: لمحة سريعة عن قصيدة "لاميّة العرب".
67. الوحدات النصية لـ "لاميّة العرب".
68. المبحث الثاني: خصوصية المعيار الوظيفي في "لاميّة العرب".
69. المعيار الذاتي.
70. المعيار الاستعمالي.
71. المبحث الثالث: أبرز الآراء التي تناولت "لامية العرب".
72. الفَصْلُ السابع: نصُّ "لاميّة العرب" مع شرح موجز
73. المبحث الأوّل: إضاءات على شرح اللاميّة.
74. المبحث الثاني: النص مع الشرح.

75. الخاتمة

76. المصادر

77. فهرس أعلام العرب والمسلمين

78. فهرس الأعلام الغربيين

79. فهرس المحتويات

80. السيرة الذاتية للكاتب والشاعر ضياء الجنابي

* * *

تمَّ الكتابُ بفَضلِ اللهِ وعونِهِ

واللهُ وليُّ التوفيق

لأمة العرب

السيرة الذاتية للكاتب والشاعر ضياء الجنابي

- **الاسم الكامل: ضياء محمود علوان الجنابي.**

- **مواليد بغداد/ الكرخ.**
- **ماجستير في الإقتصاد الإسلامي.**
- **يحضر لرسالة الدكتوراه في العلاقات الدولية.**
- **عضو الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.**
- **عضو نقابة الصحفيين العراقيين.**
- **عضو الإتحاد العالمي للشعراء.**
- **عضو في العديد من المؤسسات والمنتديات المهنية والفنية في بلجيكا.**
- **مشرف لغوي وأدبي في تجمع شعراء بلا حدود والعديد من المنتديات الثقافية الأخرى.**
- **عضو دارة الشعر المغربي.**
- **عمل مع مجموعة من الصحفين المهنيين على تأسيس أكثر من جريدة ومجلة في العراق بعد عام 2003 منها جريدة المواطن وجريدة المستقلة وجريدة التضامن وغيرها.**
- **شغل منصب مدير تحرير مجلة "بلادي" العراقية لغاية خروجه من العراق نهاية عام 2006 م.**
- **نشر العديد من القصائد والمقالات والدراسات والتحقيقات الصحفية في العديد من الصحف والمجلات الورقية والالكترونية العربية.**
- **فاز بالجائزة الأولى في برنامج "كتاب في أسئلة" عام 1979 في تلفزيون بغداد.**
- **كرمته وزارة الثقافة العراقية على مجهوده الاعلامي المتميز عام 2005 م وقدم له الوزير مفيد الجزائري وساماً وشهادة تقديرية عرفاناً بذلك.**
- **شارك في العديد من المهرجانات الأدبية في بلجيكا وخارجها مثل مهرجان اليوم العالمي للشعر في مقر اليونسكو في باريس، ومهرجان اللومانتيه العالمي في باريس أيضاً، ومهرجانات شعرية متعددة في أمستردام وروتردام وهلفرسوم وزوت مير في هولندا وصالون الأدب العربي في**

بروكسل ومهرجان الحياة في وردة في مدينة مخلن والمهرجان الثقافي في مدينة هاسلت وأمسيات عديدة في مدن عديدة مثل بروكسل، أنتويربن، بوم، كنت، لييج، سنت نيكلاس، رمست وغيرها من المدن الأوروبية.

- اشترك في عدة انطولوجيات شعرية عربية وأوروبية.
- صدرت دراسات عديدة عن شعره من قبل نقاد أدبيين بارزين في الوطن العربي.
- إشترك في إصدار كتاب شعري مشترك مع مجموعة من الشعراء والشاعرات البلجيكيين والهولنديين موسوم بعنوان **1001 Liefdes** بدعوة من مؤسسة **Creative Antwerpen** البلجيكية.
- تُرجمت قصائده للغات الهولندية والفرنسية والاسبانية والإيطالية ولغات أخرى.
- أصدر مجموعتين شعرية الأولى "حائط فوق خطاي" عن دار السعد في اليمن عام **2008** م والثانية "الريح لاتصطنع الصفير" في العراق ضمن منشورات طائر الفينيق عام **2009** م.
- صدرت له مجموعة شعرية ثالثة موسومة بعنوان "شهقاتٌ بحاجة للأوكسجين" عن دار ضفاف للنشر نهاية عام **2018** م.
- له مجموعة شعرية جديدة ضمن تجربته في كتابة القصيدة الحديثة ينوي نشرها.
- صدر له كتاب (الحجاب في أوروبا) عن دار المهجر في القاهرة وقد شارك في عدة معارض كتاب عربية وطبع طبعة ثانية.
- له كتاب في طريقه للطبع موسوم بـ (شراء البيوت في أوروبا، إشكالية المصطلحات) وهو يعالج إشكالية القروض البنكية.
- كتب العديد من المسرحيات النثرية والشعرية منها: مسرحية (مشهد يرويه الشهيد) الشعرية ومسرحية (المرايا الفحمية) ومسرحية (السدرة والمجنون).

- **بين يديه أكثر من مشروع كتابي يسأل الله أن تجد طريقها إلى النور.**
- **ساهم في العديد من المؤتمرات العلمية العربية والأوروبية.**
- **أستاذ في المعهد الأوروبي الإسلامي العالي في بروكسل.**
- **يعمل حالياً مدير تحرير شبكة المدار الإعلامية الأوروبيةِ.**
- **يعمل كمترجم ومتطوع في أكثر من منظمة إنسانية وإجتماعية في بلجيكا.**

* * *